بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد الحسن وقيام الحسين عليهما السلام (الجزء الثاني)

الشيخ عبد العزيز بن الحاج سعيد المصلي

مصدر الفهرسة :	IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda
رقم تصنيف LC :	BP40 .M87 2018
المؤلف الشخصي :	المصلي، عبد العزيز سعيد – مؤلف.
العنوان :	تمهيد الحسن وقيام الحسين عليهما السلام (الجزء الثاني)
بيان المسؤولية :	تأليف الشيخ عبد العزيز بن الحاج سعيد المصلي ؛ تقديم كاظم الخرسان.
بيانات الطبع :	الطبعة الأولى.
بيانات النشر :	النجف، العراق : العتبة الحسينية المقدسة، مركز الامام الحسن عليه السلام للدراسات التخصصية ، ٢٠١٨ / ١٤٣٩ للهجرة.
الوصف المادي :	٢ مجلد ؛ ٢٤ سم.
سلسلة النشر :	(العتبة الحسينية المقدسة ؛ ٤٧١).
سلسلة النشر :	(مركز الامام الحسن عليه السلام للدراسات التخصصية؛ ٦٢).
تبصرة ببليوجرافية:	يشتمل على ارجاعات ببليوغرافية.
موضوع شخصي :	الحسن بن علي (عليه السلام)، الامام الثاني، ٣-٥٠ للهجرة – الحياة السياسية.
موضوع شخصي :	الحسن بن علي (عليه السلام)، الامام الثاني، ٣-٥٠ للهجرة – الصلح مع معاوية.
موضوع شخصي :	الحسين بن علي (عليه السلام)، الامام الثالث، ٤-٦١ للهجرة – الحياة السياسية.
مصطلح موضوعي :	واقعة كربلاء، ٦١ للهجرة – دراسة تحليلية.
مصطلح موضوعي :	الشعائر الاسلامية (الشيعة الامامية) – دفع مطاعن.
مؤلف اضافي :	الخرسان، كاظم – تقديم.
اسم هيئة اضافي :	العتبة الحسينية المقدسة. مركز الامام الحسن عليه السلام للدراسات التخصصية. جهة مصدرة.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية

تمهيد الحسن وقيام الحسين

الجزء الثاني

الشيخ
عبد العزيز بن الحاج سعيد المصلي

العتبة الحسينية المقدسة

مركز الإمام الحسن عليه السلام للدراسات التخصصية

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمركز

العراق - النجف الأشرف
www.imamhassan.org
info@imamhassan.org
+964 7803358020

هوية الكتاب

اسم الكتاب:	تمهيد الحسن وقيام الحسين عليه السلام (الجزء الثاني)
المؤلف:	الشيخ عبد العزيز بن الحاج سعيد المصلي
الطبعة:	الأولى
سنة الطبع:	١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م
عدد النسخ:	١٠٠٠ نسخة
الناشر:	مركز الإمام الحسن عليه السلام للدراسات التخصصية
التصميم والإخراج الفني:	وحدة الإخراج الفنّي

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق العراقية ببغداد ١٠٢٤ لسنة ٢٠١٨

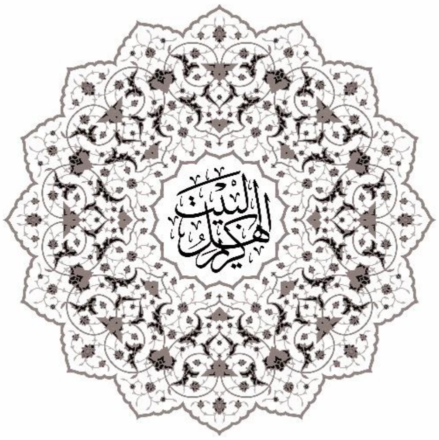

الفصل الرابع

الانقلاب:

وصل مسلم الكوفة واجتمع عليه أهلها، وبايعه الناس للإمام الحسين بن علي عليه السلام، وبعد أن مكث في الكوفة ما يزيد على شهر، أرسل كتابه إلى الإمام الحسين عليه السلام. وهنا يمكن لنا أن نقول إن هذه الفترة التي قضاها مسلم في الكوفة كافية ليلحظ فيها واقع الناس، ويقيم استعدادهم، ومدى مصداقية كتبهم، وتطابقها مع واقعهم، ويقبل بيعتهم للإمام الحسين عليه السلام، ليكون في كتابته له على بصيرة من أمره مطمئنا من واقع الكوفة وصدقها في دعوتها.

وشاع خبر مبايعة الناس مسلما للإمام الحسين عليه السلام، وكتب المنافقون وجواسيس بني أمية إلى يزيد كتابا قالوا فيه:

(أما بعد فإن مسلم قدم الكوفة، وبايعه الشيعة للحسين بن علي بن أبي طالب، فإن يكن لك بالكوفة حاجة فابعث إليها رجلا قويا ينفذ أمرك، ويعمل مثل عملك في عدوك، فإن النعمان بن بشير رجل ضعيف أو يتضاعف)[1].

---

(١) بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٢٣٦.

وعلى إثر ذلك عزل النعمان، وولي مكانه عبيد الله بن زياد، وأقبل بعد أن انتخب خمس مائة من أهل البصرة)(١)، وأقبل بهم إلى الكوفة.

علم مسلم بقدوم عبيد الله، وحيث إنه لم يكن مأمورا بالقتال والتحرك عسكريا اكتفى بتغيير مكانه إلى بيت هانئ.

مسلم والغدر بابن زياد:

سنحت الفرصة لمسلم للفتك بعبيد الله والغدر به، فقد تمارض هانئ وجاء ابن زياد لعيادته، وقد رتب أمر الاغتيال، ولكن مسلما لم ينفذه، وبقي ساكنا إلى أن خرج ابن زياد واعتذر عن ذلك بما حدث به عن رسول الله صلى الله عليه وآله:

(إن الإيمان قيد الفتك فلا يفتك مؤمن)(٢).

وربما تجد من يتحامل على مسلم في تركه الفتك بعبيد الله حتى مع بيانه لعذره.

ولكن ماذا لو غدر مسلم بعبيد الله وفتك به؟

---

(١) مقتل الحسين، آل بحر العلوم، حاشية رقم ٢٣، ص ٢٢٠.

(٢) بحار الأنوار، ج ٤٤، ص٣٤٤.

ما الفرق بينه وبين ابن زياد إذا اتخذ الغدر والفتك وسيلة؟

ما الفرق بين منهجه ومنهج معاوية الذي يصل إلى ما يريد بالغدر والفتك والاغتيال؟

وهل يمكن أن ينهج مسلم غير نهج أمير المؤمنين عليه السلام، ويسير بغير سيرته، فيطلب الحق بالجور والظفر بالغدر والنصر بالفتك!.

هيهات أن يتخذ أهل البيت عليهم السلام طريقة معاوية منهجا لهم في تحقيق أهدافهم، فإنه وإن سنحت الفرصة للغدر إلا أن ذلك ليس منهج الإمام الحسين عليه السلام ولا سيرته، ولا منهج أتباعه وأصحابه، فما سيرته إلا سيرة جده وأبيه عليهما السلام.

صحيح أنه من المحتمل قويا أن مسلما لو غدر بابن زياد لوصل الإمام الحسين عليه السلام إلى الحكم، ولكن لقيل إنما وصل إلى ذلك بالغدر والفتك، وهو عين ما وصل به معاوية وأمثاله، وبذلك يكون قد تخلى عن سيرة جده وأبيه عليهما السلام التي بنى حركته على أساسها، وعليه فلا فخر له في ذلك، إن الكثير من الناس يتصورون أن تقيد المؤمن بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام وهن وضعف وجبن، ونسب بعض ذلك إلى مسلم عليه السلام، وما ذاك إلا لبعده عن فكر آل محمد عليهم السلام وسمو أخلاقهم، وافتتانه بغدر أعدائهم وخبث سرائرهم، وتصوره أن الغدر حسن تدبير، والنكراء عقل، والفتك

شجاعة، والورع عن المحارم وهن، والتحرج في الدين ضعف، ولكن الأمر خلاف ذلك وقد بيّن ذلك إمام المتقين وأمير المؤمنين علي عليه السلام بقوله:

(ولقد أصبحنا في زمن اتخذ أكثر أهله الغدر كيسا، ونسبهم أهل الجهل فيه إلى حسن الحيلة، ما لهم قاتلهم الله قد يرى الحول القلب وجه الحيلة، ودونه مانع من أمر الله ونهيه، فيدفعها رأي العين بعد القدرة عليها، وينتهز فرصتها من لا حريجة له في دين)[١].

وقال أبو محمد الحسن بن علي عليهما السلام:

(الغدر لا خير فيه ولو أردت لما فعلت).

وما منطق الغدر إلا منطق من غايته تبرر وسيلته، وهو ليس منطق محمد وأهل بيته عليهم السلام.

إن الإنصاف والعقل والدين لتقتضي إكبار موقف مسلم عليه السلام لتمكنه من الغدر بعدوه، وحسم الموقف لصالحه بذلك، ومع ذلك يوقفه حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله (إن الإيمان قيد الفتك فلا يفتك مؤمن)، فبهذا يكون قد تحلى في أخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله واتصف بصفات أمير المؤمنين عليه السلام فاهتدى بهديهما وسار بسيرتهما، مع أعدى أعدائه وتحرج في الدين مع ترتب أمر الحيلة، فدفعها مع القدرة

(١) نهج البلاغة، ج١، ص٩٢.

عليها، وينتهز فرصتها مثل معاوية وابن زياد وأشباههم ومن سار في ركابهم ممن لا حريجة له في دين.

حقا إن هذا موقف المتقين المسلمين لله ولرسوله ﷺ ولآل محمد عليهم السلام وموقف الأقوياء والشجعان، لا موقف الضعفاء والجبناء، فلله درك يا مسلم وعد الله اجرك بهذه الاخلاق النبوية والسيرة العلوية.

وعلى كل فقد تسارعت الأحداث في الكوفة بعد دخول ابن زياد، أخذ هانئا وسجنه، واضطر مسلم إلى التحرك عسكريا للتخليص هانئ من يد عبيد الله وطوق مسلم القصر وحاصره بمن اجتمع له من اهل الكوفة، ولم يكن مع ابن زياد من الحرس أو الشرطة ما يكفي لمواجهة الجيش المحاصر.

خاف ابن زياد وتحصن هو ومن معه بالقصر، ثم انه استفاد من طبيعة المجتمع الكوفي القبلية وتركيبته العشائرية، وكذلك ممن اجتمع اليه من المنافقين من رؤوس العشائر وشيوخهم ممن قمع في الدنيا بني امية وخسيس عيشهم، فبث من كان معهم من اشراف الناس الذين اشترى دينهم وضمائرهم وكما قال مجمع بن عبد الله العائذي للإمام الحسين عليه السلام:

(أما أشراف الناس فقد عظمت رشوتهم، وملئت غرائرهم ليستمال بذلك ودهم، وتستخلص نصائحهم، فهم إلب واحد عليك، وما كتبوا اليك الا ليجعلوك سوقا ومكاسبا، وأما سائر الناس فأفئدتهم تهوي إليك وسيوفهم غدا عليك)(١).

وبذلك بدأت روائح الخيانة تفوح وبوادر الغدر تلوح، بعد أن أندس في الناس من باع دينهم بدنيا غيره من زعماء القبائل وشيوخهم، وأرجفوا بالناس وحذروهم جيش الشام، فساد الخوف وظهر الوهن، وبدا الضعف، وتخاذل الناس عن مسلم، وتفرقوا عنهم إلى أن بقي وحده، وقاتل وحده، وقتل وحده فصلوات الله وسلامه عليه.

والشيء المهم هنا أن أهل الكوفة كانوا كاتبوا الإمام الحسين عليه السلام وهم بذلك قد وطّنوا أنفسهم على القتال، وكما تقدم إنهم يتوقعون القتال مع جيش الشام، فكان اللازم عليهم أن لا يهابوا ذلك ولا يخافوا، كما إنهم جربوا بني أمية وقاسوا منهم الولايات، وأيضا أنهم أعطوا مسلما البيعة للإمام الحسين عليه السلام طوعا ورغبة منهم في الحق وأهله، فلم يكن للتخاذل عنه أي وجه، وبهذا أجاب مسلم

---

(١) مقتل الحسين، آل بحر العلوم، ص ١٩٦.

بن زياد عندما قال له ابن زياد: (إيه يا ابن عقيل أتيت الناس وأمرهم جمع، وكلمتهم واحدة، فشتت بينهم، وفرقت كلمتهم، وحملت بعضهم على بعض).

فأجابه مسلم:

(كلا لست لذلك أتيت، ولكن أهل المصر زعموا أن أباك قتل خيارهم، وسفك دماءهم، وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم نأمر بالمعروف، وننهى عن المنكر، ونعمل فيهم بالعدل، وندعو إلى حكم الكتاب)[1].

وهذا الجواب تصريح لما لمسه مسلم في اعتماد أهل الكوفة في دعوتهم للإمام الحسين عليه السلام على تجربتهم مع بني أمية، واعتماد الإمام الحسين عليه السلام أيضا في استجابته لدعوتهم على نتيجة تجربتهم.

وهنا الغرابة فمع تجربتهم تلك ومع ذلك تخلوا هنا عن مسلم، ووفقوا إلى جانب ابن زياد.

ونلخص هنا أهم أسباب تمكن ابن زياد:

١- الغدر إذ غدر بهانئ.

٢- اجتماع المنافقين له.

---

(١) بحار الأنوار، ج ٤٤، ص٣٥٦.

٣- اشتراؤه ضمائر شيوخ العشائر ودينهم.

٤- قبيلة المجتمع الكوفي وعشائريته، وكان لهذا دور كبير في

٥- تمكن ابن زياد.

٦- القتل على الظنة والتهمة.

٧- سجن الكثير من الشخصيات الشيعية.

٨- خوف اهل الكوفة من الموت، مع انهم عاينوا الموت وعايشوه مع بني امية.

٩- الرغبة في الحياة والطمع في المال ولو على حساب الدين.

١٠- تناسيهم تجربتهم مع بني امية.

١١- ضعف الايمان.

ووصل خبر استشهاد مسلم للإمام الحسين عليه السلام وهو في طريقه الى الكوفة، ولم يعلن ذلك حتى وصل اليه خبر رسوله عبد الله بن يقطر، فاعلن خبر استشهاد مسلم وعبد الله وتخلي الكوفة عن قضيتها:

(بسم الله الرحمن الرحيم، اما بعد فانه قد اتانا خبر فظيع، قتل مسلم بن عقيل، وهانئ بن عروة، وعبد الله بن يقطر، وخذلنا شيعتنا، فمن احب منكم الانصراف فلينصرف ليس عليه جناح منا ولا ذمام)(١).

---

(١) بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٧٤.

قال الراوي للخبر: فتفرق الناس عنه يمينا وشمالا حتى بقية في اصحابه الذين جاؤوا معه من المدينة، وكان قد انضم اليه جمع غفير من الاعراب في الطريق لظنهم انه سيأتي الى بلد قد استقامت له طاعة اهله.

أخبر الامام عليه السلام بذلك من معه اذ انه لم يشأ ان يبقي الناس بمعزل عن تطورات الاحداث، اوفي غفلة عن ما استجد من الامور الخطيرة، اوان يفاجؤوا بمواقف لم تكن متوقع لديهم، اعلن في الناس الذين اتبعوه معتقدين انه يقدم على بلد يكون هو اميره، قد اعطاه البيعة، واخلص له الولاء، وضمن له النصرة، أن كل ذلك قد تغير بمقتل مسلم، وهانئ وعبد الله.

ومن هذا الإعلان نقطع بأن الإمام الحسين عليه السلام كان يسير وفق معطيات الأحداث الخارجية الظاهرية العادية، وأنه كان متوجها إلى الكوفة بعد ضمان أهلها له الوقوف إلى جانبه، ومبيعاتهم إياه ليقودهم ضد بني أمية، ولا أقل فإلى قبل وصول خبر قتل مسلم كان ذاك هو هدفه في حركته ونهضته.

الإذن بالانصراف:

وهنا استفهام قد يثار وهو لماذا إذا الإمام الحسين عليه السلام لمن تبعه بالانصراف؟ وتظهر أهمية هذا الاستفهام إذا بنينا على ترجيح مواصلة المسير اتجاه الكوفة على الرجوع، فإنه بذلك يحتاج إلى أكبر عدد من الأنصار لاحتمال المواجهة، وهذا الاستفهام يثار ايضا تجاه إذنه لأصحابه وأهل بيته الذين بقوا معه في ليلة عاشوراء، فإنه أيضا أذن له في الانصراف، ومن الواضح أن الحاجة للناصر في هذا الموقف أشد من ذي قبل، لماذا إذا لهم بذلك؟

والجواب عن ذلك: أن الإمام الحسين عليه السلام وإن رجح مواصلة المسير على الرجوع إلا أن ذلك لا يبعد احتمال نوع المواجهة، وإن كانت مسألة قتله مستبعدة جدا كما تقدم، فاحتمال نوع المواجهة محتملة، وحيث إن الكثير ممن اتبعه إنما طمعا لا اعتقادهم إنه بلدا استقامت له اموره واعطته البيعة، ولم يكونوا قد وطنوا أنفسهم على القتل والقتال دونه لو حصل فحيث إنهم تبعوه طمعا فقد يسلموه إلى أعدائه طمعا في الحظوة عندهم، أوقد يلجؤوا إلى أمر لا يريده، كالاستسلام مثلا، ووجود أناس لا يحملون الولاء المطلق لقيادتهم

من أهم عوامل الوهم والفشل، كما حصل في صفين مع أمير المؤمنين عليه السلام، ومن بعده الإمام الحسن عليه السلام مع جيشه الذي عرض قتله، أو تسليمه للعدو، والمهم إن الإذن بالانصراف هو في الواقع امتحان لهم ولنواياهم من ابتاعه، فلذلك يتخلى عنه ذووا الأطماع الذين لم يزيد وجودهم إلا وهنا ولو بقوا لأوقعوا في أصحاب الإمام الحسين عليه السلام الفتنة. هذا بالنسبة لإذنه لمن اتبعه في الطريق.

وأما بالنسبة لإذنه ليلة عاشوراء بالخصوص فأولا: هو امتحان صريح لصدق نواياهم، بل هو في هذا الوقت أهم، فقد عزم الإمام الحسين عليه السلام على ملاقاة القوم بنفسه الشريفة، وأبى الاستسلام، فوجد أي عنصر يخالف ما عزم إليه الإمام عليه السلام سوف يكون سببا للوهن والفشل، وقد روي ذلك عن فخر المخدرات زينب عليها السلام أنها قالت لأخيها ليلة العاشر:

(يا أخي هل استعملت من اصحابك نياتهم؟

فإني أخشى أن يسلموك عند الوثبة واصطكاك الأسنة)[1].

ثانيا: قلت عددهم بالنسبة لعدد الجيش، وقد روي عنه أنه قال لهم:

---

(١) مقتل الحسين، آل بحر العلوم، ص ٢٨٤، حاشية رقم ٥٦.

(فإنكم لا تطيقونهم لتضاعف عددهم وقواهم)[١].

ثالثا: أن ورودهم هنا يختلف عن كل ما ورد الإجهاد أو الدفاع التي عرفها تاريخ الإسلام الجهادي، فهنا يقدمون أنفسهم فداء لكرامة آل محمد عليهم السلام، لإباء الإمام الحسين عليه السلام الاستلام، وهذا موقف يحتاج إلى معرفة خاصة بالإمام الحسين عليه السلام ومقامه، وبمحمد وآل محمد عليهم السلام وولايتهم، وأن أنفسهم وكرامتهم عليهم السلام أولى من نفس أي مسلم، بل أكثر من ذلك فإنه الابتلاء المبين، الذي لا يبتلى به إلا أنبياء الله المرسلون وأوليائه الصديقون، أنه توطين النفس عن الموت لحفظ كرامة نبينا محمد وآله عليهم السلام من أن تدنسها يد الطلقاء وأبناء الطلقاء بأسر وذلة، ولعظمة موقفهم ذلك بشرهم الإمام الحسين عليه السلام بالمنازل الشريفة والكرامات المنفية، فقال لهم في الرواية المتقدمة:

(فإن كنتم قد وطنتم أنفسكم على ما وطنتم نفسي عليه، فاعلموا أن الله إنما يهب المنازل الشريفة لعباده، باحتمال المكاره، وإن الله وإن خصني - مع من مضى من أهلي الذين أنه آخرهم

(١) بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٩٠.

بقاء في الدنيا[١]- من الكرامات بها يسهل على احتمال المكروهات، فإن لكم شطرا من ذلك من كرامات الله تعالى، واعلموا أن الدنيا حلوها ومرها حلم، والانتباه في الآخرة، والفائز من فاز فيها، والشقي من شقي فيها)[٢].

الموقف بعد مقتل مسلم:

قتل مسلم وهانئ وعبد الله وظهر الانقلاب والغدر في موقف الناصر، وبدأت الأمور تتبدل والاحداث تتسارع، فلا بد من إعادة الحسابات، وتقييم الموقف الجديد.

فلا تخلى الناصر عن نصرته ونسي الموتور ظلامته؟

وهل عاد الخائن إلى سجينه؟

وهل غلبت على المستغيث شقوته فباع قضيته؟

وهل انقلبت الكوفة على عقبها ومالت إلى عدوها؟

ما عسى أن يفعل الإمام الحسين عليه السلام في هذه اللحظات الحاسمة؟

---

(١) مراده خصوص أصحاب الكساء وأهل البيت الذين عاشوا في كنف النبي محمد صلى الله عليه وآله.

(٢) بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٩٠.

وما الذي يجب عليه اتخاذه في مثل هذا الموقف الحرج والحساس؟

وما الخيارات المتاحة له؟

وما هو أحسن موقف وقرار يمكن أن يتخذه القائد المخلص لدينه وقضيته؟

إن مسلما وهانئا وعبد الله وقيسا قتلوا وابن زياد قد رشا شخصيات العشائر وشيوخها واشترى ودهم وولاءهم وأخاف الناس.

فهل ينقطع بذلك الأمل في الكوفة فلا يمكن التوجه إليها؟

أم أن هناك ثمة بقية أمل ترجح المضي نحوها والمسير إليها؟

وإذا كنا استطعنا بملاحظة تجربة الكوفة مع بني أمية أن تتجاوز مشكلة النصائح والتحذيرات، والتزمنا بأن الإمام الحسين عليه السلام يسير وفق الأحداث الطبيعية وأنه لا بد أن يصدق الكوفة في دعوتها لأنها سارت وفق ما ينبغي لها فخرج لذلك.

فما عسى يمكن أن يقال هنا وقد تغيرت الأحداث؟

فهل ينبغي للإمام الحسين عليه السلام أن يواصل مسيره نحو الكوفة؟

هل يتعين عليه أن يرجع من حيث أتى؟

هل يتوجه الآن للتضحية؟

هل يتوجه لقتال أهل لكوفة؟

وهـذه الاسـتفهامات تمثـل مـا يمكـن أن يفـترض مـن الخيـارات في مثل هذا الظرف والموقف.

فما الذي ينبغي للإمام الحسين عليه السلام فعله؟

والـذي يـرى أن الإمـام الحسـين عليه السلام منـذ الوهلـة الأولى التـي خـرج فيهـا مـن المدينـة أومـن مكـة كـان قاصـدا للتضـحية لا لإقامـة دولـة، وقيـادة شـعب، فهـو في غنـى عـن الإجابـة عـلى ذلـك، وتحديـد الموقـف الحسـيني، إذ أنـه لم يسـتجد لـه أي أمـر يـؤثر عـلى مسـيرة الإمـام الحسـين عليه السلام وهدفـه، فالتضـحية لا تـزال قصـده، والشـهادة غايتـه، وانقـلاب الكوفـة لا يعـترض نظريتـه كمشـكلة، أو عقبـة عليـه أن يتجاوزهـا، فالقصـد الـذي خـرج بـه لا زال باقيـا، وكـل مـا يحـدث لا يؤثر فيـه، فـلا بـد مـن مواصـلة الطريـق حتـى يحقـق مرامـه، ويصـل إلى مراده.

بل الأمر لديه عـلى العكـس تمامـا فـانقلاب الكوفـة يمهـد الطريـق لتحقق موضوع النظرية.

وحيـث إننـا لم تقبـل هـذا التحليـل لقضـية الإمـام الحسـين عليه السلام فـلا بد لنا من مواجه تلـك المشـكلة وحلهـا بـما يتفـق مـع نظريتنـا، فـإن ذلـك التحليل يجعـل جميـع الأحـداث التـي اكتشـفت قضـية الإمـام الحسـين عليه السلام

لا قيمة لها، فهو يتجاهل تصريحات الإمام الحسين بتوجهه إلى الكوفة، ويلغي موضوعية أي حدث، فلا تأثير لأي أمر مستجد في مسيرة الإمام عليه السلام أو عليها، ولا تتفاعل ولا تنفعل الحركة الحسينية بما يعرض من أحداث، فكتب الإمام الحسين عليه السلام إلى أهل الكوفة، وإرساله مسلما وعبد الله وقيسا ليست إلا وظائف خاصة موجهة على أساس التحليل الغيبي، بناء على النظرية الغيبية، أو ما هي إلا تغطية إعلامية لعملية انتحارية، ليعطيها طابع التضحية والشهادة، كما ذهب إليها السيد الصدر رحمه الله، أو أن مصلحة قتله أعظم من التقية وحفظ نفسه، كما احتمله السيد الخوئي رحمه الله.

وعلى كل فأصحاب تلك النظريات لا تواجههم هنا أي مشكلة أو استفهام، أما نحن فحيث التزمنا بأن قدوم الإمام الحسين عليه السلام كان لأجل إقامة دولة وقيادة المجتمع الإسلامي ضد الظلم والطغيان، ودللنا على ذلك فيما تقدم، فإنه يتوجب علينا الإجابة على الاستفسار المثار هنا.

وكذلك من اعتمد تحليل حركة الإمام عليه السلام على أساس إقامة الحجة أيضا تواجهه هذه المشكلة، فلا بد له أيضا من مواجهتها، وذلك أنه بعد العلم بغدر الكوفة بمسلم وانقلاب أهلها يتوجب عليه أن يجيب عن ذلك الاستفهام إذ يرد عليه - مضافا إلى ما ذكرنا

في مناقشة تلك النظرية - أنه بعد أن علم الإمام ﷺ بانقلاب الكوفة فإنه لا يجب عليه الذهاب لإقامة الحجة عليهم، فهو يستطيع أن يعتذر عن عدم قدومه عليهم بغدرهم بمسلم، وقتلهم رسوليه عبد الله وقيسا، ومن الواضح أن هذا الاعتذار مقبول لدى أي عاقل، ولا يرد عليه أي إشكال.

وعليه فلماذا واصل الإمام الحسين ﷺ مسيره، وقد تبين له غدر الكوفة مجددا فلا موضوعية لدعوى لزوم اقامة الحجة عليه؟

وهنا لا بد لنا من البحث عن أسباب التي دعت الإمام الحسين ﷺ لمواصلة مسيره، مع إثبات أنها تتناسب مع مسيرته، وهدفه في إطار يتفق مع نظيرتنا، ولا سبيل لاحتمال أو فرض خطأ الإمام الحسين ﷺ في حساباته فالإمامة والعصمة تمنعان فرض ذلك واحتماله، كما أننا قد بينا إلى ما قبل وصول خبر مسلم أن كل من علم بما يجب أن يكون عليه المجتمع الكوفي، وعرف حاله من بني أمية، وقرأ كتبهم فإن عليه أن يصدق دعواتهم ويركن إلى وعودهم وعهودهم، بل يوجب على الإمام ﷺ الخروج إليهم، ولكن ماذا الآن وقد قتل مسلم؟

انحصر أمر الإمام الحسين ﷺ في هذه المرحلة في أربعة فروض:

الأول: التوجه إلى الكوفة ومواصلة المسير.

الثاني: الرجوع من حيث أتى.

الثالث: قتال أهل الكوفة.

الرابع: التضحية بنفسه.

أما الفرض الرابع فإنه لا موضوعية له هنا إذ لا موجب لأن يضحي بنفسه حتى لولم توجد موجبات التضحية، وحتى النظرية التي ذهبت إلى ذلك لا تستطيع إثبات توافر أسباب التضحية هنا أو قتله، فكما أثبتنا سابقا أنه حتى مع انقلاب الكوفة فإنه لا يوجد أي داع لقتله، بل قتله مستبعد جدا، ولا سيما بيد أهل الكوفة، وبهذا يسقط هنا خيار التضحية إذ لم تتوفر مقتضياتها وأسبابها، وأما فرض قتال أهل الكوفة فحيث إن الإمام الحسين عليه السلام لم يخرج لقتالهم، فأيضا يسقط إذ لا موضوعية لفرضه فإنه لا مقتضي له، ولا دليل على تعليل الخروج به، إذ من الواضح أن خروجه ليقود أهل الكوفة ويقاتل بهم أعدائه واعدائهم لا ليقاتلهم، كما أنه إذا لم يوجد ناصر فلا موضوع لإعلان الجهاد، أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالقوة والسيف، إذا تبين ذلك وسقط الفرض الثالث فلا يبقى إلا الفرض الأول والثاني.

أما الفرض الثاني فإننا نراه معقولا ولا نرى لأحد أن يؤاخذ الإمام الحسين عليه السلام في الرجوع، إذ أن قدومه إنما كان مبنيا على تغيّر أهل الكوفة، ورجوعهم له، واستغاثتهم به، وإصرارهم على دعوتهم تلك الفترة الطويلة، وكتابة مسلم له ببيعتهم وصدق كتبهم، وما جاءت به رسلهم، وحيث إنهم قد غادروا، وعادوا كما كانوا فإنه إذا رجع كان له الاعتذار بانهم قتلوا رسله إليهم، ونقضوا بيعتهم، فله الحجة عليهم، ولذلك نعتقد أن نظرية إقامة الحجة تتعثر هنا، ولا تستطيع أن تتجاوز هذه المشكلة، إذ وعلى كل فالرجوع لهم وجهه وحجته، وله عذره المقبول عند الله سبحانه، ولدى كل عاقل، ولكن إنما يصار إليه إذا لم يكن هناك خيار آخر أرجح منه، ألا وهو مواصلة المسير، والمضي قدما إلى الكوفة.

واختيارنا المضي إلى الكوفة ليس تبريرا لما أختاره الإمام الحسين عليه السلام، بل إن ذلك ما كان يجب على كل قائد أن يفعله في مثل ظرف الإمام الحسين عليه السلام، وذلك أنه وإن قتل مسلم وهانئ ورسولاه عبد الله وقيس إلا أن ذلك ليس من المعلوم أنه يمثل المجتمع الكوفي عامة، فالإمام الحسين عليه السلام بل كل من يقرأ تأريخ الكوفة يعرف ويدرك أن اللذين وقفوا إلى جانب عبيد الله بن زياد في البداية أمره

ليس عامة المجتمع الذي ذاق الموت والجوع والخوف مع أبيه، وليس الأكثر بل قلة من المرتزقة اللذين تراهم في كل زمان يتقدمون باسم الشعوب، ويبيعون كرامتهم لو كانوا يعرفون للكرامة معنى، ودينهم وأوطانهم لخسيس العيش والحرام من الدنيا، نعم أولئك الذين يرون حياتهم ودينهم وكرامتهم في ما يرميه إليهم بنو أمية من فضلاتهم، أولئك هم الذين بايعوا عبيد الله بن زياد، وتجد ذلك واضحا في كلام مجمع بن عبد الله العائذي للإمام الحسين عليه السلام قال:

(أما أشراف الناس فقد عظمت رشوتهم، وملئت غرائرهم ليستمال ودهم، وتستخلص نصائحهم، فهم إلب واحد عليك، وما كتبوا إليك إلا ليجعلوك سوقا ومكسبا، وأما سائر الناس فأفئدتهم تهوي إليك، وسيوفهم غدا مشهورة عليك)(١).

من هذا الكلام يتضح جليا أن الذين باعوا دينهم لعبيد الله هم أولئك المنافقون الذين لم يرضوا بحكم الله ورسوله صلى الله عليه وآله وحكم أمير المؤمنين عليه السلام في التسوية في العطاء، وهم رؤوس العشائر، أو ما أسماهم بأشراف الناس، وأما عامة الناس فأن قلوبها تهوي إليه عليه السلام،

---

(١) مقتل الحسين، آل بحر العلوم، ص ١٩٦.

وقريبا من هذا التقييم تقييم بشر بن غالب عندما سأله الإمام الحسين عليه السلام: كيف خلفت أهل العراق؟

فقال بشر:

(خلفت القلوب معك والسيوف مع بني أمية)(١).

فإن تلك القلوب قلوب الشعب التي تألمت، وعانت من ظلم بني أمية وجورهم، وتلك السيوف سيوف أولئك المنافقين الذين ينتظرون فضلات بني أمية وإن كان على حساب الدين.

وأما قول الأول والسيوف غدا مشهورة عليك، وقول الثاني السيوف مع بني أمية. فهذا الحكم منهما سببه بحسب الظاهر ميول زعمائهم، وشيوخ عشائرهم، فهما يتوقعان ميول الناس تبعا لهم.

ومن الواضح أن ميول شيوخ العشائر وأشراف الناس لن يمنع من كتب الإمام عليه السلام أن ينضم إليه عند وصوله ويقف إلى جانبه.

كما أن الذين كاتبوا الإمام الحسين عليه السلام أناطوا تحركهم بقدومه عليه السلام، كما جاء ذلك في بعض كتبهم حيث جاء في ذلك الكتاب الذي انبرى عن اجتماعهم.

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٤، ص ٣٦٧.

(ولوقد بلغنا أنك قد أقبلت إلينا أخرجناه (أي النعمان والي يزيد) حتى نلحقه بالشام)[1].

كما أن الإمام الحسين عليه السلام في إرساله رسوليه عبد الله وقيسا كان يحاول الاتصال بالمجتمع الكوفي، وبمسلم ليخبرهم بمقدمه عليهم.

ولإدراك الحكومة الأموية خطورة اتصال الإمام الحسين عليه السلام بالمجتمع الكوفي بأي شكل من أشكال الاتصال، أو وصوله إليهم، أو وصول خبر قدومه، أو قرب وصوله، قامت بمحاصرة الكوفة محاصرة تامة، ومنعت الخروج والدخول إليها، وتجد ذلك صريحا في النصوص التاريخية:

(قال المفيد رحمه الله: ولما بلغ ابن زياد اقبال الحسين من مكة إلى الكوفة، بعث الحصين بن نمير التميمي صاحب شرطة حتى نزل القادسية، ونظم الخيل ما بين القادسية وخفار، وما بين القادسية إلى القطقطانة)[2].

وذكر أيضا:

---

(١) بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٣٣.

(٢) بحار الأنوار، ج٤٤، ص ٣٦٩.

(وكان عبيد الله بن زياد أمر فأخذ ما بين واقصة إلى طريق الشام وإلى طريق البصرة، فلا يدعون أحدا يلج ولا أحدا يخرج، فأقبل الحسين عليه السلام لا يشعر بشيء حتى لقي الأعراب فسألهم فقالوا لا والله ما ندري غير أنا لا نستطيع أن نلج ولا نخرج)[1].

كما أن ابن زياد أرسل الحر بن يزيد الرياحي في ألف فارس، يجوب الفيافي يبحث عن الإمام الحسين عليه السلام ليمنعه دخول الكوفة، إلا تحت نظره ليمنعه من الالتقاء بذلك المجتمع.

أضف إلى ذلك كتاب يزيد في جوابه لابن زياد على قتله مسلما:

(وأنه قد بلغني أن حسينا قد توجه نحو العراق، فضع المناظر، والمسالح، واحترس، واحبس على الظنة، واقتل على التهمة)[2].

فمن مجموع تلك الأمور يظهر بشكل واضح قلق الحكومة الأموية وخوفها من وصول الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة، وما قد يسفر عنه التقاؤه بالمجتمع من خطورة على موازين الأمور والقوى داخل الكوفة وخارجها.

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٤، ص ٣٧١.

(٢) بحار الانوار، ج٤٤، ص ٣٥٩.

فعلى الرغم من قتلهم مسلما، وتلك الإجرآت الصارمة، وأخذهم بأزمة الأمور وحبسهم على الظنة وقتلهم على التهمة إلا أنهم أدركوا خطورة وصول الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة، والتقاءه بالمجتمع، فاجتماع الناس له متوقع وانقلاب الكوفة ضدهم محتمل، وتغير الأوضاع لصالح الإمام الحسين عليه السلام غير مستبعد، فلذلك قاموا بمحاصرة الكوفة حصرا شديدا، حتى الأعراب لا يلجون ولا يخرجون.

إذا قدوم الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة يمثل خطرا كبيرا حقيقيا على بني أمية في الكوفة وخارجها، ولإدراك الحكومة المركزية في الشام ورفعها في الكوفة خطورة وصوله عليه السلام إلى الكوفة أوصت الأولى بفرض تلك الأحكام المخالفة للإسلام، وقامت الثانية بتلك الإجرآت الصارمة.

وأما قتل مسلم فإن من كان خارج الكوفة ورأى كتب أهلها ورسلهم وعلم بتجربتهم فإنه يستبعد انقلابهم، ويحتمل أن القاتلين مسلما هم الموالين لبني أمية، وهم في الكوفة كثير، ولا يستبعد أن يكون هم الذين قادوا ذلك، بل لم يفعلها غيرهم، فكان محمد بن الأشعث هو الذي بعث لقتال مسلم، وهذا البيت معروف بالنفاق

وبعدائه لأمير المؤمنين والإمام الحسن عليهما السلام، وذلك لا يعني أن المجتمع كله إلى جانبهم، أو وقف معهم، وكذا قتل رسولي الإمام الحسين عليه السلام فلم يعلم أن نفس المجتمع الكوفي هو الذي سلمها لابن زياد ليقتلهما.

وبعبارة أخرى بأن دخول ابن زياد جمع الكوفة رؤوس النفاق وأنصار البغاة، ونظم أمرهم، فاغتالوا هانئا، وقتلوا مسلما، وأخذوا رسولي الإمام الحسين عليه السلام، وقتلوهما، وأما من كاتب الإمام عليه السلام فأكثرهم لا يعلم بخروجه، أو قرب وصوله، أضف إلى ذلك عدم وجود شخصية تجمع كلمتهم، وتوحد صفهم، خصوصا إذا علمنا أن تحرك مسلم ضد ابن زياد كان مرتجلا، ولم يكن مأمورا به ولا مخططا له سابقا، فقد تحرك بمن اجتمع له من سواد الناس لإنقاذ هانئ، وغاب عنه كبار الشخصيات الشيعية المعروفة بالولاء، ومن الواضح أن احتمال هذا الأمر يرجح مواصلة الإمام مسيره تجاه الكوفة، لا الرجوع.

كما أن شخصية الإمام الحسين عليه السلام أشدّ فاعلية، وأكثر تأثيرا في النفوس من مسلم، فهو ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، والمجسد لشخصيته وابن أمير المؤمنين ووصيه عليهما السلام.

ويكفينا هنا إدراك أصحاب الإمام الحسين عليه السلام لجوانب شخصية الإمام الحسين عليه السلام، وتأثيرها في النفوس، ولكل ما ذكرناها أشاروا عليه بمواصلة الطريق والمسير قدما إلى الكوفة حيث قالوا:

(إنك والله ما أنت مثل مسلم بن عقيل، ولو قدمت الكوفة لكان الناس إليك أسرع)(١).

وهذا عين ما يتوقعه يزيد، ويخافه ابن زياد، فلذلك حاصر الكوفة، وسجن على الظنة وقتل على التهمة، أضف إلى ذلك كله أن هذا النص يمثل رأي العقلاء وأهل البصائر والدين في تحديد الموقف، وما ينبغي للإمام الحسين عليه السلام فعله.

وبعد ذلك كله أعتقد أنه قد اتضح ما نريد أن نجيب به مما يتوجب على الإمام الحسين عليه السلام فعله في هذا الموقف الخطير والمصيري، فماذا ينبغي لأي قائد يملك قلب شعب بأكمله أن يفعل؟

ماذا عسى أن يفعل ذلك الشعب لو قدم عليه منقذه وصريخته؟

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٧٥.

لا بد أنه سوف يستميت في الدفاع عنه مهما كان الثمن، وخصوصا إذا وضعنا في الاعتبار إدراك الحكومة الأموية أثر التعتيم الإعلامي على مراحل حركة الإمام الحسين ﷺ، وما يعكسه على النفوس من الإحباط، مما يفقد الكثير الأمل في الخلاص فيدخلون فيما دخل فيه الناس.

أما إذا علموا بقدوم الإمام ﷺ، وأن كل تلك الإجراءات الصارمة لم تثنه عن عزمه ولم تخفه، فمن شأن ذلك أن يفتح باب الأمل لهم في الخلاص، ويقوي أمرهم ويشد من عزيمتهم، ويقتلع الخوف من قلوبهم، ومن الممكن جدا أن يجمعهم قدومه، بل حتى من انضم فعلا إلى ابن زياد خوفا منه فإنه لا يستبعد منه تغيير موقفه عند الالتقاء بالإمام الحسين ﷺ، وعليه فلا بد من مواصلة المسير إلى الكوفة فالأمل في تغيير موازين القوى كبير جدا.

بل حتى خبر قتل رسولي الإمام الحسين ﷺ يمكن لنا أن نقول إنه من الدواعي المهمة لمواصلة المسير نحو الكوفة وذلك أن قتلهما يعني أن رسائله وما كانت تحمله لم تصل إلى أصحابها، وكذا خبر قدوم الإمام الحسين ﷺ أيضا لم يصل إلى الكوفة ولو بحسب الظاهر، أو أنه لم ينتشر بعد في الكوفة، فالكوفة ليست بالمدينة

الصغيرة ولا أقل من احتمال ذلك، ومن الواضح أن هذا الوجه يرجح مواصلة المسير تجاه الكوفة لا الرجوع.

والخلاصة أن اجتماع المنافقين واتباع الأمويين وهم كثر في الكوفة لمن يتحرك ضد الإمام الحسين عليه السلام أمر متوقع، وحدوث مواجهة عسكرية داخل الكوفة معهم أو مع جيش من الشام أمر محتمل بل مؤكد، وعليه فقتل مسلم في أول جولات الحرب خصوصا بعد العلم بارتجاليتها لا يعني عدم إمكان كسبها في جولة ثانية، لا سيما مع وجود أمل كبير في إعادة ترتيب صفوف الكوفة بوصول الإمام الحسين عليه السلام لها، وحيث إنه أصبح يتوقع مواجهة عسكرية عند دخوله الكوفة قد تكون قوية، وقد لا يحتاج فيها إلى مزيد جهد، فلا بد من ترتيب أمره على أسوء احتمالاته، وهو يقتضي تهيأة نفوس من تبعه لذلك، والتخلص ممن تبعه طمعا لألا يسلموه عند الوثبة، وعلى كلل فتلك المعطيات ترجح مواصلة المسير على الرجوع بل تعينه.

خبر قتل مسلم يؤيد مواصلة المسير:

إن وصول خبر قتل مسلم منفردا يؤيد مواصلة المسير تجاه الكوفة، وهذه الدعوى وإن كانت غريبة بعض الشيء منا، ولم

يدعها أحد غيرنا إلا أننا نراها معقولة وذلك أنه لم ينقل عن أحد من الشخصيات الشيعية الكبيرة المعروفة بالولاء الصادق لأهل البيت عليهم السلام الوقوف إلى جانب مسلم في القتال والدفاع عنه، ولم يدع قتل أحد مع مسلم غير هانئ، الذي أخذ غدرا وقتل، ومن المستبعد جدا أن يكونوا قد باعوا دينهم لابن زياد، أو خافوه على أنفسهم، فتخلوا عن قضية الإمام الحسين عليه السلام، فلم ينصروا مسلما، وعليه فورود خبر قتل مسلم منفردا يمكن أن يستفاد منه بحسب الظاهر - ولو ظنا عقلائيا - عدم علمهم بخروجه لا أنهم تخلوا عنه أو انقلبوا عليه ونكثوا بيعته بل هذا مما يطمأن به إن لم يقطع به، وعليه فعدم علمهم بقدوم الإمام الحسين عليه السلام أولى، وهذا يعني أن تلك المجموعة المعروفة بالولاء لا زالت تنتظر قدوم الإمام الحسين عليه السلام، أو وصول أي خبر عنه، وعليه فيمكن أن تجتمع له متى ما وصل، وتقف معه وتفي له، وهذا يؤيد مواصلة المسير لا الرجوع.

ومن المناسب هنا استطرادا صرف البحث إلى أسباب عدم تواجد أحدا من أولئك الأفذاذ إلى جانب مسلم حتى قتل وحيدا فريدا لأن اتضاح تلك الأسباب يؤيد ما ذكرناه من أرجحية مواصلة المسير تجاه الكوفة إن لم يعينه.

عدم وقوف حبيب الأسدي وغيره مع مسلم:

من المشهور والمعروف قتل مسلم وحيدا في الكوفة، وهو مما لا اختلاف فيه، مع العلم بوجود شخصيات خرجت بعد قتله إلى الإمام الحسين عليه السلام، وهذا أمر مثير للاستفهام والاستغراب وهو من الإشكالات التي يمكن أن تثار حول تلك الشخصيات التي عرفت بالولاء الصادق لآل محمد عليهم السلام، والثبات عليه وجسدته في كربلاء، مثل مسلم بن عوسجة الذي كان مع مسلم في الكوفة وروي أنه كان يستلم الأموال عنه وحبيب بن مظاهر الأسدي، وغيرهما ممن خرج إلى الإمام الحسين عليه السلام ووقف إلى جانبه ونصره واستشهد بين يديه.

فلماذا لم يقفوا مع مسلم بن عقيل؟

ولماذا لم يستشهد منهم أحدا معه؟

وهل فعلا كانوا ممن أسلموه؟

ويمكن لنا فرض عدة إجابات لعدم نصرة أمثال أولئك لمسلم.

الإجابة الأولى: إنهم كانوا ينتظرون قدوم الإمام الحسين عليه السلام فلم يخرجوا مع مسلم.

وهذا الجواب أولا: أنه دليل عليه.

وثانيا: أنه لوثبت ذلك فهو دليل واضح على تخاذلهم عن مسلم، واسلامهم إياه للقتل، وذلك أن انتظار الإمام عليه السلام على فرض ثبوته له وجهه ما لم يستجد أمر يوجب الخروج عليهم، فذلك التعليل مستبعد جدا لمثل أولئك الرجال الأبدال.

الإجابة الثانية: الإجابة بأنهم على موعد مع الإمام الحسين عليه السلام ونصرته، وهذه الإجابة تختلف عن سابقتها بفرض وجود الوعد.

فهذا أيضا لا يدفع تنجز التكليف عليهم في نصرة مسلم، ووجوب الدفاع عنه، فالدفاع عنه ليس إلا دفاعا عن الإمام الحسين عليه السلام وقضيته. هذا أولا.

ثانيا: أن من كان على موعد مع الإمام الحسين عليه السلام لنصرته فإن نصرته لمسلم لن تغير شيئا مما هو موعود به، إذا كان الواعد هو المعصوم، كما أن الوعد لا يسقط ما هو واجب فعلا.

الإجابة الثالثة: أن الكثير من الشخصيات الشيعية المعروفة قد أخذت وسجنت كميثم التمار، والمختار بن أبي عبيدة الثقفي، وسليمان بن صرد، وغيرهم من وجوه الشيعة المعروفة.

وهذه الإجابة معقولة وهي ترفع التكليف عمن هو السجن لو ثبتت لأحد، ولكنها محل نظر وذلك أن الظاهر أن أول من أخذ

وسجن هو هانئ، ولم يذكر أخذ أحد قبله أو معه حتى قتل مسلم، وعليه فيكون سجنهم بعد مقتل مسلم، فلا يصح الاعتذار لهم بالسجن.

ثانيا: أن ذلك عذر من سجن قبل قتل مسلم، وأما من لم يسجن أو يجن بعد مقتل مسلم فلا يصح الاعتذار له بذلك..

الإجابة الرابعة: وهي فرض دوران أمرهم بين المهم والأهم، فنصرة مسلم مهمة وعظيمة وثوابها كبير، ولكن نصرة الإمام الحسين عليه السلام أعظم وأكثر ثوابا وأهم.

فهذا أيضا جواب غير تام وذلك لأمور:

أولا: أن الدفاع عن مسلم منجز وأمر فعلي مطلوب في هذا الوقت، ونصرة الإمام الحسين عليه السلام والدفاع عنه لم يتحقق في الخارج موجبهما بعد.

وأما دعوى أن التأخر الزمني لا يمنع من التزاحم فيجب حفظ القدرة للأهم فهذه الدعوى ليست تامة كبرى وصغرى.

أما الكبرى فإن المهم منجز وفعلي فيجب امتثاله، والمفروض أن الأهم غير منجز، إذ هو متأخر فلا داعوية له الآن، فقطعا لا يجب امتثاله، وما لا يجب امتثاله لا يزاحم ما يجب امتثاله لا يزاحم ما يجب امتثاله. فالمورد خارج عن موضوع التزاحم.

وعلى فرض التسليم فيما كانت القدرة فيه عقلية، إلا أن ذلك فيما يعلم فيه بالتكليف المتأخر، وأما مع عدم العلم به أو الشك فيه، فإنه لا مورد للتزاحم، وموردنا من هذا الباب وسيتضح هذا الأمر.

وأما الصغرى وهي نصرة الإمام الحسين عليه السلام فليست معلومة المطلوبية مستقبلا، إذ لعل نصرة مسلم تستلزم انتصاره في الكوفة، فترتفع مطلوبية نصرة الإمام عليه السلام إذ بذلك يتمكن من الكوفة، فلا تكون نصرة الإمام عليه السلام مطلوبة على كل حال فلا يعلم وصول الأمر إلى المزاحمة في القدرة وعلى أقل التقادير فنشك في ذلك وهو يكفي في عدم العلم بالمزاحمة وعدم الجلوس عن مسلم. هذا أولا.

وثانيا: أنه لا دليل على توقف نصر الإمام عليه السلام على عدم نصر مسلم، فقد يتمكن من نصر الاثنين، وبذلك يخرج المورد أيضا عن موضوع التزاحم، إذ احتمال القدرة على كل الفعلين كاف في ارتفاع التزاحم.

ثالثا: لا دليل على حاجة الإمام الحسين عليه السلام إلى النصرة مستقبلا وقبل قتل مسلم فقد يصل وينتصر أو أنه يجد أنصارا آخرين أو أن مسلم لو نصر لا يقتل.

ورابعا: إن فرض أهم ومهم إنما يكون في موضوعين مختلفين، أما إذا لم يكن إلا موضوع واحد فلا مورد للتزاحم ليفرض أهم

ومهم، وقضية مسلم هي قضية الإمام الحسين عليه السلام فهما موضوع واحد وقضية واحدة.

خامسا: إنما يفرض التزاحم في فرض العلم بالتمكن من الواجب الآخر في ظرفه لولا صرف القدرة في غيره، أما مع احتمال عدم القدرة لأمر آخر كتعرضه للسجن أو غير ذلك من الموانع المتوقعة من ابن زياد، فإن تنجز التكليف بالواجب الفعلي لا إشكال فيه، بل لعله يكفي عدم العلم بالبقاء حتى إدراك الواجب الآخر في تنجز الواجب الفعلي.

والنتيجة لهذا أن التزاحم غير معلوم على فرض تسليم الكبرى. فتلك الدعوى ليست بتامة.

وثانيا: أن نصرة رسول الإمام عليه السلام نصرة للإمام عليه السلام.

وثالثا: أنه لم يثبت أن ثواب من قتل مع الإمام الحسين عليه السلام أكثر من ثواب القتل مع مسلم فالقضية واحدة.

ورابعا: لو ثبت أنهم فعلا تخلوا عنه لأي سبب من تلك فهو يثبت تخاذلهم عنه ويكونون بذلك قد أسلموه ومن الواضح أن لا يقبل أحدا اعتذار من يعتذر منهم بأنا تركنا نصرة مسلم رغبة في نصرة الإمام الحسين عليه السلام وخصوصا ممن لم يستطع نصرة الإمام عليه السلام في كربلاء.

خامسا: أن نصرة الإمام عليه السلام والشهادة بين يديه أمر غيبي فلا وجه للتعليل به ولا سيما أن ذلك لم يحصل بعد.

الإجابة الخامسة: دعوى أن الشهادة مع الإمام عليه السلام أفضل من الشهادة مع مسلم.

فإنها غير تامة وذلك أن الشهادة مع الإمام عليه السلام لم يتحقق موضوعها بعد فلا وجه لتعليل ترك نصرة مسلم بها. هذا أولا.

ثانيا: أن الشهادة مع مسلم هي في الواقع شهادة مع الإمام الحسين عليه السلام ولا دليل على أن شهداء كربلاء أفضل من مسلم من هذه الجهة كما تقدم.

والجواب الذي نراه صحيحا ومعقولا ولا يلزمه شيء من ذلك هو عدم علمهم بخروج مسلم لتخليص هانئ، والدليل على ذلك ما ذكرناه من كبر الكوفة، وترامي أطرافها وصعوبة انتشار الأخبار فيها بسرعة، فوسائل الإعلام المتعارفة هي المساجد والأسواق. أضف إلى ذلك أن دخول عبيد الله بن زياد الكوفة المفاجئ عكس أثره على حركة من عرف بالتشيع لا سيما الشخصيات الشيعية المعروفة فقلت حركتها وازاد تكتمها.

كما أن حركة مسلم لم تكن متوقعة وهذا هو الأهم إذ أنها كانت مرهونة بقدوم الإمام الحسين عليه السلام وما حدث لم يكن مرتبا له

من ذي قبل، فالرجال الذين يعتمد عليهم لم يكونوا حاضرين عندما استجد أمر الغدر بهانئ، وكان تحرك مسلم بمن اجتمع له من عامة الناس أمرا ضروريا ومفاجئا، وتسارعت معه الأحداث والملابسات حتى قتل مسلم.

نعم قد ورد في مقتل أبي مخنف أن مسلما عقد لمسلم بن عوسجة الأسدي لواء وكذا عقد لأبي ثمامة الصائدي لواء آخر، وهذا يعني تواجد مسلم بن عوسجة وأبو ثمامة الصائدي في ضمن من اجتمع لمسلم، وكانا من أصحاب الألوية، وقد عرض بهم بعض من كتب عن الإمام الحسين عليه السلام، وأنهم من جملة من فروا عن مسلم، وبهذا يعود إشكال تخلي هؤلاء عن مسلم وإسلامهم إياه.

والذي نعتقده هو استبعاد صحة تلك الرواية لأمرين.

الأول: أن تلك الرواية لم يروها إلا أبو مخنف ولم يروها أحد غيره من أرباب السير والمقاتل كالشيخ المفيد وابن شهر شوب وابن طاووس، والظاهر أن كل من رواها فهو يرويها عن أبي مخنف كأبي الفرج الأصفهاني.

الثاني: وهو المهم أنه بعد تخاذل أهل الكوفة عن مسلم لم يوجد في ذلك الوقت سبب يوجب لهما – ابن عوسجة والصائدي – تركه، فليس

هناك حرب فقد دخل مسلم المسجد وصلى المغرب وصلى معه جماعة إلى أن تخلوا عنه، وبقي يسير وحده ولم يرو حدوث أي مواجهة له مع أحد أو أن أحدا طارده من قبل ابن زياد، فقد كان ابن زياد ومن لاذ به متحصنا في القصر، كما أنه لم تظهر حتى إشاعة عن قتله أو أسره حتى يفرا ويتخلى عنه، فما هو الموجب لتخلي من عرف بالإيمان والوفاء والولاء والشجاعة سابقا ولاحقا؟

فلا أقل من اصطحابه إلى مأمن، ولا سيما في تلك الظروف التي لم تنتظم الأمور بعد فيها لابن زياد، فإن الخروج مع مسلم من الكوفة، أو إخراجه ليس بالأمر العسير، وعلى كل فإن دواعي بقائهما مع مسلم والحفاظ عليه موجودة، والموانع مفقودة، والمهم أن شخصيتي مسلم بن عوسجة وأبي ثمامة الصائدي الإيمانية وشجاعتهما وولائهما الصادق ووفائهما أمور تمنع تصديق تخليهما عن مسلم أو فرض تخاذلهما عنه، خصوصا مع عدم وجود طمع لهما في وعود ابن زياد وترغيبه، ولا خوف لديهما من وعيده وترهيبه[1].

---

(١) واحتمل بعض الأعلام أنه على فرض صح الرواية فإنهما بعد تخاذل اصحابهما عنهما أصبحا مطلوبين كمسلم ومن البديهي أنهما في خضم تلك الأحداث لن يستطيعا أن يصلا لمسلم أو يعلما مكانه فهما يحتاجان لمأمن كمسلم. ⇦

ولنعد لما كنا فيه إن قتل مسلم وحيدا دليل واضح على صعوبة انتشار الأخبار، ولا سيما الخطيرة منها، فإذا كان أولئك الافذاذ لم يعلموا بخروج مسلم وهو في الكوفة فما بالك بخبر قدوم الإمام الحسين عليه السلام.

وعليه فالعلم بقتل مسلم وحيدا يؤيد مواصل المسير لا الرجوع، فوصوله عليه السلام كفيل أن يجمع حتى من تفرق عن مسلم، فضلا عن من لم يعلم بخروجه لا زال ينتظر وصول الإمام الحسين عليه السلام، ويترقب خبر قدومه، وعلى كل فإن شخصية الإمام عليه السلام لها خصوصياتها وتأثيرها في الناس أكثر من أي شخصية أخرى.

وبهذا أشار عليه أصحابه كما تقدم، ولأجل ذلك واصل الإمام الحسين عليه السلام مسيره.

فإذن مواصلة المسير في مثل ظرف الإمام الحسين عليه السلام حتى بعد مقتل مسلم ورسوليه والعلم به كان أمرا عقلائيا عرضه عليه أهل الدين والعقل وأصحاب البصائر النافذة، وكما أن له أبعاده وأهميته

⇨ وهذا الوجه وإن كان معقولا إلا أنه لا يخلو من إشكال فإن مسلما أهم من ابن عوسجة والصائدي ولم يطلب في ذلك الوقت ولم يلق كيدا أو حربا حتى صلى وخرج من المسجد فأصحابه كانوا يفرون عنه ولم يطلبوه فهما أولى أن لا يطلبان.

بل وخطورته الكبيرة، فإنه من شأنه أن يقلب الوضع على بني أمية في الكوفة.

وبعد اتضاح رأي العقلاء في مواصلة المسير ومرجاته وأبعاده وخطورته، فكما تقدم أنه حتى أعدائه أدركوا خطورة وصول الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة أو وصول رأي شيء منه أوعنه إلى أهلها فاتخذوا تلك الإجرآت الصارمة.

وبعد هذا نقول إن الرجوع له مبرراته ومرجحاته، وأيضا مواصلة المسير كذلك له مبرراته ومرجحاته، ولأجل كل ما تقدم يمكن لنا أن نقول بضرس قاطع إن مواصلة المسير إلى الكوفة وبنفس الهدف الذي تحرك من أجله الإمام الحسين عليه السلام من مكة أرجح من الرجوع، وإذا كان أرجح فهو المتعين، ويسقط فرض الرجوع لا لعدم الموضوعية له والوجه فيه، بل لأنه مرجوح، وأما التضحية فلا موضوعية لها، وعلى كل فالأمل ما زال كبيرا بانقلاب الوضع في الكوفة عند وصول الإمام الحسين عليه السلام والتقائه بالمجتمع الكوفي.

وحيث إن الأمويين أدركوا خطورة الموقف وأثر وصول الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة اتخذوا تلك الإجراءات الصارمة بشكل سريع، فحاصروا الكوفة لمنع وصول الإمام الحسين عليه السلام، أو

وصول خبر قدومه أو أي شيء من قبله عليه السلام - رسلا كان أو رسائلا - يعطي ذلك المجتمع الأمل في الخلاص من بني أمية، فقاموا بالتعتيم الإعلامي على حركة الإمام الحسين عليه السلام، وأخذوا رسولي الإمام الحسين عليه السلام إلى المجتمع الكوفي عبد الله بن قطر وقيسا، ولما أن جيء بهما إلى الكوفة أدركا ما يقوم به ابن زياد من التعتيم الإعلامي على قضية الإمام الحسين عليه السلام وحركته، فقاما بإعلام أهل الكوفة بمكان الإمام وحثا أهل الكوفة على نصرته ومؤازرته على ابن مرجانة، فبرغم القبض عليهما وأسرهما وعلمهما بما ينتظرهما من القتل، ومع أنهما مرسلان إلى جماعة خاصة، إلا أن قدسية قضية الإمام الحسين عليه السلام أعطتهما الروحية القوية والشجاعة الكافية لتبليغ رسالة الإمام الحسين عليه السلام إلى أهل الكوفة، فهذا قيس عندما خيره بن زياد بين إخباره بالأسماء التي في الكتاب الذي خرقه، أو يصعد المنبر ويسب الإمام الحسين عليه السلام اختار صعود المنبر:

فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي وآله وأكثر من الترحم على علي والحسن والحسين ولعن عبيد الله ابن زياد وأباه وعتاه بني أمية ثم قال:

(أيها الناس إن الحسين ابن علي خير خلق الله، وابن فاطمة بنت رسوله، وأنا رسوله إليكم، وقد خلفته بالحاجر فأجيبوه)[1].

---

(١) مقتل الحسين، آل بحر العلوم، ص١٨٠.

نعم رغم علمه بما ينتظره من المصير إلا أن تطورات القضية الحسينية يجب أن تصل إلى أهل الكوفة، ويجب أن يعلموا بقدوم الإمام الحسين عليه السلام بأي ثمن كان ولوكان نفسه.

ومثله كان موقف عبد الله بن يقطر أيضا فإنه صعد المنبر وأعلن في الناس الدعوة لنصرة الإمام الحسين عليه السلام على ابن مرجانة فقال:

(أيها الناس أنا رسول الحسين إليكم لتنصروه وتؤازروه على ابن مرجانة وابن سمية وابن الدعي لعنه الله)[1].

والخلاصة هنا أن اختيار مواصلة المسير إلى الكوفة هو الخيار الأمثل والأرجح الذي ينبغي للإمام عليه السلام اختياره، بل هو المتعين كما أن خبر مقتل مسلم وحيدا يؤيد مواصلة المسير لا الرجوع. وذلك ما فعله واختاره الإمام الحسين عليه السلام.

وبذلك نكون قد استطعنا أن نجيب عن تلك الاستفهامات بما يتناسب مع حركة الإمام عليه السلام منذ البداية، وبشكل عقلائي بل وعرفي متسق تماما مع نظريتنا وتحليلنا الحسينية على أساس الصلح الحسني والتجربة الكوفية.

---

(١) مقتل الحسين، آل بحر العلوم، ص ١٨٧.

وبهذا نكون قد تجاوزنا العقبة التي حيرت العلامة مطهري وغيره وألجأته إلى اختيار تلك النظرية، أو أقنعت آخرين بغيبية القضية الحسينية، ودعت ثالثا إلى دعوى توجهه للشهادة مع علمه العادي بمقتله عليه السلام.

اللقاء المصيري:

اختار الإمام الحسين عليه السلام المسير إلى الكوفة والالتقاء بالمجتمع الكوفي بنفسه فواصل مسيره إليها، ويحالفه التوفيق ولا زال التوفيق حليفه بأن يلتقي بالحر بن يزيد الرياحي وهو في ألف فارس، خرجوا يجوبون الفيافي بحثا عن الإمام الحسين عليه السلام، نعم يحالفه الحظ أن يلتقي بهم وهم بحالة يرثى لها، من حر الهجير وشدة العطش، فأشرفوا على الموت والهلاك عطشا.

ما عسى أن يفعل الإمام الحسين عليه السلام مع هؤلاء، هل ينهج معهم نهج سياسيي الدنيا؟

هل يقتنص الفرصة في حالهم فيساومهم على الماء ليشتري منهم الولاء؟

أو يتركهم يموتون عطشا؟

ولكن ماذا لو فعل الإمام الحسين عليه السلام ذلك؟

فما الفرق بينه وبين أولئك السياسيين الذين لا يرون للمبادئ في حركتهم أي قيمة، فالقيمة لغاياتهم مهما كانت الوسيلة؟

ما الفرق بينه وبين من يرتقي الرقاب بالمساومة على الحياة؟

وما الفرق بينه وبين أولئك الذين يشترون الضمائر والأديان والولاء بالأموال والسيف بالترهيب والترغيب؟

نعم لو ساومهم بالماء على حياتهم لما كان هناك فر بينه وبين معاوية عندما اقتحم أصحابه النهر في صفين فمنعوا أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام منه.

لو منعهم الماء لاختلف منهجه مع منهج أمير المؤمنين عليه السلام وخالفت سيرته سيرة سيد الوصيين عليه السلام، فإنه عليه السلام لما ملك أصحابه الماء وكشفوا عنه الفئة الباغية معاوية وأصحابه، أمر أمير المؤمنين عليه السلام أن يخلوا بينهم وبين الماء، وهم أعداؤه وفي حال حرب معه!

وهيهات أن يتخذ الإمام الحسين عليه السلام سيرة غير سيرة أمير المؤمنين ونهجا غير نهج سيد الوصيين عليهما السلام أو أن يهبط من سمو أخلاق النبوة ورفعة آداب الإمامة إلى سبل سياسي الدنيا وطرقهم المقتنصين الفرص في ضعف الآخرين، ولو على حساب الأخلاق والدين، إنه أعلى وأجل من ذلك وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام:

(والله ما معاوية بأدهى مني ولكنه يغدر ويفجر)[١].

وقال أيضا: (قد يرى الحول القلب وجه الحيلة، ودونه مانع من أمر الله ونهيه، فيدفعها رأي العين بعد القدرة عليها، وينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدين)[٢].

فإن الإمام الحسين عليه السلام لا يريد أي شخص ينضم إليه مضطرا لما في يده، بل يريد أناسا يعقلون موقفه ويفهمون قضيته، يعرفون الحق ويعشقون الكرامة ولو كانت في الممات، ويكرهون الذلة والمهانة ولو في الحياة، يريد أناسا لديهم دوافع إيمانية ذاتية أقنعتهم بلزوم تغيير الخارج إلى الأصلح، باجتثاث كل أسباب الفساد سياسية كانت أم اقتصادية أم اجتماعية أم إدارية ن يريد أناسا تحركهم نحو ذلك المعرفة والدين لا الحاجة والاضطرار.

كما أنه لا ينبغي له أن يعامل هؤلاء على أنهم أعداء، فهو لم يخرج لقتالهم، وعلى كل ففي كرم أخلاق الإمام الحسين عليه السلام العالية وصفاته السامية كفاية ليمتلك بها قلب كل حر من هؤلاء العطاشى وولائه، وهو في غنى بها عن تلك الأساليب الدنيئة، ولذلك فإن

---

(١) نهج البلاغة، ج٢، ص ١٨٠.

(٢) نهج البلاغة، ج١، ص٩٢.

الإمام الحسين عليه السلام أمر فتيانه بسقي القوم، ولم يساومهم بل حتى أنه لم يسألهم إن كانوا معه أم عليه حتى شربوا كلهم وارتووا وفقد ورد أنه:

(لما رأى الحسين عليه السلام ما بالقوم من العطش، أمر فتيانه أن يسقوا القوم ويرشفوا الخيل ترشيفا، ففعلوا وأقبلوا يملؤون القصاع والطساس من الماء ثم يدنونها من الفرس ن فإذا عب فيها ثلاث أو أربعا أو خمسا عزلت عنه وسقي آخر حتى سقوهم وخيولهم عن آخرهم)[1].

ومن اللطيف ذكره هنا أن بعضهم تأخر وهو علي بن طعان المحاربي ولم يعرف كيف يشرب فقام الإمام الحسين عليه السلام بنفسه الشريفة وسقاه.

لو لم يكن للإمام الحسين عليه السلام مع هؤلاء إلا هذا الموقف الذي تجلى فيه رفعة شخصية وسمو أخلاقه لكان كفيلا أن يملكهم به، فقد أنقذ حياتهم.

كيف وهؤلاء من أهل الكوفة، وقد دعوا الإمام الحسين عليه السلام، وضمنوا مؤازرته، فلا بد لهم أن يتفانوا في نصرته، والدفاع عن قضيتهم وقضيته.

---

(١) مقتل الحسين، آل بحر العلوم، ص١٩٠؛ بحار الأنوار، ج٤٤، ص ٣٧٦.

وحيث إن هذه أول مجموعة وأول شريحة من المجتمع الكوفي يلتقي بها الإمام عليه السلام فإنها وإن كانت تحت سلطة ابن زياد إلا أن وجود الإمام الحسين عليه السلام لا بد وأن يؤثر في نفوسهم ويغير انتماءهم.

فهذا الإمام الحسين عليه السلام الذي طالما كاتبوه، ودعوه ووعدوه النصرة، وانتظروا تحركه وقدومه، قد قدم عليهم لإنقاذهم من تسلط بني أمية، فإن كانوا خرجوا مع الحر خوفا من سيف ابن زياد فالآن ها هم يلتقون مع الإمام الحسين عليه السلام، فإذا انضموا إليه فإنهم سوف يكونون في مأمن من سطوة ابن زياد.

والمهم هنا ما عسى أن ينتظر فعله من أي إنسان معتدل السليقة ذاق ما ذاقوا وتألم مثل تألمهم حتى لوكان ممن اعتاد الغدر والخيانة فإنه ينفر ممن آذاه وظلمه ويسعى في الانتقام منه والإيقاع به، فليس الأمر هنا مجرد دعوة بل كانت دعوة موتور ومظلوم فلا يمكن عقلائيا إلا توقع عدولهم إلى الإمام الحسين عليه السلام ووقوفهم معه؟

ماذا عسى أن يفعل حين يرى قيادته الحقيقية ن الممثلة لما ينتمي إليه من مبدأ ودين وقد استجابت لدعواته؟

وفي الطرف الآخر القيادة الزائفة الظالمة والجائرة المتسلطة التي عانى منها الويلات، فأصبح مظلوما موتورا منها ناقما وساخطا عليها وله عندها الثارات.

ترى هل يمكن لعاقل أن يتصور تردد هذه المجموعة في الانضمام إلى الإمام الحسين عليه السلام مهما كانت النتائج وخصوصا بعد هذا الموقف معهم من الإمام الحسين عليه السلام الذي أنقذ فيه حياتهم دون أن يساوهم على ولائهم؟

لا أعتقد أن هناك عاقلا يمكن أن يحتمل ترددهم فضلا عن وقوفهم إلى جانب ابن زياد وبني أمية، وهم الذين قتلوا خيارهم، واستبقوا أشرارهم وفعلوا فيهم فعل فرعون في بني إسرائيل، لا أعتقد أن عاقلا يتصور ذلك الموقف منهم.

وهذا الأمر أيضا مما يؤيد مواصلة الإمام عليه السلام المسير نحوهم فهو أمر عقلائي.

إن كل متعقل عرف حالهم مع بني أمية ليتوقع بل يقطع ولا سيما من هؤلاء مسارعتهم إلى الوقوف إلى جانب الإمام الحسين عليه السلام والانضمام إلى صفة وحزبه، والانضواء تحت لوائه والقتال دونه، كما كان يرى لزاما على الإمام عليه السلام أن يصدق دعواهم ويلبي استغاثتهم وندائهم، ولا يرى أي مبرر للتردد والتوقف في ذلك.

بعد أن شرب القوم وارتووا وانطفأت حرارة العطش من قلوبهم، وجّه الإمام الحسين عليه السلام سؤاله للحر: أ لنا أم علينا؟

أجابه الحر: بل عليك.

عرف الإمام منهم عدم الوقوف إلى جانبه، فقام فيهم خطيبا بعد أن حمد الله سبحانه وأثنى عليه قال:

(أيها الناس إني لم آتكم حتى أتتني كتبكم ن وقدمت علي رسلكم، أن أقدم علينا فليس علينا إمام لعل الله يجمعنا وإياكم على الهدى والحق، فإن كنتم على ذلك فقد جئتكم، فأعطوني ما أطمئن إليه من عهودكم ومواثيقكم، وإن لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين انصرفت عنكم إلى المكان الذي جئت منه إليكم)(١).

وهذا الخطاب له أهميته الكبرى في مسير الإمام الحسين عليه السلام إذ هو أول خطاب يوجهه الإمام عليه السلام بشكل مباشر للمجتمع الكوفي ممثلا في هذا الجيش، متجاهلا فيه انتماءه السياسي والرسمي أو القيادي، فهو لا يخاطب جيشا لبني أمية، ولا أناسا خرجوا لقتاله أو إدخاله الكوفة تحت نظرهم.

بل يخاطب مجتمعا كاتبه ودعاه إلى قيادته، وأعطاه البيعة والولاء، مجتمعا يريد الخلاص من ظلم بني أمية فلذلك قال: (فإن كنتم على ذلك فقد جئتكم فأعطوني ما أطمئن إليه من عهودكم).

إن جواب هؤلاء هو الحد الفاصل بين مواصلة الإمام الحسين عليه السلام مسيره أو الرجوع من حيث أتى، وذلك أن المسير كان

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٧٦.

مبنيا على أمل انحياز المجتمع الكوفي إلى جانب الإمام عليه السلام، ووقوفه معه عند وصوله ورؤيته له، وأنه سوف يتفانى في نصرته، فلذلك كان هذا اللقاء هو الحد الفاصل، بين المضي قدما أو الانصراف إلى المكان الذي منه أتى فإن أثر أثره فانضموا إليه، وفعلوا ما ينبغي لأي مجتمع عاش تجربتهم أن يفعله، فتركوا بني أمية ووقفوا إلى جانبه اهتدوا بهدايته وفازوا بقيادته، وأصابوا حظهم، وأنقذوا أنفسهم وتخصلوا من عدوه وعدوهم، وواصل مسيرته معهم.

وإن تكن الأخرى فلا معنى لمواصلة المسير تجاه الكوفة فلذلك قال:

(وإن لم تفلعوا وكنتم لمقدمي كارهين انصرفت عنكم إلى المكان الذي جئت منه إليكم).

قلنا سابقا إن مواصلة المسير أرجح من الرجوع لا أن الرجوع ليس له مبرراته التامة. هنا يظهر ذلك فحيث منع الإمام عليه السلام من دخول الكوفة فارتفعت أرجحية مواصلة المسير تعين الرجوع من حيث أتى.

ثم إن ما ذكرناه من مرجحات مواصلة السير لا يفيد وجوده هنا وذلك لأنه سوف يتوقف على قتال الحر وجيشه من أهل الكوفة وهذا مما لا يمكن أن يقدم عليه الإمام عليه السلام لأنه سوف يكون سببا

لضعف حركته وبناء دوافع الوقوف ضده ممن ينتظر نصرته ومؤازرته، بخلاف ما لو تركوه يمضي بمفرده واجتمع إليه من يعرف ولائه وصدقه ورتب معه أمره فإنه يستطيع الوقوف بهم في وجه من يقف مع عدوه.

وعلى كل لم يجب أحد على خطاب الإمام الحسين عليه السلام سوى الحر بعدم كتابه أو معرفته بتلك الكتب، أما الباقي فسكتوا ولم يجيبوا، وتركهم الإمام الحسين عليه السلام يفكرون دون الإلحاح عليهم بالجواب، وأمر بالصلاة وتقدم وصلى وصلوا معه، وهنا الغرابة إنهم صلوا بصلاته.

صار وقت صلاة العصر وبعد الصلاة ألقى خطابه الثاني عليهم، فبعد أن حمد الله وأثنى عليه قال:

(أما بعد أيها الناس فإنكم إن تتقوا الله، وتعرفوا الحق لأهله يكن أرضى الله عنكم، ونحن أهل بيت محمد أولى الناس بولاية هذا الأمر عليكم، من هؤلاء المدعين ما ليس لهم، والسائرين فيكم بالجور والعدوان، فإن أبيتم إلا الكراهية لنا، والجهل بحقنا، وكان رأيكم الآن غير ما أتتني به كتبكم، وقصت علي به رسلكم، انصرفت عنكم)(١).

---

(١) بحار الأنوار، ج ٤٤، ص٣٧٧.

غـيّر الإمـام الحسـين عليه السلام موضـوع خطابـه عـن الأول، ففـي الأول بين لهم أن قدومـه إنـما كـان لـدعوتهم لـه فـإن كـانوا بـاقين عـلى دعـوتهم فليعطوه بيعتهم وعهدهم، وإلا انصرف عنهم.

أما هنـا فإنـه جعـل هـذا الخطـاب دعـوة إلى بيعتـه، وبيانـا لأحقيتـه بالخلافة وولايـة الأمـر، فسـواء كـانوا ممـن كتبـوا لـه أو ممـن كتبـوا لـه أو ممن لم يكتبوا فيجب عليهم تقديمـه عـلى بنـي أميـة يقلـدوه أمـر الخلافـة، فهومن أهـل بيـت محمـد صلى الله عليه وآله الـذين أذهـب الله عـنهم الـرجس وطهـرهم تطهيرا، وأوجـب عـلى الأمـة طـاعتهم ومـودتهم وولايـتهم، وكـل ذلـك ممـا لا يقبـل التشـكيك، فهـو ممـا أنزلـه الله في كتابـه، وفرضـه عـلى عبـاده وجعلـه ديـن يـدان بـه، وأوجبـه لهـم عـلى الأمـة كافـة، وبـه يكـون أولى بولاية هذا الأمـر مـن بنـي أميـة، الـذين دخلـوا معهـم في تجربـة طويلـة، فلـم يـروا مـنهم إلا الجـور والعـدوان، ولم يظفـروا مـنهم إلا بـالظلم والطغيـان، وهـذا تـذكير لهـم بعـداوة بنـي أميـة لهـم، وفي هـذا تأكيـد لمـا ذكرنـاه سـابقا مـن انـه اعتمـد في حركتـه عـلى نتيجـة تجـربتهم مـع بنـي أمية.

وهـذا الخطـاب لـه أهميتـه فهـو يحمـل في طياتـه أسـلوبا إقناعيـاً واسـتدلالياً، ودعـوة حتـى لمـن لم يكتـب إليـه، فهـو يـدعو الجميـع إلى تقـوى الله والخـوف منـه، ومعرفـة الحـق وأهلـه واتباعـه، فعـدم الكتابـة

إليه ليست عذرا مقبولا عند الله سبحانه، فلا بد من انصاف النفس ومعرفة الحق واتباعه، فهو أرضى لله سبحانه وتعالى، وحيث إن القرآن قد نص على طهارته وأوجب طاعته ومودته فهو أولى بولاءة الأمر، فالانصاف ومعرفة الحق يوجبان تقديمه، وعليه فالوقوف إلى جانبه ومبايعته واجب يلزم كل موحد ولا يتوقف على الكتابة إليه، ويكون بذلك قد رد على الاعتذار الحر بعدم معرفته بالكتب وأنه لم يكتب إليه.

كما أن ظلم بني أمية وجورهم واقع عاشوه كلهم، وهو وجدان فلا يحتاج إلى إثبات أو برهان، والنتيجة الضرورية لذلك أولوية أهل بيت محمد عليهم السلام والإمام الحسين عليه السلام بالخصوص بالولاية والخلافة على المسلمين ممن ظلمهم وسار فيهم بالجور والعدوان.

وأيضا هنا في هذا الخطاب كما في سابقه تجاهل انتماء ذلك الجيش فخاطبهم بواقع انتمائهم واستدل على أفضليته بثقافتهم ودينهم وعقائدهم الإسلامية التي نصت على أفضلية أهل البيت عليهم السلام وعلى خلافتهم وإمامتهم فينبغي تسليم الأمر لهم.

وأيضا استدل على أولويته بالخلافة بواقعهم فخاطبهم بما أنهم مجتمع عايش حكم بني أمية فلم يجد إلا السيف والظلم والجور والعدوان.

وكان هذا الخطاب كفيلا أن يقنع كل متعقل عاش تجربتهم، ويقطع عذر من اعتذر منه بعدم الكتابة إليه، فإنه وإن لم يكتب إليه غلا أن صدق ما ذكره من أحقيته وأولويته، وعداوة بني أمية وظلمهم وجورهم كافيان لإقناعه، وجعله ينضم إليه ويقف إلى جانبه وينصره. وإن تكن الأخرى انصرف عنهم.

ولكن الصمت كان جوابهم، فطمعهم في خسيس العيش مع بني أمية أصم أسماعهم عن الحق وصوته، وأعمى بصائرهم عن الهدى ونوره، فلم يجيبوا عن أمر كتبهم حتى بالنكران، أو على احتجاجه عليهم بأولويته بالأمر بالكذب أو البطلان، أوعن لم بني أمية لهم بالزور والبهتان، فالكتابة واقع، والاحتجاج صحيح، وظلم بني أمية حقيقة، وكل ذلك يهتف بوجوب تقديم الإمام الحسين عليه السلام ومبايعته والانضواء تحت لوائه ونصرته مهما كانت النتيجة.

ركب الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه وركب الحر وأصحابه.

وهنا اعترض الحر موكب الإمام الحسين عليه السلام، معلنا مضيه في تنفيذ أوامر ابن زياد، وهي أن يقدم الإمام الحسين عليه السلام على ابن زياد، ويمنعه من الرجوع إلى المدينة أو دخول الكوفة منفردا.

ولكن الإمام الحسين عليه السلام أمر أصحابه بالانصراف فاعترض الحر موكبه.

طلب الرجوع:

الظاهر أن الانصراف الذي أمر به الإمام الحسين عليه السلام أراد به الانصراف عن الكوفة إلى المدينة، والدليل على أنه أراد الانصراف إلى المدينة قوله في خطابه الأول:

(وإن كنتم لمقدمي كارهين انصرفت عنكم إلى المكان الذي جئت منه إليكم).

وكذلك قول الحر له:

(إني لم أؤمر بقتالك، إنما أمرت أن لا أفارقك حتى أقدمك الكوفة، فإذا أبيت فخذ طريقا لا يدخلك الكوفة، ولا يردك إلى المدينة)[1].

وأضف إلى ذلك اعتذار الحر بعد انضمامه إلى الإمام الحسين عليه السلام:

(أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع، وسايرتك في الطريق)[2].

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٧٨.

(٢) بحار الأنوار، ج٤٤، ص١١.

فـإذا مـن ذلـك نعلـم أن الإمـام الحسـين عليه السلام أراد مـن الانصــراف الرجـوع إلى المكـان الـذي جـاء منـه وهـو المدينـة، ومـن الواضـح ان اختيـاره الرجـوع هنـا لسـقوط الأمـر بـالمعروف والنهـي عـن المنكـر لارتفاع شرطيهما بسبب عـدم النـاصر فـلا موضـوع لهـما وعليـه فـلا بـد لـه مـن الرجـوع ولـذلك أمـر أصـحابه عليهم السلام بالانصـراف، وبهـذا يتضـح أن مـا ذكرتـه النظريـات المتقدمـة مـن جهـة مواصـلة المسـير بقصـد الشــهادة لـيس بتـام، ومثلـه دعـوى الإصرار عـلى الأمـر بـالمعروف والنهـي عـن المنكـر حتـى مـع عـدم النـاصر، فـلا دليـل عليهـا، وهـذه التصـــريحات بـــالأمر بالانصـــراف مـــن الإمـــام الحســـين عليه السلام تردهـــا فإنه عليه السلام أراد الرجوع لكن الحر منعه عن ذلك.

كـما أنـه لا فائـدة في دخـول الكوفـة تحـت نظـر ذلـك الجـيش فمـن الواضـح أنـه سـوف يمنـع النـاس مـن الالتقـاء بالإمـام الحسـين عليه السلام أو الالتحـاق بـه والاجـتماع إليـه، ولـن يعطـي الإمـام عليه السلام أيـة فرصـة لـذلك فيتعين حينئذ الرجوع.

معقولية طلب الرجوع:

ربما يقال: مـا معنـى طلـب الرجـوع بعـد أن تمكـن منـه جـيش ابـن زياد؟

أكان يظن أن ابن زياد يتركه يرجع بعد أن تمكن منه؟!

فيمكن دعوى أن مواصلته للمسير كان بهدف الشهادة، فيكون ذلك مؤيدا للنظرية القائلة بأن إقباله إنما كان للتضحية والشهادة أوترك التقية.

ولكن ذلك ليس بصحيح وذلك:

أولا: أن الموقف الآن ليس مع ابن زياد بل مع أهل الكوفة الذين كاتبوه ودعوه والأمر الآن في أيديهم، ولذلك كانت خطابات الإمام عليه السلام لهم بلحاظ كتابتهم له، وأخرى من جهة أحقيته بالخلافة والأمر، وثالثة بلحاظ ما ينبغي لهم فعله حتى لو لم يكتبوا له، وذلك بالتأكيد على عداوة بني أمية لهم ولكل مسلم بسبب ظلمهم وجورهم، ومن الواضح أن هذه الأمور إن لم تقنعهم بالوقوف إلى جانبه فهي كفيلة أن تمنعهم من الوقوف ضده.

وثانيا: أن طلب الرجوع وقبولهم به في مثل قضية الإمام الحسين عليه السلام أمر عقلائي فإن أي عاقل هنا لن يستبعد من هؤلاء السماح للإمام الحسين عليه السلام بالرجوع وذلك أن هؤلاء هم الذين كاتبوه ودعوه ووعدوه النصر، فنقطع أنهم إذا لم يفوا له وينصروه فلن يسلموه لعدوهم وعدوه فضلا عن أن يعدوا عليه ويقتلوه.

ثالثا: أنه كان من المعقول جدا أن يتوقع منهم منع ابن زياد من الإقدام على قتله حتى مع وقوفهم معه، وفي موقف الحر دليل على ذلك، فمن الواضح أن موقفه كان بسبب رفضهم رجوعه أو تركه يتوجه إلى مأمن من الأرض، فلما أصروا على رفضهم ودافع عن الإمام الحسين عليه السلام إلى أن قتل.

رابعا: أن كون الإمام الحسين عليه السلام أحد سيدي شباب أهل الجنة وكونه ابن بنت النبي محمد صلى الله عليه وآله وكذا تعهد الحكومة السابقة له ولأخيه بتسليم الأمر له قد يمنع حتى ابن زياد من قتله ويؤيد هذا موقف وإلى المدينة المتقدم.

خامسا: ارتفاع الخطر الذي كان يمثله الإمام الحسين عليه السلام على الدولة الأموية بعد غدر أهل الكوفة ووقوفهم إلى جانب ابن زياد.

سادسا: وهو المهم هنا فإن قيادة جيش يزيد المتمثلة في عمر بن سعد قد اقتنعت بعرض الإمام الحسين عليه السلام الانصراف إلى المكان الذي منه أتى، ورأى في ذلك انطفاء النائرة وجمع الكلمة وصلاح الأمر وكتب إلى ابن زياد:

(أما بعد فإن الله أطفأ النائرة، وجمع الكلمة، وأصلح الأمر، هذا الحسين قد أعطاني أن يرجع إلى المكان الذي منه أتى، أو أن يسير إلى ثغر من ثغور المسلمين، له ما لهم وعليه ما عليهم...)[1].

وهذا دليل واضح ليس على صحة عرض الإمام الحسين عليه السلام وعقلائيته فقط بل على قبوله وتبنيه أيضا، فإن ابن سعد ما كتب لابن زياد إلا لأنه كان يرجو قبوله.

سابعا: وهو الأهم أن ابن زياد نفسه قبل عرض الإمام الحسين عليه السلام أو أنه وجده معقولا ولا مانع من قبوله ولا وجه لرده، إلا أن اعتراض شمر لعنه الله غير رأيه أو منعه من القبول فقال لابن زياد:

(أتقبل هذا منه، وقد نزل بأرضك وأتى جنبك؟

والله لئن رحل ليكونن أولى بالقوة، ولتكونن أولى بالضعف والعجز، فلا تعطه هذه المنزلة، فإنها من الوهن، ولكن لينزل على حكمك هو وأصحابه، فإن عاقبت فأنت أولى بالعقوبة، وإن عفوت كان ذلك لك. فقال ابن زياد نعم ما رأيت)[2].

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٩٠.

(٢) نفس المصدر السابق.

فقوله أتقبل هذا منه استنكارا عليه دليل واضح إما على قبول ابن زياد أو توقع شمر قبوله فاستنكر عليه لألا يقبل.

وكذلك ابن سعد أيضا كان ينتظر قبول ابن زياد ويتوقعه منه، ولذلك قال لشمر عندما جاء برفض ابن زياد:

(ما لك ويلك لا قرب الله دارك، وقبح الله ما جئت به، وإني لأظنك نهيته عما كتبت به إليه، وأفسدت علينا أمرا قد كنا رجونا، أن يصلح، لا يستسلم والله حسين، إن نفس أبيه لبين جنبيه)[1].

وجوابه هذا لشمر يدلنا صريحا على عدم قناعته بقتال الإمام الحسين ﵇ كما يدلنا أيضا على معقولية عرض الإمام ﵇ الرجوع بل والموضوعية لقبوله، بل إن عمر ابن سعد قد قبله فعلا وكتب به لابن زياد، وكان يتوقع منه قبوله، ولذلك لما أن جاء جواب كتابه برد عرض الإمام الحسين ﵇ (أما بعد فإني لم أبعثك إلى الحسين لتكف عنه، ولا لتطاوله ولا لتمنيه السلامة، ولا لتكون له عندي شفيعا) وعرف منه ابن سعد أن ابن زياد فهم اقتناعه بترك الإمام الحسين ﵇ يرجع، وأنه هو يعرض ذلك عليه، ولذلك عبر عنه

(١) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٩٠.

بكونـه شـفيعا لـه، فلـما أن جـاء كتابـه بـرده اتهـم شـمرا بنهيـه عنـه، وافساده مـا كـان يرجـوه ويتوقعـه مـن موافقـة ابـن زيـاد، إذ لـيس هنـاك أي مبرر لقتـال الإمـام الحسـين عليه السلام فقـال لشـمر (وإني لأظنـك نهيتـه عـما كتبت بـه إليـه، وأفسـدت علينـا أمـرا قـد كنـا رجونـا أن يصـلح) وذلـك ما حدث بالفعل، فإن شـمرا كـما تقـدم قـد فهـم قبـول ابـن زيـاد رجـوع الإمـام الحسـين عليه السلام فوقـف منـه ذلـك الموقـف حتـى غـير رأيـه في تـرك الإمام عليه السلام، وقبل مشورته فيه فكتب بها لابن سعد.

والخلاصـة لهـذا كلـه أن تـرك الإمـام الحسـين عليه السلام يرجـع بعـد غـدر أهل الكوفة كان معقولا بل مقبولا حتى لدى ابن سعد وابن زياد.

ولهـذه الأمـور نجـد مجـالا واسـعا وموضـوعية لاسـتغراب الإمـام الحسين عليه السلام من تهديد الحر له بالقتل وقوله له:

(وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلونني).

استنكارا على الحر عندما قال مخوفا له:

(أذكرك الله في نفسك فإني أشهد لئن قاتلت لتقتلن).

إذ لا موجـب لقتلـه حتـى مـن الحكومـة الأمويـة، فضـلا عـن أن يكون القتل مـن أهـل الكوفـة وبيـدهم، فـذلك مـا يـم ينتظـر أو يتوقـع، فلـذلك كـان الاسـتنكار والتعجـب في محلـه، فـلا أعتقـد أن هنـاك عاقـل

منصف يمكن أن يتصور أن مجتمعا يدعو مصلحا وقائدا لينقذه من عدوه، ثم يتركه ويتخلى عنه ويمنعه من الرجوع فضلا عن أن يسلمه لعدوه أو يقتله.

ودليل واضح على ذلك موقف الحر نفسه وهو قائد في ذلك الجيش لم يكن يدور في خلده أو حسبانه إن أهل الكوفة يردون غرض الإمام الحسين عليه السلام أو يسلمونه إلى عدوه وعدوهم، أو يقاتلونه هم بأيديهم، فلذلك قال لعمر ابن سعد مستنكرا:

أم قاتل أنت هذا الرجل؟!

ثم قوله: أفما لكم فيما عرضه عليكم رضا؟

وقد عرض عليهم الإمام الباقر عليه السلام أن يدعوه ينصرف إلى مأمن من الأرض وأيضا قوله للإمام الحسين عليه السلام:

(وما ظننت أن القوم يردون ما عرضته عليهم، ولا يبلغون بك هذه المنزلة، والله لو علمت أنهم ينتهون بك إلى ما أرى، ما ركبت مثل الذي ركبت)[1].

وكذا في خطبته عليهم.

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٥، ص ١١.

فكل ذلك لا يدع للشك مجال بأن طلب الإمام الحسين عليه السلام الرجوع كان معقولا وكان ينبغي أن يجاب فيترك يرجع، وأيضا توقع قبوله منهم كذلك بل ينبغي أن يتوقع منهم أن يعرضوه هم، ويلتزموا به ويلزموا ابن زياد به، إذ تخلوا عن قضيتهم وقضية الإسلام الكبرى.

وإذا ثبت ذلك واتضح يمكن لنا أن نجعل عدم الموجب لقتله ومعقولية تركه يرجع متى ما عرض الانصراف والرجوع من المرجحات مواصلة المسير حتى بعد العلم بقتل مسلم ورسوليه.

ويثبت أيضا ما ذكرناه سابقا أن مسألة قتله لم تكن مسلمة ومعلومة بالعلم العادي، فإنه حتى في هذا الظرف كان قبول عرضه معقولا ومتوقعا وقتله مستبعد.

التحفظ على طلب الرجوع:

وربما تحفظ البعض على مسألة طلب الإمام الحسين عليه السلام الرجوع، ورمى الكتاب الذي أرسله ابن سعد إلى ابن زياد وقال فيه:

(أما بعد فإن الله أطفأ النائرة، وجمع كلمة، وأصلح الأمر، هذا الحسين قد أعطاني أن يرجع إلى المكان الذي منه أتى، أو أن يسير إلى ثغر من ثغور المسلمين، له ما لهم وعليه ما عليهم..)[1].

رماه بالكذب على الإمام الحسين عليه السلام بالتزوير معللا ذلك بعدم إمكان طلب الإمام عليه السلام لكون ذلك تراجعا عن موقفه في القيام ضد يزيد.

وأهمية هذه الدعوى تنعكس مباشرة على بعض النظريات المتقدمة وذلك أن ثبوت طلب الرجوع يسقط النظرية الغيبية المبينة على أساس الوظيفة الخاصة لانكشاف عدمها بسبب طلب الرجوع، ومثلها نظرية السيد الصدر المبينة على أساس الشهادة وكذلك نظرية الشيخ مطهري لأنه بنى نظريته على أساس أن بيعة أهل الكوفة ودعوتهم ليست الأهم فيما ذكره من العوامل، فإذا عرض الإمام عليه السلام الرجوع بعد غدرهم يتبين أن دعوتهم هي الأهم، فلذلك طلب أن يدعوه يرجع بعد أن تخلوا عنه، وكذا يسقط احتمال السيد الخوئي أيضا إذ طلب الرجوع يعني العمل بالتقية والسكوت عن حقه إذ تخلى الناصر عنه.

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٤، ص ٣٩٠.

وأما باقي النظريات بناء على أنها نظريات مستقلة في قبال النظرية الغيبية فلا يمثل طلب الرجوع لها أي مشكلة فإقامة الحجة تكون قد تمت فطلب الرجوع بعد الغدر أمر طبيعي ولا إشكال عليه، ومثلها النظرية الطبيعية المبنية على أساس غلبة الظن بالوصول إلى الحق، فبعد الغدر يقطع بعدم القدرة على الوصول إلى حقه، فلا بد من الرجوع والصبر.

وأما بناء على نظريتنا فأيضا لا يمثل طلب الرجوع لها أي مشكلة، فإن مواصلة المسير عندنا كانت مبنية على أساس توقع ميول الناس إليه، واجتماع من تخلف عن مسلم ولم يعلم بخروجه حوله ووقوفهم معه، أما وقد تخاذلوا عنه ووقفوا إلى جانب عدوه، وحيث إنه لم يخرج لقتالهم فلا بد من الرجوع والسكوت عن منصبه كما سكت أبوه إذ لم يجد ناصر، ولا بد له من الجلوس عن حقه كما جلس أخوه إذ غدر به جيشه ولا سيما أننا بنينا أصل تحركه على أساس وجود الناصر.

ويمكن لنا تأييد تلك الدعوى فيما ورد عن الإمام الحسين عليه السلام عندما أعلن رفضه بيعة يزيد حيث قال ههناك لوالي المدينة:

(أيها الأمير، إنّا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، بنا فتح الله وبنا يختم الله، ويزيد رجل فاسق شارب الخمر،

قاتل النفس المحترمة معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون، أيّنا أحق بالبيعة والخلافة، ثم خرج عليه السلام)[١].

ولكن الذي نراه عدم صحة تلك الدعوى وذلك لورود هذا العرض والطلب في أكثر من خطاب للإمام الحسين عليه السلام، فقد عرضه في خطبته على أصحاب الحر عند التقائه به، وأيضا عندما سأله عمر بن سعد عمّا جاء به، وكذلك في خطبته يوم عاشوراء أيضا، كما أنه ورد في خطب أصحابه، وعليه فلا مجال للتشكيك في صحة طلب الإمام الحسين عليه السلام الانصراف والرجوع من حيث أتى أو إلى ثغر من ثغور المسلمين، مضافا إلى أنه لا موضوعية للقتال، فإنه لم يخرج ليقاتل أهل الكوفة، وأيضا بعد تخاذل الناصر وغدره يرتفع موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالقوة والسيف، فلا مبرر للقتال، كما أنهم لا مبرر لهم في قتاله كما اتضح ذلك مما سبق.

نعم المقطع الأخير من كتاب عمر بن سعد الذي قال فيه:

(أو أن يأتي أمير المؤمنين يزيد فيضع يده في يده فيرى فيما بينهم وبين رأيه).

---

(١) ن م ؛ مقتل الحسين، آل بحر العلوم، ص١٣٠ .

فإن هذا مستبعد أن يعرضه الإمام الحسين عليه السلام نفسه، ثم يعود من حيث أتى أو يتوجه إلى ثغر من ثغور المسلمين فهذا له وجه، فيسكت عن حقه إذ لا ناصر له، أما أنه يعرض الذهاب إلى يزيد فهذا بعيد جدا، ولا مؤيد له في خطاب أو كتاب من الإمام الحسين عليه السلام، أومن أحد من أصحابه، أضف إلى ذلك ورود نص آخر عن كتاب ابن سعد ولم يذكر فيه ذلك المقطع:

(وكتب إلى عبيد الله بن زياد: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فإنّي حيث نزلت بالحسين بعثت إليه رسلي، فسألته عما أقدمه وماذا يطلب؟ قال كتب إليّ أهل هذه البلاد وأتتني رسلهم يسألوني القدوم إليهم، ففعلت فأما إذا كرهتموني وبدا لهم غير ما أتتني به رسلهم فأنا منصرف عنهم)(١).

أضف إلى ذلك أيضا عدم عرض ابن سعد ما طلبه ابن زياد منه أن يعرضه على الإمام الحسين عليه السلام أن يبايع ليزيد:

(وقال محمد ابن أبي طالب: (فلم يعرض ابن سعد على الحسين ما أرسل به بن زياد، لأنه علم أن الحسين لا يبايع يزيدا أبدا)(٢).

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٨٥.

(٢) المصدر السابق.

فهـذا يؤيـد عـدم عـرض الإمـام عليه السلام ذلـك، وإلا فـلا وجـه لاستبعاد ابن سعد له وعدم عرضه عليه.

وأمـا بالنسـبة لقـول الإمـام الحسـين عليه السلام (ومـثلي لا يبـايع مثلـه) فإنه لا ينافي طلب الرجوع بعد غدر الناصر إذ أولا: ليس فيه عرض بيعة بل كما قلنا سكوت عن حقه.

وثانيا: إن قولـه مـثلي لا يبـايع مثلـه لـه وجهـان الأول مـثلي أراد بـه مـن كـان لـه أنصـار يمكـن الاعـتماد علـيهم ولـو بحسـب العلـم بتجربتهم كـما تقـدم تفصـيله وشرط الإمـام الحسـن عليه السلام لـه بعـود الأمـر إليه، فمن كان مثله في ذلك فلا يبايع مثل يزيد.

والوجـه الثـاني: أن المـراد مـن مـثلي مـن كـان مـثلي في الشـأن والفضل والنسب والمقام العظيم من الله سبحانه فإنه لا يبايع مثله.

كما أن قوله لا يبايع يمكن أن يراد منه أن لا يبايع اختيارا.

وعليه فـإن الوجـه الثـاني لا يمكـن الحمـل عليـه فقـد سـكت أمـير المؤمنين عليه السلام وبـايع وإن كـان متـأخرا أو مجـبرا وهـو أفضـل منـه، وجلـس أخوه الإمـام الحسـن عليه السلام وبـايع وهـو مثلـه، وكـذا الإمـام زيـن العابـدين أيضـا سـكت عـن حقـه بـل روي مبايعتـه بعـد واقعـة الحـرة أو قبلهـا وهكـذا بقيـت أئمـة الهـدى إلى الإمـام الحسـن العسـكري صـبروا

وسكتوا عن حقهم بل بايعوا من كان مثل يزيد، وعليه فلا يمكن أن يكون الإمام الحسين عليه السلام يريد هذا الوجه، فيتعين الوجه الأول ومن الواضح ابتنائه على وجود الناصر، فإذا غدر وتخلى عن الإمام عليه السلام تحول حاله من ذلك الحال إلى حال الصبر والسكوت، فلا بد من الرجوع والجلوس لوترك.

كما أن حمل قوله لا يبايع على عدم المبايعة مختارا يؤيد هذا.

إلى الكوفة لا إلى كربلاء:

لم يكن الإمام الحسين عليه السلام متوجها إلى كربلاء، بل كما ذكرنا سابقا أن وجهته كانت الكوفة، ولكن بعد اعتراض الحر طريقه وامتناع الإمام دخول الكوفة تحت نظر الحر، وبعد المشادة الكلامية بينه وبين الحر قال الحر:

(إنّي لم أؤمر بقتالك، إنّما أومرت أن لا أفارقك حتى أقدمك إلى الكوفة، فإذا أبيت فخذ طريقا لا يدخلك الكوفة، ولا يردك المدينة)(١).

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٤، ص ٣٧٨.

وبهذا اضطر الإمام الحسين عليه السلام والجئ إلى ذلك الطريق الذي لا يدخله الكوفة ولا يرده إلى المدينة حتى وصل إلى موضع يقال له (البيضة) فقام خطيبا في أصحابه وأصحاب الحر وهذا الخطاب الثالث على هذا الجيش ولأهميته نذكره بتمامه.

حمد الله وأثنى عليه ثم قال:

(أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرام الله، ناكثا لعهد الله مخالفا لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقا على الله أن يدخله مدخله، إلا إن هؤلاء القوم قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله، وأنا أحقّ بهذا الأمر من غيري، وقد أتتني كتبكم، وقدمت عليّ رسلكم ببيعتكم، أنّكم لا تسلموني ولا تخذلوني.

فإن تممتم عليّ بيعتكم تصيب رشدكم وأنا الحسين بن علي وبن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، نفسي مع أنفسكم، وأهلي مع أهليكم وأولادكم ولكم فيّ أسوة.

وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدي، وخلعتم بيعتي من أعناقكم، فلعمري ما هي لكم بنكر، لقد فعلتموها بأبي وأخي وبن عمي مسلم بن عقيل، والمغرور من اغتر بكم، فحظكم أخطأتم، ونصيبكم ضيعتم، (ومن نكث فإنما ينكث على نفسه وسيغني الله عنه)[1].

وروي أن هذا كان كتابا كتبه بعد نزوله في كربلاء إلى أشراف الكوفة ممن كان يظنّ على رأيه.

وسواء كان كتابا أو خطابا فالمهم أنّهم وجه لأهل الكوفة بعد التقائه بذلك الجيش، وفيه أيضا تجاهل منه عليه السلام لأي انتماء مفترض لغيره، كما أن فيه نقاطا مهمة أثارها الأمام عليه السلام من شأنها أن تقنع كل منتم إلى دين الإسلام بوجوب طاعته ولزوم الوقوف معه ونصرته.

أولا: قول رسول الله صلى الله عليه وآله: (من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرام الله. الخ).

وهذا الحديث يمثل كبرى.

وثانيها: انطباق ذلك الوصف في الحديث على بني أمية (إنّ هؤلاء القوم قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن،

---

(١) بحار الانوار، ج٤٤، ص ٣٨٢.

واظهروا الفساد. الخ) وهذا أمر وجداني لدى المجتمع الكوفي وقد عايشه، وهو يمثل صغرى.

ثالثها: أن نتيجة ذلك أنه يجب على المسلمين إبعادهم، وإلا استحقوا ان يدخلوا مدخلهم، ومن الواضح أن هذا الحديث ونتيجته يقطعان العذر على من اعتذر عن نصرته بعدم الكتابة إليه.

رابعها: أحقّيته بالخلافة والولاية من بني أمية وقد ذكرنا سابقا أحقيته شرعا وعقلا وقانونا بموجب المعاهدة والصلح، وبموجب نص رسول الله ﷺ عليه وعلى أخيه وكذا نص أمير المؤمنين عليه السلام، وأيضا لأنه يسير بسيرة جده وأبيه، فهو أولى ممن أطاع الشيطان، وترك طاعة الرحمن، وأظهر الفساد، وعطل الحدود واستأثر بالفيء وأحلّ حرام الله وحرم حلاله، وقد عرفوا سيرته وسيرة أبيه فيهم فهو أولى بالأمر.

وهنا أيضا بموجب كتبهم وكذا بيعتهم (وقد أتتني كتبكم، وقدمت عليّ رسلكم ببيعتكم أنكم لا تسلموني ولا تخذلوني) مما يلزم عليهم الوفاء له.

خامسها: وهي من أهم الأشياء في هذا الخطاب أو الكتاب وهو منهجه في حكمه وخلافته نفسه مع أنفسهم وأهله مع أهليهم وأولادهم.

سادسها: إن عدم التزامهم ببيعتهم ونكثهم لها إنما هو خسارة لهم فهم الذين سوف يبقون تحت وطأة بني أمية ويخسرون بذلك الدنيا والآخرة، فحظّهم أخطأوا ونصيبهم ضيعوا.

وعلى كل سار الإمام الحسين عليه السلام بعد أن ألجئ إلى طريق على غير الجادة، وأقبل راكب متوجها إلى الحر معه كتاب عبيد الله بن زياد قال فيه:

(أما بعد فجعجع بالحسين حين بلغك (يبلّغك) كتابي هذا ويقدم عليك رسولي ولا تنزله إلا بالعراء في غير خضرة وعلى غير ماء. الخ)[1].

قرأ الحر الكتاب على الإمام الحسين عليه السلام.

ولكن لا أدري لماذا قرأه أليعتذر له عن مضيه في تنفيذ أوامر ابن زياد أم ماذا!! ومضى الحر في تنفيذ أوامر بن زياد غير آبه بدين أو شرع ينتمي إليه ولا بقرابة الإمام الحسين عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله.

وأخذهم الحر بالنزول في ذلك المكان على غير ماء ولا في قرية، فقال له الإمام الحسين عليه السلام دعنا ويحك ننزل هذه القرية أو هذه

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٨٠.

يعني نينوى والغاضري أو هذه يعني شفية. قال لا والله ما أستطيع ذلك ثم نزل الحسين)[١].

فألجئ الإمام الحسين عليه السلام إلى النزول في كربلاء.

ومن الضروري أن نؤكد هنا أن مجيء الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء لم يكن باختياره بل ألجئ إليه وكذا نزوله فيها أيضا.

ثم أنه عرض عليه بعض أصحابه مناجزة القوم، فاعتذر عن ذلك.

(ما كنت لأبدأهم بقتال حتى يبدؤوني)[٢].

والوجه في ذلك واضح فإن الإمام الحسين عليه السلام لم يقبل إلى الكوفة ليقاتل أهلها بل لينقذهم من ظلم بني أمية، فلا معنى ليبدأهم بقتال، فتكون الحجة لهم بأنه بدأهم بالحرب ولا سيما أن الحر لا زال ينتظر أوامر ابن زياد وحتى الساعة لم يعلن الحرب.

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) نفس المصدر.

الإمام الحسين في كربلاء:

نزل الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه كربلاء، وفي خطاب له على أصحابه، قال كلمته الخالدة، وبين الحقيقة الثابتة لعلاقة الناس بالدين:

(الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درت معائشهم، فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون)[1].

إنها الفلسفة الحقيقة لطبيعة انتماء المجتمعات إلى الدين، وليس ذلك تقييما خاصا بمجتمع خاص في زمن خاص، وليست نظرية نابعة من محض تصور عن المجتمع، أوردة فعل عن موقف ما، بل هي الحقيقة الثابتة على مر العصور لطبيعة حركة الإنسان تجاه الدين.

بهذا علل الإمام عليه السلام نكث أولئك بيعتهم وغدرهم، فإنما هم عبيد الدنيا باعوا دينهم وإنسانيتهم بدنياهم بل بدنيا غيرهم.

وأقبلت الجيوش متتالية إلى كربلاء حتى بلغت ثلاثين ألف وقيل: (خمس وثلاثون، وقيل: خمسون، وقيل: سبعون، وقيل: مائة الف).

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٨٣.

وروي عن زين العابدين:

(لا يوم كيوم الحسين، ازدلف إليه ثلاثون ألف رجل يزعمون أنهم من هذه الأمة كل يتقرب إلى الله بدمه، وهو بالله يذكرهم فلا يتعظون حتى قتلوه بغيا وظلما وعدوانا)[١].

حاصر ذلك الجيش الإمام الحسين عليه السلام محاصرة شديدة، ومنعه الماء هو وأهل بيته وأصحابه ممتثلا بذلك امر ابن زياد.

(أن حل بين الحسين وأصحابه وبين الماء، ولا يذوقوا منه قطرة)[٢].

ومع ذلك بقي الإمام الحسين عليه السلام داعيا إلى الحق مبينا لهدفه، وفي محادثة قصيرة للإمام عليه السلام مع قيادة ذلك الجيش.

قال الإمام الحسين عليه السلام: ويلك يا ابن سعد، أما تتقي الله الذي إليه معادك، أتقاتلني وأنا ابن من علمت، ألا تكون معي وتدع هؤلاء، فإنه أقرب إليك من الله.

فأجاب عمر: أخاف أن يهدم داري.

قال الإمام عليه السلام: أنا أبنيها لك.

أجابه عمر: أخاف أن تؤخذ ضيعتي.

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٢٩٨.

(٢) بحار الأنوار، ج٤٤، ص ٣٨٩.

قال له الإمام عليه السلام: أنا أخلف عليك خيرا منها من مالي بالحجاز.

أجابه عمر: إن لي عيالا بالكوفة وأخاف عليهم.

قال له الإمام عليه السلام: أنا أضمن سلامتهم.

سكت عمر ولم يجبه بشيء)[1].

وهذه إجابات عجيبة وغريبة من قائد جيش ليس له قضية يقاتل من أجلها ويسلم بأن الوقوف إلى جانب الإمام الحسين عليه السلام أقرب إلى الله، ولكنه يعتذر عن السعي إلى قرب الله بالخوف على دنياه، ومع ذلك ضمن له الإمام عليه السلام دارا وضيعة وسلامة أهله، غلا أنه فضل الثقة بابن زياد على الثقة بالله، وخاف ابن زياد ولم يخف الله، وأغرب ما في الأمر أنه لم يدع أنه يقاتل لاعتقاده أحقية بني أمية، أو حبا لهم أو انتماء لأفكارهم!.

إنما يقاتل الإمام الحسين عليه السلام خوفا منهم على داره وضيعته وعياله لمعرفته بظلمهم وجورهم وعدوانهم وعدم تورعهم عن أي شيء يوصلهم إلى غايتهم.

ومع هذا لم يعترض على الإمام الحسين عليه السلام في طلبه للخلافة أوفي قدومه أوفي قوله: أتقاتلني وأنا ابن من علمت؟

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٨٨.

فإنه ليس لديه قضية يقاتل الإمام الحسين عليه السلام دونها ليعترض عليه بها سوى خوفه من عدوان بني أمية وجورهم، وحبه الدنيا هو الذي جعله يقاتل، لا شيء سوى القتال، بل ويقاتل مبدأه ودينه.

ولكن ليس بغريب من أمثال هؤلاء تلك الاعتذارات الواهية، يسخطون ربهم ويخالفون دينهم لأجل دنياهم فهي دينهم ومبدأهم.

نعم ليس بغريب أن تصدر تلك الاعتذارات من عبد من عبيد الدنيا وعبد عبيد بني أمية.

وحصل اجتماع آخر للإمام الحسين عليه السلام مع ابن سعد كتب الأخير على أثره كتابا لابن زياد قال فيه:

(أما بعد فإن الله أطفأ الناثرة، وجمع الكلمة، وأصلح الأمر، هذا الحسين قد أعطاني أن يرجع إلى المكان الذي منه أتى، أو أن يسير إلى ثغر من ثغور المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم. (أو أن يأتي أمير المؤمنين يزيد فيضيع يده في يده فيرى فيما بينه وبينه رأيه وفي هذا لك رضى وللأمة صلاح)[1].

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٩٠.

وقد ذكرنا سابقا أنه من هذا الكتاب نفهم أن ابن سعد نفسه لا يرى مبررا للقتال إذ عرض الإمام الحسين عليه السلام الرجوع أو الذهاب إلى ثغر من ثغور المسلمين، وذلك أن ما يخافه بنو أمية وقوف أهل الكوفة إلى جانب الإمام الحسين عليه السلام فيكونون له أعوانا على إلزام الحكومة الأموية بالوفاء بشروط الصلح وتسليم الأمر إليه، أما وقد غدروا به ونكثوا بيعتهم فلم يعد لديه أنصارا وأعوانا حتى يخاف بجانبه، فلا وجه لمنعه من الرجوع أو قتله، وهذا يؤيد ما ذكرناه سابقا من معقولية تركه يرجع.

حصر الأمر بين الاستسلام أو القتل:

جاء جواب كتاب ابن سعد من ابن زياد:

(أما بعد فإني لم أبعثك إلى الحسين لتكف عنه، ولا تطاوله ولا لتمنيه السلامة، ولا لتكون له عندي شفيعا، انظر فإن نزل حسين وأصحابه على حكمي، فابعث بهم إليّ سلما، وإن أبوا فازحف إليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم، فإنهم لذلك مستحقون. وإن قتلت حسينا فأوطئ الخيل صدره وظهره، فإنه عاق شاق قاطع ظلوم، ولست أرى أن هذا يضر بعد الموت، ولكن على قول قلته لوقد قتلته لفعلت هذا به.

فـإن مضـيت لأمرنـا جزينـاك جـزاء السـامع المطيـع، وإن ابيـت فـاعتزل عملنـا وجنـدنا، وخـل بـين شـمر بـن ذي الجوشـن وبـين العسكر، فإننا قد أمرناه بذلك والسلام)(١).

ومن كتاب ابن زياد هـذا وقولـه عنـدما قـرأ كتـاب عمـر بـن سـعد (هذا كتاب مشفق) نقطـع أنـه فهـم مـن ذلـك اقتنـاع قيـادة جيشـه بـترك الإمـام الحسـين عليه السلام يرجـع وأنـه لا يوجـد عنـد قيادتـه أي دافـع للقتـال ولا مـبرر لـه بعـد عـرض الإمـام عليه السلام الرجـوع والانصـراف عـنهم بـل يرى تركه يرجع أمرا معقولا وقبوله كان متوقعا لدى ابن سعد.

نعـم حـب الـدنيا والجـاه والوثـوق بوعـد ابـن زيـاد والخـوف مـن وعيده هو المـبرر الوحيـد وابـن زيـاد مـدرك لـذلك، ولـذا قـال لـه: فـإن مضـيت لأمرنـا جزينـاك جـزاء السـامع المطيـع، ووثـق ابـن سـعد بوعـد ابن زياد، فمضى في تنفيذ كل أوامره.

وهنـا العجيـب مـن ثقـتهم بوعـد ابـن زيـاد وخـوفهم مـن وعيـده وعدم إيمانهم ووثوقهم بوعد الله وعدم خوفهم من وعيده.

ونجد في كتاب ابن زياد أمورا:

الأول: فهمـه عـدم قناعـة قيـادة الجـيش بقتـال الحسـين عليه السلام وعـدم وجود دافع لهم لقتاله.

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٩٠.

الثـاني: إدراكـه قبـول قيـادة جيشـه عـرض الإمـام الحسـين عليه السلام وذلك من قوله: (أو تمنيه السلامة).

الثالـث: حصـر أمـر الإمـام الحسـين عليه السلام في أمـرين النـزول عـلى حكمه وهـو يعنـي الاستسـلام فيقبـل بحكمـه فيـه بـأي شيء، إطلاقـه أو قتله صبرا.

الرابع: الأمـر بالتمثيـل بالإمـام عليه السلام بعـد قتلـه ممـا ينبـئ عـن الحقـد الدفين وعلى كل فله في هند قدوة بما فعلته بحمزة.

وصـل ذلـك الكتـاب إلى ابـن سـعد مـع شـمر بـن ذي الجوشـن فلما قرأه قال له:

(مـا لـك ويلـك لا قـرب الله دارك، وقـبح الله مـا جئـت بـه، وإني لأظنك نهبته عما كتبت بـه إليـه، وأفسـدت علينـا أمـرا قـد كنـا رجونـا أن يصلح، لا يستسلم والله حسين، إن نفس أبيه لبين جنبيه)[1].

وعـلى كـل مضـى ابـن سـعد في امتثـال أوامـر ابـن زيـاد غـير آبـه بـدين أو عقـل أو عـرف أو أخـلاق كـافرا بوعـد الله ووعيـده، واثقـا بوعد ابن زيـاد ووعيـده، فـأمر الجـيش بـالتحرك نحـو الإمـام الحسـين عليه السلام للقتـال في اليـوم التاسـع، وأرسـل الإمـام الحسـين عليه السلام أخـاه العبـاس عليه السلام ليرى ما وراءهم؟

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٩٠.

قالوا: جاء أمر الأمير أن نعرض عليكم النزول على حكمه أو نناجزكم.

فقال الإمام الحسين عليه السلام لأخيه:

(ارجع إليهم، فإن استطعت أن تؤخرهم إلى غد، وتدفعهم عنا العشية، لعلنا نصلي لربنا الليلة، وندعوه ونستغفره فهو يعلم أني كنت قد أحب الصلاة له، وتلاوة كتابه، وكثرة الدعاء والاستغفار)[1].

عرض العباس كلام الإمام الحسين عليه السلام على ابن سعد واستشار قواده فأجابه عمرو بن الحجاج الزبيدي:

(سبحان الله، والله لو كانوا من الترك أو الديلم وسألونا مثل ذلك لأجبناهم، فكيف وهم آل محمد صلى الله عليه وآله)[2].

وتجد في هذا الجواب المعرفة الكاملة بالإمام الحسين عليه السلام وأصحابه، فالعجب لهذه المفارقات وهذه التناقضات التي يعيشها هذا الجيش، فهم يعرفون إيمانهم ومحافظتهم على الصلاة وتلاوة القرآن ويعتقدون أنهم آل محمد صلى الله عليه وآله أنهم أبناء نبي الدين الذي إليه ينتمون إن كان لهم دين، أبناء من أخرجهم من الظلمات إلى النور،

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٩٢.

(٢) مقتل الحسين، آل بحر العلوم، ص٢٧٩.

هم آل محمد الذين أوجب الله سبحانه في كتابه مودتهم على كل مسلم ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[1] هنا اتضحت كل الأمور باع القوم دينهم وإنسانيتهم وكل قيمهم بخسيس عيش من بني أمية، فعزموا على قتال الإمام الحسين عليه السلام، وهم يعرفونه حق المعرفة.

وعلم الحسين عليه السلام بمراد الجيش إما الاستسلام أو القتال.

كما أنه يعلم أنه هو المراد وليس أصحابه وأهل بيته.

كما أن الجميع يعلمون أن لا موضوعية للتخيير هنا بل حتى ابن سعد نفسه علم ذلك إذ قال:

(لا يستسلم والله حسين إن نفسه أبيه لبين جنبيه).

فإذا كان العدو يعرف الإمام الحسين عليه السلام فكيف بأصحابه وأهل بيته.

فالجميع يعلم أن غدا سوف يون هو الموعد لكل من سيقف إلى جانب الإمام الحسين عليه السلام والقضية حتمية لا ترديد فيها، فالجيش ماض في تنفيذ أوامر ابن زياد، والنتيجة الحتمية لحصر ابن زياد الأمر بين الاستسلام والنزول على حكمه وبين القتال هي القتل.

والإمام الحسين عليه السلام آب للضيم والذلة والاستسلام مهما كان الثمن.

---

(١) سورة الشورى: ٢٣.

الاختبار الصعب:

ولأجل أن لا يتوهم أحد غير ذلك ويكون الجميع على بصيرة من أمرهم جمع الإمام الحسين عليه السلام اصحابه وخطبهم بكلمات وجيزة:

(ألا وإني لأظن يومنا من هؤلاء الأعداء غدا، الا وإني قد أذنت لكم جميعا، فانطلقوا في حل ليس عليكم مني حرج ولا ذمام، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا، ثم ليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي، وتفرقوا في سواد الليل، وذروني وهؤلاء القوم، فإنهم لا يريدون غيري، ولو أصابوني لذهلوا عن طلب غيري)(١).

كلمات وجيزة أوقف الجميع فيها على حقيقة الأمر، ووضع أمامهم الاختيار الصعب بين الحياة أو الموت فأذن للجميع بالانصراف.

فهذا الامتحان الحقيقي الامتحان الصعب، والواقع المر، فغدا ليس إلا الموت ليس إلا القتل، ومن أراد غيره فليتخذ الليل جملا وينجو بنفسه.

نعم غدا الموت الذي لا يتمناه إلا أولياء الله وأحباؤه الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وهذا امتحان الأنبياء والصديقين، فهل

---

(١) مقتل الحسين، آل بحر العلوم، ص٢٨٠.

يختارون الحياة ويتركوا أبا عبد الله عليه السلام أو يقدمون أنفسهم فداء لسيد الشهداء عليه السلام.

إن صعوبة الاختيار تتجلى في علم الجميع بأن اختيار الموت لن ينتج عنه رجوع الأمر إلى أهله، ولن يدفع الموت عن الإمام الحسين عليه السلام، بل إن الموت ليس إلا لإباء الإمام عليه السلام الذلة والعار والاستسلام والنزول على حكم ابن زياد.

وبعبارة أخرى إن اختيار الموت يحتاج إلى إدراك أمرين، الأول أن الموت أولى من العار ولوكان فيه السلامة، والثاني أن دفع ما يوجب العار عن أهل البيت عليهم السلام أولى من حفظ نفس أي إنسان مهما شرف وعظم.

فما عسى أن يكون جوابهم للإمام عليه السلام؟

هل يتريثون يفكرون أو يوازنون بين الدنيا ورضى الله سبحانه وتعالى؟

هل وجدوا الفرصة في إذن الإمام عليه السلام؟

هل فيهم متحرج من موقف الإمام عليه السلام ويريد التخلص منه؟

هل بينهم من ليس مقتنعا بموقف الإمام الحسين عليه السلام؟

هل بينهم من يوازن بين حياته وبين كرامة محمد صلى الله عليه وآله.

ودون تريث أو تفكير في أنفسهم التي سيدفعونها ثمنا لوقوفهم إلى جانب الإمام الحسين عليه السلام، إذ الأمر واضح، وطريقهم نير، وهديهم بين، فهو أبين من الأمس وأوضح من الشمس، أجاب العباس وإخوته:

لم نفعل ذلك لنبقى بعدك لا أرانا الله ذلك أبدا.

بنو عقيل:

لا والله لا نفارقك أبدا، ولكننا نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلينا، ونقاتل معك حتى نرد موردك، قبح الله العيش بعدك.

مسلم بن عوسجة:

بماذا نعتذر لله في أداء حقك؟ لا والله لا يراني الله أفعل ذلك.

سعيد الحنفي:

لا والله يا ابن رسول الله لا نخليك حتى يعلم الله تعالى أنا قد حفظنا فيك غيبة رسول الله، والله لو أعلم أني أقتل فيك ثم أحيى ثم أحرق حبا ثم أذر في الهواء، يفعل بي ذلك سبعين مر لما فارقتك)[1].

---

(١) مقتل الحسين، آل بحر العلوم، ص٢٨١.

وهكـذا تتابعـت الكلـمات الصـادقة مـن القلـوب المؤمنـة بـالله، والنفـوس المطمئنـة بلقائـه، العارفـة حـق الله وحـق رسـوله، الحافظـة لرسـول الله صلى الله عليه وآله في أهـل بيتـه عليهم السلام المفوضـة أمرهـا إلى الله والمسـلمة لـه ولرسوله صلى الله عليه وآله ولوليه.

هـذا هـو الإيـمان الصـادق وهـذه النفـوس الراضـية بقضـاء الله وقدره الصابرة على بلائه الواثقة بربها والراغبة في وعده.

فجزاهم الحسين خيرا وانصرف إلى مضربه

وبات الجميع يتزودون من عبادة الله وذكره.

(وبات الحسـين وأصـحابه تلـك الليلـة ولهـم دوي كـدوي النحـل ما بين راكع وساجد وقائم وقاعد)[١].

يوم عاشوراء:

أصـبح الإمـام الحسـين عليه السلام يـوم العـاشر وقـد تجهـز ذلـك الجـيش للقتـال ولم يكـن الإمـام عليه السلام يريـد القتـال أو وحتـى الـدفاع عـن نفسـه بقـدر مـا كـان يطمـع في هدايـة القـوم ووعظهـم ونصـحهم فلعـل هنـاك أذنا واعية أو نفسا حية أو قلبا ينبض ويعقل.

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٩٤.

تقـــدم الإمـــام عليه السلام متجســـدا فيـــه رســـول الله صلى الله عليه وآله في شخصـــه وشخصيته وهديه ووعظه، ونادى بصوت عال يسمعه جلهم:

(أيهـا النـاس اسـمعوا قـولي، ولا تعجلـوا حتـى أعظكـم بـما هـو حـق لكـم، وحتـى أعتـذر لم عـن مقـدمي علـيكم، فـإن قبلـتم عـذري وصـــدقتم قـــولي، وأعطيتمـــوني النصـــف مـــن أنفســـكم، كنـــتم بـــذلك اسـعد، ولم يكـن لكـم عـلي سـبيل، وإن لم يقبلـوا منـي بعـذر، ولم تعطـوا النصـف مـن أنفسـكم (فـأجمعوا أمـركم وشراءكـم ثـم لا يكـن أمـركم علـــيكم غمـــة ثـــم اقضـــوا إلي ولا تنظـــرون) (إن ولي الله الـــذي نـــزل الكتاب وهو يتولى الصادقين).

ثـم حمـد الله وأثنـى عليـه، وذكـر الله بـما هـو أهلـه، وصـلى عـلى النبي محمد وعلى الملائكة والأنبياء.. ثم قال:)[1].

(عباد الله اتقـوا الله، وكونـوا مـن الـدنيا عـلى حـذر، فـإن الـدنيا لـو بقيـت عـلى أحـد، أو بقـي عليهـا أحـد، لكانـت الأنبيـاء أحـق بالبقـاء، وأولى بالرضـــا، وأرضى بالبقـــاء، غـــير أن الله خلـــق الـــدنيا للفنـــاء،

(١) بحار الأنوار، ج٤٥، ص٦.

فجديدها بال، ونعيمها مضمحل، وسرورها مكفهر، والمنزل تلعة، والدار قلعة، فإن خير الزاد التقوى، فاتقوا الله لعلكم تفلحون)[١].

(الحمد لله الذي خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال، متصرفة بأهلها حالا بعد حال، فالمغرور من غرته، والشقي من فتنته، فلا تغرنّكم هذه الدنيا، فإنها تقطع رجاء من ركن إليها، وتخيب طمع من طمع فيها.

وأراكم قد اجتمعتم على أمر قد أسخطتم الله فيه علكم، وأعرض بوجهه الكريم عنكم، وأحل بكم نقمته، فنعم الرب ربنا، وبئس العبيد أنتم، أقررتم بالطاعة، وآمنتم بالرسول محمد صلى الله عليه وآله، ثم أنكم زحفتم على ذريته وعترته، تريدون قتلهم لقد استحوذ عليكم الشيطان، فأنساكم ذكر الله العظيم، فتبا لكم ولما تريدون، إنا لله وإنا إليه راجعون، فأنساكم ذكر الله العظيم، فتبا لكم ولما تريدون، إنا لله وإنا إليه راجعون، هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم، فبعدا للقوم الظالمين) ثم قال:

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ابن عساكر ج١٤، ص ٢١٨ نحتمل أن يكون هذا المقطع بكامله جزء من هذه الخطبة وليس هو خطبة لوحدها ومكانه المناسب بعد قوله فبعدا للقوم.

أيها الناس انسبوني من أنا، ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، وانظروا هل يحل لكم قتلي، وانتهاك حرمتي، ألست ابن بنت نبيكم، وابن وصيه وابن عمه وأول المؤمنين بالله، والمصدق لرسوله بما جاء من عند ربه، أوليس حمزة سيد الشهداء عم أبي، أوليس جعفر الطيار عمي، أولم يبلغكم قول رسول الله لي ولأخي (هذان سيدا شباب أهل الجنة).

فإن صدقتموني بما أقول وهو الحق، والله ما تعمدت الكذب منذ علمت أن الله يمقت عليه، ويضر به من اختلقه، وإن كذبتموني فإن فيكم من إن سألتموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري، وأبا سعيد الخدري، وسهل بن سعد الساعدي، وزيد بن الأرقم، وأنس بن مالك، يخبروكم بأنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله لي ولأخي، أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي.

فقال شمر: هو يعبد الله على حرف إن كان يدري ما يقول.

فأجابه حبيب: والله إني أراك تعبد الله على سبعين حرف، وأنا أشهد أنك صادق ما تدري ما يقول، قد طبع الله على قلبك.

فقال الحسين عليه السلام:

فإن كنتم في شك من هذا القول، أ فتشكون أني ابن بنت نبيكم فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري فيكم ولا في غيركم، ويحكم أ تطلبوني بقتيل منكم قتلته، أو مال استهلكته، أو بقصاص جراحة، فأخذوا لا يكلمونه.

فنادى:

يا شبث بن ربعي، ويا حجار بن أبجر، ويا قيس بن الأشعث، ويا زيد ابن حارث، ألم تكتبوا لي أن أقدم، قد أيعنت الثمار، واخضر الجناب، وإنما تقدم على جند لك مجندة؟

فقالوا: لم نفعل.

قال: سبحان الله بلى والله لقد فعلتم.

ثم قال: أيها الناس إذا كرهتموني فدعوني أنصرف إلى مأمن من الأرض.

فقال له قيس بن الأشعث:

أولا تنزل على حكم بني عمك، فإنهم لن يروك إلا ما تحب، ولن يصل إليك منهم مكروه.

فقال الحسين عليه السلام: أنت أخو أخيك، أتريد أن يطلبك بنو هاشم أكثر من دم مسلم بن عقيل؟

لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، وأفر فرار العبيد.

عباد الله أني عذت بربي وربكم أن ترجمون وأعوذ بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب)[1].

هذه كانت خطبة الإمام الحسين عليه السلام الأولى على ذلك الجيش كله.

وقد تضمنت الخطبة أمورا مهمة نذكرها:

أولا: أن موعظتهم حق لهم.

ثانيا: بيان الهدف من هذه الخطبة.

ثالثا: أن الأنصاف سبب السعادة والوصول إلى الحق.

رابعا: الوصية بتقوى الله سبحانه.

خامسا: بيان حقيقة الحياة الدنيا.

سادسا: آثار الركون الى الدنيا.

سابعا: أن موقفهم هذا سبب لسخط الله سبحانه.

ثامنا: التفاتهم إلى شخصيات الإسلام الكبرى، والعظيمة التي تفانت في إشادة أركان الإسلام، والحفاظ عليه، والذب عنه، وبذلهم أنفسهم دونه، وأنهم أهل بيته، فصاحب هذا الدين جده،

---

(١) مقتل الحسين، آل بحر العلوم، ص٣٧١ - ٣٧٤؛ بحار الأنوار، ج٤٥، ص٥-٧، مع اختلاف في بعض الالفاظ وترتيب مقاطع الخطبة.

وأول المصدقين به والمجاهدين في سبيله أبوه، وأفضل الشهداء أعمامه.

تاسعا: التذكير بقول رسول الله صلى الله عليه وآله فيه وفي أخيه الحسن عليه السلام.

عاشرا: عدم الشك في بنوته لبنت رسول الله صلى الله عليه وآله.

الحادي عشر: الاحتجاج بالكتب على أصحابها، وتخصيصه قواد الجيش الذين كتبوا إليه.

الثاني عشر: طلب تركه يعود.

الثالث عشر: طلب القوم منه النزول على حكم ابن زياد.

الرابع عشر: إن نزوله على حكم ابن زياد استسلام وذلة.

هذه تقريبا اهم الامور التي تضمنتها الخطبة الحسينية، وكل من تلك يصلح لأن يكون موضع بحث، ونحن نشير هنا إلى أهمية تلك الأمور، وهدف الإمام الحسين عليه السلام في ذكرها بشكل مختصر.

فالأمر الأول: أن قوله عليه السلام: حتى أعظكم بما هو حق لكم.

لماذا كانت الموعظة حقا؟

أو لماذا كان لهم حق؟

وما هو ذلك الحق الذي لهم حتى يعظهم به؟

والجواب عن ذلك وبشكل بسيط، إن دور الإمام عليه السلام كدور النبي في لزوم الدعوة إلى الله سبحانه، فإن النبي أو الإمام مكلف

من قبل الله تعالى بالدعوة اليه سبحانه، والهداية الى الطريق المستقيم، وخصوصا للمعاندين أو المنخدعين، لإقامة الحجة عليهم، وسد باب العذر بالغفلة أو الجهل، والآيات بذلك صريحة ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1].

وهذا تكليف إلى الدعوة إلى الله وحيث أن أولئك القوم كفروا بالله بعد إيمانهم، واتبعوا الشيطان فأغواهم، فهم يحتاجون إلى من يدعوهم إلى الحق، ولكن بالحكمة والموعظة الحسنة، وهذا هو الحق الذي لهم على الإمام، أن يدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يجادلهم بالتي هي احسن وهذا فعلا ما نهجه الإمام عليه السلام في خطبته، فدعاهم بالحكمة ليحيي بها القلوب، ووعظهم موعظة حسنة فبين لهم واقع الدنيا وحالها، وجادلهم بالتي هي احسن، وهذا يتفق تماما مع جعل الإمام لطفا، إذ أنه مقرب لله، وهذا أيضا حق للناس عليه وموعظته مقربة لله سبحانه.

الأمر الثاني: بيان الهدف من خطبته وقد ذكر سببين للخطبة:

الأول: الموعظة بما هو حق له.

---

(١) سورة النحل: ١٢٥.

الثاني: الاعتذار عن مقدمة وبيان الأسلوب التي دعته للقدوم عليهم.

فالأولى كفيلة بإحياء القلوب وهدايتها، سواء في ذلك من دعاه ومن لم يدعه.

والثانية كفيلة بتبصرة من جهل سبب مقدم الإمام الحسين عليه السلام.

الامر الثالث: إن إنصاف المرء نفسه في تقييم الأمور سواء كانت له أم عليه سبب للسعادة، والوصول إلى الحق، وذلك أن الموعظة لا تكاد تفيد بل لن تفيد دون انصاف الانسان نفسه، وتحكيم عقله، كما أن تأثير الموعظة يحتاج إلى ان يتجرد الأنسان من عواطفه وشهواته ويفكر فيها بموضوعية حتى يتمكن من تحكيم عقله وإلا فلن يستفيد من تلك الموعظة (فإن السعيد من نفعته الموعظة ولم يعش عن التذكرة).

ثم إنه ذكر أثر الانصاف، وأن له نتيجتين الأولى سعادتهم في الدنيا بالخلاص من بني أمية ومن ظلمهم، وفي الأخرة باجتناب غضب الله سبحانه والفوز برضاه، والثانية أن لا سبيل لهم عليه، ومن الواضح أن ذكر النتيجة سلفا قبل مقدماتها يهيئ نفس المتلقي إلى استنتاجها وتقبلها، كما أن ذلك ايضا يهيئ نفسه وعقله للالتفات

والاصغاء الى كل كلمة يقولها وتقييمها ثم تصديقها أو تكذيبها وملاحظة انتاجها لتلك النتيجة وعدمه، وبذلك يفتح قلبه وعقله لكل حجة تلقى عليه.

الأمر الرابع: الوصية بالتقوى. وهي وصية الله سبحانه لعباده بان يتقوه وهي وصية الانبياء لأممهم والأولياء لاتباعهم والائمة للمقتدين بهم وهي أعظم الوصايا اذ بها يقف الانسان امام حدود الله جل وعلا في السر والعلن يخاف الله ويتقيه فلا يرتكب ما يسخطه عليه.

الامر الخامس: بيان حقيقة الحياة. فبكلمات موجزة بين الإمام‌عليه السلام حقيقة الدنيا وأنها خلقت للفناء لا للبقاء. فالكل ميت والكل يعلم أن الأنبياء وهم اصفياء الله من خلقه قد ماتوا فلوكان بقاء لكان لهم، فما عسى أن يكون حال هؤلاء القوم الذين كفروا بعد ايمانهم؟

أيرجون البقاء وقد اسخطوا ربهم؟

فعلى العاقل ان يتعظ بموت الأنبياء وأنه طال الزمان به أو قصر فإنه صائر إلى ما صاروا إليه وهو الموت كما أن حالها مع أهلها متقلب، فبقاء الحال من المحال، فجديدها بال ونعيمها مضمحل وهذه الأمور كلها وجدانية لازمة لكل انسان.

فإذا كان أمر الدنيا وحالها هكذا فلا ينبغي للإنسان أن يطمع في البقاء أو الخلود في الدنيا ونعيمها فإنه زائل.

ولكن لماذا ركز الإمام عليه السلام على بيان حال الدنيا وفنائها وتقلب أحوالها؟

لماذا يثير الإمام الحسين عليه السلام هذا الأمر أمام هؤلاء، هذا ما نريد التركيز عليه وبيانه؟

فإن الإمام الحسين عليه السلام يقول لأولئك القوم إنكم تاركون هذه الدنيا وميتون فهذا واقع الدنيا الذي لا مفر منه، واذا كان الامر كذلك فلا ينبغي للعاقل أن يغتر بها ويفتتن بنعيمها، فليتعظ بمن قبله فلم تدم لهم، فالأنبياء وهم أكرم خلق الله سبحانه وتعالى وهم قد ماتوا فالموت لا مفر منه، وليس هو مشكلة يجب حلها، أو يمكن دفعها بل هو ضرورة في أعناق العباد، كما أن الخوف والهرب منه لا ينجيان منه، فالموت حتم على رقاب العباد، وعليه فلا بد أن يلاحظ الإنسان عمله، ويهيئ نفسه للقدوم على الله سبحانه بما يرضيه، وهذا ما يريد الإمام الحسين عليه السلام التنبيه عليه.

وذلك أن أكثر أولئك القوم إنما خرجوا خوفا من الموت وطمعا في خسيس العيش، فتركهم الإمام عليه السلام والغدر به ونقضهم بيعته والتخلي عنه، وتناسيهم قضيتهم وتغافلهم عن ثاراتهم عند

بني أمية والانتقام منهم، بل ووقوفهم إلى جانبهم كل ذلك إنما كان سببه الفرار من الموت، والركون إلى الدنيا والطمع فيها، أو الخوف من زوال نعيمها، وتجد ذلك صريحا في اعتذارات ابن سعد المتقدمة، كما أن ابن زياد بنى دعوته الناس للخروج إلى قتال الإمام الحسين عليه السلام على الوعد والوعيد، فهؤلاء خرجوا خوفا من وعيد ابن زياد ومن الموت وطمعا في وعده والحياة.

وعليه فلا بد من تذكيرهم بواقع الدنيا الذي يراه كل أنسان بأن الدنيا دار زوال وفناء، وأن وقوفهم إلى جانب ابن زياد فرارا من الموت أو طمعا في نعيم الدنيا كل ذلك لن يدفع عنهم الموت، ولن يضمن لهم عدم تغير الاحوال فقد مات من هو أعظم خطرا منهم على الله سبحانه.

الأمر السادس: أن موقفهم ذلك من أهل البيت عليهم السلام أسخط الله عليهم، ونلاحظ أن ذكر مسألة سخط الله سبحانه بعد أن ركز على زوال الدنيا وكأنه يقول فإذا علمتم وأيقنتم أن هذه الدنيا دار زوال وفناء، فأنتم تعلمون أنكم مفارقوها طال الزمان أو قصر وتعلمون أنكم مقبلون على الله سبحانه، فلا ينبغي للعاقل أن يقبل على الله سبحانه بما يوجب سخطه وغضبه عليه فإن ذلك يوجب

عقابه فالأمر الخامس يهيئ النفوس إذا للخوف من سخط الله سبحانه.

وأما كون ما هم مقدمون عليه موجب لسخط الله سبحانه، فهذا أمر بديهي لا مجال فيه للجدال فالإمام الحسين عليه السلام من بيت رسول الله الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وأوجب على المسلمين مودتهم وطاعتهم، وفرض عليهم إمامتهم وولايتهم، وهؤلاء يريدون قتله وأصحابه بدون أي ذنب، كيف لا يسخط الله عليهم وهم يريدون قتل أحد سيدي شباب أهل الجنة.

الأمر السابع: وفي هذا الامر نجد أن الإمام الحسين عليه السلام يقررهم على أمور معلومة ومشهورة فليست محل اختلاف بين المسلمين.

فلماذا يقررهم على ذلك؟

فهل يريد فقط أن يقروا له بذلك وفقط؟

أم أن هناك أمر ما يريد أن يقوله ويبينه؟

الظاهر أنه أراد أن يقول لهم أنظروا إلى اهل بيتي فهم الذين شيدوا أركان الدين وهم الفائزون بقصب السبق في الدفاع عن الإسلام والتصديق به فهم الذين دفعوا كل غال ونفيس في الحفاظ على الدين وبذلوا أنفسهم لأجل اعلاء كلمة الله سبحانه هؤلاء

الـذين سـبقوا النـاس إلى الإيـمان والتصـديق، فهـذا عـم أبي وهـذا عمـي وهذا أبي فهذا البيت بيـت الحفـاظ عـلى الإسـلام وأنـا مـن ذلـك البيـت لم أغـير ولم أبـدل، فسـيرتي سـيرتهم ومقاصـدي مقاصـدهم وأعـدائي أعدائهم، ومحاربي محاربهم.

الأمـر الثـامن: التـذكير بقـول رسـول الله ﷺ فيـه وفي أخيـه الإمـام الحسـن عليهما السلام وهـذا أمـر مهـم، ولا سـيما في الصـراعات الفكريـة والاختلافـات المذهبيـة، وتحديـد الفئـة الباغيـة، والتـي ينبغـي قتالهـا خصوصـا في مثـل هـذا الموقـف، فإنـه ينبغـي أن يكـون قـول رسـول الله ﷺ حـدا فاصـلا بـين الحـق والباطـل، يجـب أن يكـون قـول رسـول الله المرجـع في تحديـد مـن ينبغـي نبـذه وقتالـه، ومـن ينبغـي نصـره والوقـوف إلى جانبـه، فـإن الرسـول ﷺ لا ينطـق عـن الهـوى كـما قـال تعالى في حقه: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾[1].

وتحكـيم ذلـك الحـديث تحكـيم لرسـول الله ﷺ فـيما شـجر بيـنهم وقـد قـال تعـالى: ﴿**فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا**﴾[2].

---

(١) سورة النجم: ٣.

(٢) سورة النساء: ٦٤.

فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله قد أخبر المسلمين بأن الحسن والحسين عليهما السلام سيدا شباب أهل الجنة)، أفلا يكونان سيدي المسلمين في الدنيا بعد جدهما وأبيهما؟

أفيمكن أن يكون تابعهما إلى النار؟

أفلا يكون قتالهما كفرا؟

ألا يجب على المسلمين اتباع سيدي شباب أهل الجنة؟

أفهل يطمع أحد خالف سيدي شباب أهل الجنة أن يدخل الجنة، وهل يمكن أن يدخل الجنة أحد دون رضا سيدي شباب أهل الجنة؟

وهل في المشرق والمغرب أحد بقربهما من رسول الله صلى الله عليه وآله أو بمقامهما؟

وهل أن يزيد أ وابن زياد أولى بالطاعة من الله ورسوله صلى الله عليه وآله؟

أوليس شباب أهل الجنة أولى بالطاعة؟

أوليس طاعتهما طاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وآله؟ وإلا فلماذا جعلهما الله سبحانه وتعالى سيدي شباب أهل الجنة؟

أوليس ذلك لأنهما يهديان من اتبعهما إلى الجنة؟

أو يعتقد أحد يوحد الله تبارك وتعالى ويؤمن برسوله صلى الله عليه وآله أن من جعلهما الله سيدي شباب أهل الجنة التي لا يدخلها إلا شباب أنهما يدعوان إلى غير الجنة؟

أو يرجو من قتلهما أو رضي بقتلهما أن يدخل الجنة؟!!

أوليس في قول رسول الله ﷺ هذا حاجز من سفك دمم سيد شباب أهل الجنة، ومانع عن قتله؟!!

إن من آمن بالله ورسوله ﷺ ليرى أن هذا الحديث ليس مانعا قتله وحاجزا عن سفك دمه فقط بل موجبا للوقوف إلى جنبه والدفاع عنه وبذل النفس والنفيس دون نفسه الشريفة.

واللطيف هنا أن الإمام الحسين عليه السلام ذكر من سمع الحديث من رسول الله ﷺ جابر ابن عبد الله الأنصاري وابا سعيد الخدري وسهل بن سعد الساعدي، وزيد ابن أرقم، وانس بن مالك، هؤلاء الصحابة سمعوا من رسول الله ﷺ ذلك ويمكنهم أن يستعلموا ذلك منهم.

كما أنه لا بأس بالإشارة إلى أن الحديث هذا قد رواه الترملي في كتاب المناقب في موردين (٣٧٠١) و(٣٧١٧) وسنن ابن ماجة ص١٢٥ ومسند احمد في خمسة موارد أو ستة برقم [١٥٧٦-١١١٦٦-١١١٩٢-١١٣٥١-٢٢٢٤٠] وفي بعضها حديث عن حذيفة (إلى أن قال: أما رأيت العارض الذي عرض لي قبيل قال: قلت: بلى قال: فهو ملك من الملائكة لم يهبط الى الأرض قبل هذه الليلة فاستأذن ربه أن يسلم عليه ويبشرني أن الحسن والحسين

سيدا شباب أهل الجنة وأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة رضي الله عنهم)[١].

ونؤكد هنا على أن احمد أيضا رواه عن ابي سعيد برقم ١١١٦٦ قال (عن ابي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة).

والخلاصة هنا أن الحديث صحيح مشهور معروف بين المسلمين كافة بل وحتى أولئك الذين خاطبهم الإمام الحسين عليه السلام لم يدعوا كذبه، وإنما لجهة الجدال بالتي هي أحسن فرض أسوء الفروض لديهم وهو اتهامه بالكذب، ومن أجل ذلك طلب منهم أن يسألوا عن الحديث أولئك الرواة.

ولعمري إن في هذا الحديث الشريف لهداية لمن استهدى وطلب الحق، وحاجزا لمن فكر وعقل، ولا أقل يجعل كل فرد ينتمي لرسول الله محمد صلى الله عليه وآله وإلى دينه أن يتردد في الإقدام على قتل ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وأحد سيدي شباب أهل الجنة أو أن يقبل بظلمه وقتله، أو يرضى عمن قتله.

الأمر التاسع: أنهم إذا كانوا في شك مما قاله ومن الحديث فإنه لا شك في قرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله (وأنه ابن بنت نبيهم).

---

(١) مسند أحمد، الحديث رقم ٢٢٢٤٠.

وفي هذا الاسلوب من اللطف ما لا يخفى فبيان ما هو مسلم ومقطوع به - بعد احتمال وجود من يشك فيما تقدم - هو جرئ مع حال النفس المنخدعة أو المشككة أو الجاهلة بحقائق الامور ثم مفاجأتها بما هو مقطوع ومتيقن وغير قابل للشك لتنبيهها وإلفاتها لفداحة ما تقترف ولعظيم جرم ما ترتكب، وواضح أنه لذلك يتنبه المنخدع ويتيقن المشكك ويعلم الجاهل ويجعلهم يرجعون لأنفسهم فيحاسبوها، وفي هذا الأسلوب دعوى إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

فإنهم إن كانوا في شك فيما سبق فلا أحد يشك في أنه ابن فاطمة بنت محمد نبيهم ﷺ، فليس في المشرق ولا في المغرب ابن بنت نبي غيره فيهم ولا في غيرهم، فإذا كانوا يعلمون ذلك ويعتقدونه ويعلمون بأن المرء يحفظ في ولده، فذلك كاف لمنعهم عن قتله، واستحلال دمه وانتهاك حرمته، بل إن كونه ابن بنت رسول الله ﷺ فهو من الذين أوجب الله على الأمة طاعتهم ومودتهم قال تعالى ﴿**قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾[1].

---

(١) سورة الشورى: ٢٣.

فهذه الآية لا تمنع من قتله فقط بل توجب على الأمة الإسلامية الوقوف إلى جانبه والدفاع عنه ونصره حتى ممن لم يكتب إليه أو لا يعتقد إمامته.

الأمر العاشر: أنه لا موجب ولا دافع لدى المجتمع الكوفي لقتله فهو لم يقتل لهم أحدا فيطلبوه بدمه، ولا لهم في ذمته مال أو غير ذلك مما يوجب لهم هذا الموقف، وواضح أنه عليه السلام يخاطب هذا التجمع متجاوزا فيه انتماءه السياسي والإداري، فإنه ليس لديه أي سبب لقتاله، وهذا ما أشرنا له سابقا بأن جيشا يخرج للقتال وليس لديه قضية يدافع عنها، أو يطالب بها أو يدعو إليها ويقاتل من أجلها، سوى خوفه من الموت وطمعه في الدنيا.

الأمر الحادي عشر: التذكير بالكتب، والظاهر أن الإمام الحسين عليه السلام خص شبث بن ربعي وحجار ابن أبجر وقيس بن الأشعث ويزيد بن الحارث بالذكر لأنهم رؤوس في جيش ابن سعد وقد كان لهم دور كبير في تخذيل الناس عن مسلم بن عقيل وفي جمع الناس لابن زياد والظاهر أنهم كانوا رؤوسا في عشائرهم أو أن نفاقهم وتقربهم من بني أمية كان له دور في بناء شخصياتهم.

والتذكير هنا بالكتب له أهميته فبعد أن وعظ وبين سبب قدومه وأن هؤلاء القادة في هذا الجيش هم من الذين كتبوا إليه

وطلبوا منه القدوم عليهم ووعدوه النصر والأمر بيدهم الآن، فبمقدورهم تركه يرجع.

الأمر الثاني عشر: طلب الرجوع وقد تقدم معقولية هذا الطلب رغم هذا الموقف وهنا وبعد أن وعظ وبينه أن قدومه كان بسبب دعوتهم وكتبهم إليه، فإنهم إذا لم ينصروه ويقفوا إلى جانبه فلا أقل إنهم لن يسلموه فضلا عن أن يقتلوه، إن أي إنسان عاقل بل يحمل شيئا من العقل والإنسانية ليرى لزاما على أولئك أن يسمحوا له بالعودة والرجوع أو التوجه إلى مأمن من الأرض.

والخلاصة أن كل ما تقدم من كلامه يهدف إلى بيان ما قدمه من النتيجة (أن كل من أنصف نفسه وجد أن لا سبيل له عليه) بل حتى بني أمية لا سبيل لهم عليه، فإنهم أرادوا قتاله لمطالبته بحقه فإذا سكت عنه وجلس عن المطالبة به فإنه لا موجب لقتله.

وقد تقدم أنه كان من المعقول جدا توقع عرض ابن زياد عليه الرجوع إذ سكت عن حقه ولم يطلب ما في يد بني أمية. كما تقدم قبول ابن سعد ذلك عرضه على ابن زياد، وكان يتوقع منه القبول لولا خبث شمر لعنه الله ونهيه له.

الأمر الثالث عشر: رفض الاستسلام والنزول على حكم ابن زياد، فإن النزول على حكمه يعني الاستسلام يفعل به ما يشاء. فقال عليه السلام:

(لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل وأقر قرار) أو (أفر فرار العبيد).

وهذا هو الفرق بين الإمام الحسين عليه السلام وأولئك القوم الذين بسبب خوفهم من الموت باعوا دينهم بدنيا غيرهم.

خطبة الإمام الحسين عليه السلام الثانية:

بعد أن نشر المصحف على رأسه فقال:

يا قوم إن بيني وبينكم كتاب الله وسنة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله.

ثم استنشدهم عن نفسه المقدسة، وعن جده رسول الله صلى الله عليه وآله وأبيه أمير المؤمنين عليه السلام، وأمه فاطمة سيدة نساء العالمين عليها السلام وجدته خديجة أم المؤمنين عليها السلام، وعن عم أبيه حمزة سيد الشهداء وعن عمه جعفر الطيار في الجنة، وعما كان متقلدا من سيف رسول الله صلى الله عليه وآله، وما عليه من درعه وعمامته، فأجابوا عن كل ذلك بالتصديق.

فسألهم عما أقدمهم على قتله واستحلال دمه؟

فقالوا: قد علمنا ذلك كله ونحن غير تاركيك حتى تذوق الموت عطشا.

فقال عليه السلام:

تبا لكم أيتها الجماعة وترحا، أحين استصرختمونا والهين فأصرخناكم موجفين، سللتم علينا سيفا لنا في أيمانكم، إلبا لأعدائكم على أوليائكم، وبدا عليهم لأعدائكم، بغير عدل أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم، إلا الحرام من الدنيا انالوكم، وخسيس عيش طمعتم فيه، من غير حدث كان منا، ولا رأي تفيل لكم، فهلّا لكم الويلات إذ كرهتمونا (و) تركتمونا والسيف مشيم، والجأش طامن، والرأي لما يستصحف، ولكن أسرعتم إليها كطيرة الدبى، وتهافتم عليها كتهاتف الفراش، ثم نقضتموها، فسحقا لكم يا عبيد الأمة، وشذاذ الأحزاب، ونبذة الكتاب، ومرفي الكلم، ونفثة الشيطان، وعصبة الآثام، ومطفئي السنن، وقتلة أولاد الأنبياء، ومبيري عترة الأوصياء، وملحقي العهار بالنسب، ومؤذي المؤمنين، وصراخ أئمة المستهزئين، (الذين جعلوا القرآن عضين) (ولبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون).

وأنتم ابن حرب وأشياعه تعتمدون، وعنا تخاذلون، أجل والله غدر فيكم قديم، وشجت عليه أصولكم، وتأزّرت عليه فروعكم، وثبتت عليه قلوبكم، وغشيت صدوركم، فكنتم أخبث ثمر، شجى

للناظر، وأكلة للغاضب، ألا لعنة الله على الناكثين ن الذين ينقضون الأيمان بعد توكيدها، وقد جعلتم الله عليكم كفيلا، فأنتم والله هم.

ألا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين، بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة، يأبى الله لنا ذلك، ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، وأنوف حمية، ونفوس أبية، من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام.

ألا وقد أعذرت وأنذرت. ألا وإني زاحف بهذه الأسرة على قلة العدد وكثرة العدو، وخذلان الناصر ثم أنشد:

فإن نهزم فهزامون قدما ... وإن نهزم فغير مهزمين

وما إن طبنا جبن ولكن ... منايانا ودولة آخرينا

إذا ما الموت رفع عن أناس ... كلاكله أناخ بآخرينا

فأفنى ذلكم سرات قومي ... كما أفنى القرون الأولينا

فلو خلد الملوك إذن أخلدنا ... ولو بقى الكرام إذن بقينا

فقل للشامتين بنا أفيقوا ... سيلقى الشامتون كما لقينا

ثم قال: أما والله لا تلبثون إلا كريثما يركب الفرس حتى تدور بكم دوران الرحى، وتقلق بكم قلق المحور، عهد عهده إلى أبي عن جدي رسول الله صلى الله عليه وآله، (فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن وربكم ما من دابة إلا هو أخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم).

ثم رفع يده إلى السماء وقال:

اللهم احبس عنهم قطر السماء، وابعث عليهم سنين كسني يوسف، وسلط عليهم غلام ثقيف، يسقيهم كاس مصبرة، ولا يدع فيهم أحدا إلا قتله، قتلة بقتلة، وضربة بضربة، ينتقم لي ولأوليائي وأهل بيتي وأشياعي منهم، فإنهم غرونا وكذبونا وخذلونا، وأنت ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير)[1].

وقبل التعرض لبعض ما تضمنته هذه الخطبة نلاحظ هنا اختلاف أسلوب الإمام عليه السلام في هذه الخطبة عن بقية خطبه السابقة، فقد لاحظنا في الخطبة السابقة تعمده إثارة أمور.

الأول: الدعوة إلى الوفاء بالبيعة وبما كتبوا له.

الثاني: أحقيته بالخلافة والقيادة.

الثالث: قربه من رسول الله صلى الله عليه وآله.

الرابع: تركه يعود من حيث أتى.

أما هذه الخطبة فإنه لم يذكر فيها شيئا من ذلك نعم قررهم على معرفته ومعرفة أهل بيته، وسابقتهم ثم أنه عليه السلام أخذ يوبخهم على موقفهم هذا.

---

(١) مقتل الحسين، آل بحر العلوم، ص٣٨٠؛ بحار الأنوار، ج٤٥، ص١٠، مع اختلاف يسير بينهما.

وهذا الأسلوب من الخطب يجعل المخاطب يرى دناءة نفسه، ويلتفت إلى حاله وقبيح فعله وخطأ موقفه وخسيس عيشه مما يجعله ينفر من ذلك وينأى بنفسه عن ذلك ويطمع في حياة أفضل وعمل أحسن وموقف صحيح.

وبهذا يكون الإمام عليه السلام حتى في هذا الخطاب داعيا إلى العودة إلى الحق ببيان حقيقة ما صاروا إليه فإنهم لم ينالوا من بني أمية إلا الحرام وخسيس العيش وأصبحوا عبيد اللأمة بطاعتهم لهم وشذاذ الأحزاب برجوعهم لهم بعد أن ساموهم سوء العذاب ونفثة الشيطان بموقفهم الغريب بعد استصراخهم واستنجادهم بالإمام عليه السلام ثم غدرهم به، ونبذة الكتاب فقد تركوا ما أوصاهم الله سبحانه به في كتابه من مودة آل محمد وطاعتهم، ولم يعملوا به بل نبذوه وراء ظهورهم، محرفي الكلم بتزوير أسباب نزولها وتغيير مداليلها، وجعلها في غير أهلها وصرفها عن ولاية أهل البيت عليهم السلام وإمامتهم فحرفوها بتأويلها في غيرهم، وأنكروا بذلك فضلهم، وصغروا عظيم شأنهم، وضيعوا حقهم، ومطفئي السنن بسبب عدم أخذهم بها وعدم اهتدائهم بهديها، وقتلة أولاد الأنبياء ومبيري عترة الأوصياء، وملحقي العهار بالنسب ومؤذي المؤمنين وصراخ أئمة المستهزئين (الذين جعلوا القرآن عضين).

وأيضا من الملاحظ تجسيده شخصية الرسول ﷺ بأن لبس عمامته ودرعه وتقلد سيفه وركب دابته، وأضف إلى ذلك شبهه برسول الله ﷺ في خلقه وخلقه وهديه، وهذا الأمر لوحده ينبغي أن يكف أولئك عنه، فأنهم إن يقتلوه فإنما يقتلوا به رسول الله ﷺ.

ترى هل هناك مسلم يمكن أن يشهر السيف في وجه رسول الله ﷺ؟

ثم إن الإمام عليه السلام استنكر على أهل الكوفة موقفهم بعد توبيخه لهم ولكن لعل سائلا يسأل: لماذا الاستنكار من الإمام الحسين عليه السلام أو التعجب من موقفهم؟

فإنما يستنكر من موقفهم من لم يعرفهم بالغدر، ويتعجب من غدرهم من لم يخبر حالهم عن قرب، أما الإمام عليه السلام فقد عاش بينهم، ورأى تقلب أحوالهم، فما وجه هذا الاستنكار أو هذا التعجب إذا غدروا به ونقضوا بيعتهم؟

وما وجه قوله: (أجل والله غدر فيكم قديم إلخ)؟

والجواب عن ذلك واضح على ضوء نظريتنا في تحليل القضية الحسينية، وذلك أنهم بعد تجربتهم مع بني أمية، وما قاسوه فيها من البلاء والفقر، والخوف والتشريد، والقتل على التهمة، والحبس على الظنة، فإنه يجب أن يكونوا قد استفادوا منها، فكل بسبب

غدرهم بالإمام الحسن عليه السلام، وثمرة طمعهم في العادي والطاغي، ونتيجة وثوقهم بالغادر والباغي، ويفترض أنها أقنعتهم بضرورة الرجوع إلى آل محمد ونبذ بني أمية وإبعادهم، فلا أعتقد أن هناك من يتصور وقوفهم إلى جانبهم بعد كل ذلك ضد من استصرخوه ودعوه وبايعوه وأعطوه العهود والمواثيق بل الغادر إذا وجد الفرصة للخلاص ممن ظلمه وقتله وأخافه وشرده فلن يتردد في الوقوف في وجهه وخصوصا إذا كان هو الذي دعا مخلصه ومنقذه فإذا عاد وغدر علمنا أن الغدر فيه قديم وأن التجارب لا تنفعه.

إن هذا الموقف الغريب والشاذ الذي لم يعرف له مثيل في تاريخ البشرية هو المثير للاستنكار والتعجب فقوله: (أجل والله غدر فيكم قديم إلخ) كأنه يقول: إنكم وإن كنتم معروفين بالغدر إلا أن تجربتكم مع بني أمية يجب أن تكون قد أثرت في نفوسكم وعلى طبائعكم فغيرتها، فعلمتم أن الغدر لا خير فيه وأن أهل الغدر والظلم والفسوق لا وفاء لهم ولا يوقف بقولهم ولا يركن إلى وعدهم، وأنهم متى ما حكموا ظلموا ومتى ما تمكنوا غدروا ونكثوا، فلم يفوا بوعد ولم يتموا عهدا، ولم يعرفوا للحق طريقا ولا للخير سبيلا، ولم يوقروا كبيرا ولم يرحموا صغيرا، واستأثروا بالفيء وجعلوه دولة بين الأغنياء فلم يعطوا فقيرا ولم يعينوا ضعيفا، وقد

رأيتم كل ذلك في بني أمية رأي العين، وقد تبين لكم الحق الصراح فعرفتم الغدر ونتاجه والباطل وأهله، وأثر اتباعهم ونتيجة الوثوق بهم، والطمع في دنياهم فاستغثتم من ظلمهم واستجرتم من اتباعهم ونتيجة الوثوق بهم، والطمع في دنياهم فاستغثتم من ظلمهم واستجرتم من جورهم ونفرتم من حكمهم، وعرفتم الحق وأهل الحق، فلجأتم إليهم موجفين ليخلصوكم ممن ظلمكم واستضعفكم انقلبتم وغدرتم وعدتم إلى أعدائكم الذين غدروا بكم وظلموكم فوثقتم بهم بعد الغدر ونصرتموهم بعد الظلم وهذا أغرب وأعجب موقف من مظلوم لا أمل له في عدل ظالمه، وموتور لا رجاء له في إنصاف واتره، يقف إلى جانبه ضد وليه وصريخته وملجئه مستغاثه، ما ذاك إلا لأن الغدر فيهم قديم شاخ عليه الكبير وتربى عليه الصغير فلا تنفع فيهم المواعظ ولا تغيرهم التجارب فقد ضمته صدورهم وامتلأت به قلوبهم، وجرت به دمائهم، نعم حتى التجارب التي من شأنها أن تغيرهم لم تؤثر فيهم.

والنتيجة الجديدة - بعد تللك التجربة التي دامت قرابة العشرين عاما يستصرخون فيها الإمام عليه السلام مصرين على دعوته منتظرين قيامه ونهوضه بهم - أن غدر هؤلاء ليس بسبب الطمع في الدنيا فقط بل لأن الغدر متأصل في نفوسهم وشجت عليه الأصول

وتآزرت عليه الفروع، وبذلك اصبحوا أخبث ثمر شجا للناظر لهم ولكثرتهم إذ لم يتعظوا وأكلة سهلة للغاضب الظالم الجائر فينقادون له ويطيعونه، فمن يظلمهم ويغصبهم حقوقهم ينساقون إليه سلسي القياد خوف ظلمه وجوره، ومن يأمنون شره ويعرفون إنصافه وعدله ويأملون معه إحدى الحسنيين إما حياة سعيدة أو موتة كريمة يغدرون به ويقتلونه.

وعلى كل فذلك الموقف الغريب هو المثير للاستنكار والتعجب وهو النتيجة الجديدة غير المتوقعة لكل من التفت إلى تجربتهم ونتائجها وإصرارهم المستمر إلى هلاك معاوية والتي أيدوها بمسارعتهم إلى مكاتبة الإمام عليه السلام وإرسال رسلهم إليه ودعوته وإعطائهم العهود والمواثيق له ومبايعته.

فكل من التفت إلى تلك التجربة وما نتج عنها ليقطع بضرورة تغيّرهم، وتأثير التجربة في طبايعهم وتقويمها سلوكهم وانقطاع أملهم من أعدائهم ولا يرى سابق غدرهم مانع من الوثوق بوعودهم، وتصديق كتبهم وقبول بيعتهم، فإذا عادوا لغدرهم مانع من الوثوق بوعودهم، وتصديق كتبهم وقبول بيعتهم، فإذا عادوا لغدرهم ووقوفهم مع عدوهم ومن خدعهم وغدر بهم ولم يفي بوعوده إليهم بل سامهم سوء العذاب واسأثر

بفيئهم ولم يعطهم قليلا ولا كثيرا نعم عودهم إليه ووثوقهم به مشايعتهم لله ذلك هو الأمر المفاجئ الذي لم يكن متوقعا أبدا منهم مهما كان طبعهم وذلك موجب للتعجب والاستغراب والاستنكار وعليه فما هذا الموقف إلا لأن الغدر فيهم قديم قد تأصل في نفوسهم وجرت به عروقهم وهذه نتيجة جديدة أظهرها موقفهم وتخاذلهم ونقضهم بيعتهم.

وبهذا يتضح معنى قولنا سابقا إن كل من التفت إلى تجربة الكوفة ليرى أنه من اللازم على أهل الكوفة أن يقفوا إلى جانب الإمام الحسين عليه السلام أن هذا اللزوم ليس من الجهة الشرعية، فكل من يؤمن بالله ورسوله يدرك ذلك، ولا تتوقف معرفة ذلك على الالتفات إلى تلك التجربة، بل مرادنا أن التجارب الصعبة الطويلة، ومرارة الندم الذي يعتصر نفس الغادر بسبب تورطه في شباك غدره، وطول معانته، من شأن ذلك عادة أن تؤثر في النفوس والطبائع فتغيرها، وعليه فالتجربة الكوفية بنفسها ينبغي أن تكون قد تؤثر في النفوس والطبائع فتغيرها، وعليه فالتجربة الكوفية بنفسها ينبغي أن تكون قد خلقت حالة نفسة خاصة أوجدتها الأحداث التراكمية المأساوية، إلى جانب التألم النفسي من الإحساس بالندم بسبب سوء الاختيار، والطمع في بني أمية

والتفريط في أهل البيت عليهم السلام، والتخلي عنهم، والغدر بهم، وامتناع الحسنين عليهما السلام عن نقض العهد الذي ألجؤوهما إليه تلك المدة الطويلة، زاد في ندمهم وضاعف تأسفهم، وهذه الحالة النفسية التي استمرت تلك الفترة الطويلة كفيلة بتغيير طبيعة أي غادر، وتقويم نفس أي ماكر، ودعوتهم الإمام الحسين عليه السلام للطلب بحقه وحقهم واستمرارهم بإصرار وإلحاح على ذلك تلك الفترة الطويلة كفيلة بتصديق تغيّرهم ومبايعتهم مسلما عليه السلام دليل على تأثرهم ورجوعهم إلى رشدهم.

فالتغيّر التجربة دليله، ولزوم تصديقهم الاستمرار في دعوتهم، والإصرار عليها دليل عليه، وإعطاء البيعة دليل عملي على كلا الأمرين.

ولذلك قلنا إن كتبهم للإمام الحسين عليه السلام لم تكن بقصد الغدر به فكل ما ذكر فيها من أسباب الكتابة صحيح لا كذب فيه ولا تزوير، ولأجل ذلك كله قلنا إنه من الطبيعي تصديقهم بل هو أمر عقلائي بل مع ملاحظة التجربة والتأكد من نتيجتها بما وجده مسلم من بيعتهم واستعدادهم يكون تصديقهم ضروري ولهذا قلنا أن كل من علم بتجربتهم والتفت إلى حالهم سوف يوجب على الإمام الحسين عليه السلام الخروج إليه ولذلك أيضا استبعدنا فكرة غدرهم ونظرية

العلم العادي بقتلهم الإمام الحسين عليه السلام، ولذلك كله أيضا كان لتعجب الإمام الحسين عليه السلام واستنكاره موضع مع ملاحظة معرفته السابقة بهم، ولا سيما أنه ليس لدى المجتمع المسلم عامة والمجتمع الكوفي خاصة أي دافع ليسل على الإمام عليه السلام سيفا له في أيمانهم أو يؤجج عليه للحرب نارا اقتدحها على عدوه وعدوهم.

وهنا تتجلى أفظع مظاهر تلك المأساة حيث يقف أهل الكوفة إلى جانب أعدائهم ينصرونهم بغير عدل أفشوه فيهم، ولا أمل أصبح لهم فيهم إلا الطمع في الحرام وخسيس العيش من فضلاتهم التي يرمونها لهم.

نعم يقفون إلى جانب عدوهم وضد أوليائهم فهم أيدي لأعدائهم على أوليائهم. ولكن لماذا؟

هل بدل أوليائهم منهجهم؟

هل بدلوا شيئا من دينهم فأحلوا الحرام أو حرموا الحلال؟

هل بدا منهم ما يستوجب ذلك الموقف؟

والجواب واضح: لا.

ولكن أهل الكوفة مالوا إلى عدوهم بغير حدث كان من أوليائهم ولا رأي مخالف للدين ظهر وبدا منهم.

فمنهج الإمام الحسين عليه السلام لم يتغير منذ الساعة التي تحرك فيها والتي أعلن فيها سيرته ومهجه في وصيته:

(ما خرجت إلا لطلب الإصلاح في أمة جدي آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر).

فإذا كان الإمام الحسين عليه السلام لم يحدث ما يستوجب ذلك الانقلاب ولم يظهر منه أي مخالفة للشرع فلماذا هذا الموقف؟

إنه الطمع في الحرام من الدنيا والرضا بخسيس العيش بذلة ومهانة.

نعم إن هذا الموقف من أهل الكوفة يستوجب الإنكار والتعجب من كل عاقل إنهم يشايعون أعداء الدين ويقتلون، أبناء سيد المرسلين صلى الله عليه وآله بعد أن أعطوه المواثيق والعهود فأقبل لهم بنفسه وأهله وولده وإخوته ملبيا دعوتهم ومستجيبا لاستصراخهم فقتلوه وأهل بيته صغيرهم وكبيرهم وانتهبوا رحله وسبوا بنات رسول الله صلى الله عليه وآله بغير سبب إلا إرضاء أعداء الله وأعداء رسوله صلى الله عليه وآله وأعدائكم وهذا هو سر المصيبة العظمى والمأساة الكبرى التي لم يحدّث التاريخ بمثلها أبدا.

إن سر المصيبة في قضية الإمام الحسين عليه السلام هو إقباله عليه السلام بأهل بيته نسائه وبناته وأولاده صغيرهم وكبيرهم وكل من يلوذ به من

أهـل البيـت عليهم السلام، ولم يكـن خروجـه بثقـل آل محمـد عليهم السلام لقتـال أهـل الكوفـة كـما تقـدم تفصيله بـل إقبالـه بهـم لأنهـم أعطـوه البيعـة مـن انفسـهم فأقبـل بثقـل النبـوة ليستقر بهـم في الكوفـة فيكـون أهلـه مـع أهلهـم كـما قـال عليه السلام: (نفســي مـع أنفسـكم وأهــلي مـع أهلـيكم وأولادكـم ولكـم فيّ أسـوة)(١)، ثـم غـدروا بـه وقتلـوه وأهـل بيتـه حتـى الرضـع وأخـذوا بنـات رسـول الله صلى الله عليه وآله سـبايا مـن بلـد إلى بلـد يتصـفحوا وجـوههن القريـب والبعيـد والشــريف والوضـيع، إن قتـل الإمــام الحسـين عليه السلام وهـو حبيـب الله وحبيـب رسـوله صلى الله عليه وآله بـذلك الشـكل الغـادر وبتلـك الصـورة المأسـاوية وهـو ينظـر إلى بنـات رسـول الله صلى الله عليه وآله ومـا ينتظـرهن مـن الـبلاء ويـذبح مـن القفـى ومعـه أهـل بيتـه مـا لهـم في الأرض شـبيه يـذبحوا أمـام نسـائه وبناتـه عطشـانا وهـو ابـن سـيد المرسلين وابـن أمـير المـؤمنين وابـن فاطمـة الزهـراء سـيدة نسـاء العـالمين وهـو وأخـوه سـيدا شـباب أهـل الجنـة عليهم السلام أجمعـين ذلـك هـو السـر في عظم مصيبة سيد الشهداء عليه السلام ولذلك كان لا يوم كيوم الحسين.

لوكـان الإمـام الحسـين عليه السلام خـرج لقتـال أهـل الكوفـة ابتـداء، أو أنـه لم يبـاعوه ولم يـدعوه، أو أنهـم تركـوه يرجـع بعـد أن تخلـوا عنـه ومـع

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٨٢.

ذلك أصر على قتالهم فقتلوه لما كان لقتله ومصيبته ذلك البعد الذي أخذته من النفوس.

إن الصور التي قتل بها أهل البيت عليهم السلام عامة والإمام الحسين عليه السلام خاصة كلها كان أهل البيت عليهم السلام فيها مظلومين مضطهدين، ولم يستطع أي أحد ممن ظلمهم أو قتلهم إثبات أي موجب لقتلهم وإيذائهم سوى حسده لهم وظلمه، من هنا كان قتلهم وسجنهم وإيذائهم وصبرهم على ذلك مع مالهم من المقام العظيم عند الله سبحانه مصيبة عظيمة، ومظلومية حقيقية وواقعية، ولا سيما مصيبة أبي عبد الله الحسين عليه السلام وما اكتنفها من مشاهد مأساوية فاقت كل حدود التصور حتى صارت فريدة التاريخ فلا يوم كيوم عاشوراء وكان ذكرها يمثل مشكلة كبرى من جهات عدة أهمها أمران:

الأول: وصف قاتليهم وظالميهم بالإجرام ومرتكبي الحرام وقاتلي النفس المحترمة عند رسول الله صلى الله عليه وآله وإثبات أسمائهم في قائمة التاريخ السوداء مع المجرمين في حين أنهم يصفون أنفسهم بخلفاء سيد المرسلين.

الأمر الثاني: وقوع المسلمين في حالة من التناقض بين إنتمائهم الديني الموجب للحكم على قاتليهم وظالميهم بالكفر والفسوق

واستحقاق غضب الجبار ودخول النار خالدين مع المجرمين والفجار قال تعالى ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ الله عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[1]، وبين ارتباطهم بقاتليهم واعتقادهم خلافتهم أو إمارتهم وإعظام شأنهم وإكبار شخصياتهم. وبذلك كان ذكر مصائبهم يذكرهم بتناقضهم وظلم قاتليهم ولذلك تحملوا عبئ تبرئة ساحة قاتليهم أو تبرير أفعالهم وحاربوا تجديد ذكرى تلك المصائب تارة، ودعوا إلى تغيير مضمون مجالس ذكرهم تارة أخرى من مجالس عزاء ومصائب إلى مجالس علمية ومحاضرات فكرية أو بحوث أو غير ذلك مما لا يحي ذكرهم، والمهم أن لا تذكر تلك القضايا والمصائب بأشكالها المأساوية، وحقيقتها المؤلمة، ويا للأسف فقد شارك بعض من ينتمي إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام في ذلك ونأسف هنا لهذا الاسترسال الذي لا يخلو من الفائدة ولنعد لما كنا فيه.

إن تاريخ البشرية في مسيرتها الطويلة لم يحدث أبدا عن مجتمع رزح تحت الظلم والجور والخوف والفقر والقتل سنين متطاولة، واستصرخ ابن بنت نبيه واستغاث به ودعاه وبايعه وألقى إليه قياده لينقذه ويقوده ضد ذلك الظلم والجور، ثم بعد أن استجاب

---

(١) سورة النساء: ٩٣.

لصراخه انقلب عليه! ووقف ضده! وإلى جانب من وقف؟ إلى جانب عدوه ليقتل صريخته وملبي دعوته! ولماذا يريد قتله؟ لا لشيء كان من سيد شباب أهل الجنة ولا لأمر يحمله عليه ويحركه ضده بل إرضاء لعدوه وتنفيذا لرغبته وفقط!!

ومع ذلك فلم ييأس الإمام الحسين عليه السلام من دعوتهم إلى الله والرجوع إليه ولآخر نفس وهو يدعوهم إلى التوبة ويرغبهم في الله سبحانه وفي ثوابه وشفاعة جده.

وهم إلى آخر لحظة مصرون على قتله ماضون في تنفيذ أوامر عدوهم وعدوه.

هكذا أصبحت القضية الحسينية أغرب واقعة وأعجب قضية وأعظم مصيبة في تاريخ البشرية. ولذلك كانت قضية التاريخ، ووحيدته وفريدته.

وبذلك كله امتازت هذه القضية عن كل القضايا والمذابح البشعة والمجازر الفظيعة التي ارتكبت في تاريخ البشرية، وفي حق الإنسانية.

الشيء الخطير هنا في ذلك الموقف، أن الإمام الحسين عليه السلام خرج استجابة لأولئك المظلومين ليدافع عنهم ويقف معهم

وينقذهم من محنتهم، فعدوا عليه وقتلوه وأهل بيته وأصحابه وسبوا بنات رسول الله ﷺ وهم يدعون الانتماء إليه.

ثم إن الإمام عليه السلام قال: (فهلا لكم الويلات إذ كرهتمونا تركتمونا، والسيف مشيم).

فإذا كرهتمونا ولم تريدوا نصرنا أفلا تركتمونا ولم تستصرخونا وتستنجدوا بنا لإنقاذكم من الظلم، ولم ترسلوا لنا كتبكم وبيعتكم. فهلا تركتمونا والسيف مشيم مغمد لم يشهر والرأي لما يستصحف لما يبدي ويعلن ويعرف لطالبه والباحث عنه.

ومن هذه الكلمات وما قبلها نجد الصراحة من الإمام عليه السلام أن خروجه كان اعتمادا على نتيجة تجربة الكوفة ودعوتهم فلوجود الناصر العارف بحق الإمام عليه السلام الملتجئ إلى ساحته المستغيث به، والطامع في عدله والمبايع له والعارف بالعدو والمجرب له والموتور منه خرج الإمام الحسين عليه السلام.

فإن أهل الكوفة لو لم يدخلوا تلك التجربة لما كان الإمام الحسين عليه السلام يخرج إليهم وإن دعوه بعد قتلهم اباه وغدرهم بأخيه، وكذا لو أنهم تركوه ولم يكتبوا إليه بعد تجربتهم لما خرج إليهم وهذا الأمر تجده صريحا في خطبته هذه في قوله:

(هلا لكم الويلات إذ كرهتمونا تركتمونا والسيف مشيم والجأش طامن والرأي لما يستصحف).

فإنهم لو تركوه ولم يستصرخوه ولم يكتبوا له بالبيعة لما كان موجب الإشهار السيف وإبداء الرأي وإعلان الخلاف والخروج إذ لا ناصر، وكما ذكرنا أنه لو جلس فله بأمير المؤمنين عليه السلام أسوة حسنة في صبره على طخية عمياء من أن يصول بيد جذاء.

وفي هذه الكلمات أيضا دلالة واضحة على أنه لم يخرج ليضحي بنفسه الشريفة عليه السلام للتضحية نفسها أو أنه ترك التقية بل خرج استجابة لدعوة أهل الكوفة.

ثم أنه عليه السلام قال: (ولكن أسرعتم إليها) إلى الكتابة والمبايعة كالجراد الزاحف وتهافتهم على البيعة من كل صوب كالفراش حتى بايع مسلما منهم ثمانية عشر ألفا ثم نقضتموها بعد توثيقها.

ثم استنكر عليهم متعجبا ومستغربا بقوله: (وأنتم ابن حرب وأشياعه تعتمدون وعنا تتخاذلون، أجل والله غدر فيكم قديم).

حقا أن هذا من عجائب الدنيا وغرائبها أن يقف أهل الكوفة إلى جانب بني أمية بعد أن ساموهم سوء العذاب وأخافوهم وقتلوهم وأسملوا أعينهم وقطعوا أيديهم وأرجلهم وصلبوهم

فوق جذوع النخل في تلك التجربة المريرة! ولكنه الغدر والطمع في خسيس العيش، أجل والله غدر فيهم قديم تفرعوا عنه وتربوا عليه وعشش في صورهم وجرى مع دمائهم، فلا تغيره التجارب ولا تقومه المصائب، فكانوا أخبث ثمر شجا للناظر وأكلة للغاضب (ألا لعنة الله على الناكثين، الذين ينقضون الإيمان بعد توكيدها) ثم أنه قال عليه السلام:

(ألا وإن الدعي ابن الدعي، قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت وأنوف حمية ونفوس أبية من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام).

والأمر هنا واضح فإن ابن زياد لعنه الله قد حصر الأمر في اثنتين ولم يعرض صلحا ولا قبل من الإمام عليه السلام الرجوع أو يتوجه إلى ثغر من ثغور المسلمين بل حصره بين السلة أي الحرب أو الذلة أي الاستسلام والنزول على حكمه.

وحيث حصر أمر الإمام الحسين عليه السلام بين هاتين ولا يمكن أن يستسلم لابن زياد على حكمه يفعل به ما يشاء يقتله صبرا أو يطلقه فتكون سبة على بني هاشم يمن بها يزيد على الحي منهم والميت إلى

آخر الدهر بل على الإسلام والمسلمين ونبيهم وهذه هي الذلة التي يأباها الله له ورسوله صلى الله عليه وآله والمؤمنون.

كما أنه لو استسلم خوفا من الموت فما الفرق بينه وبين ابن سعد الذي استسلم لابن زياد خوفا على داره أن تهدم وبستانه أن يؤخذ وغيره ما الفرق بيننه وبين ذلك الجيش الذي استسلم وغدر به طمعا في الحرام وخوفا من الموت، ولكن هيهات هيهات أن يؤثر الاستسلام وطاعة اللئام على مصارع الكرام ولقاء الرب العلام.

الإمام الحسين عليه السلام والصلح:

وهنا لدينا استفهام نثيره وهو ماذا لو عرض على الإمام الحسين عليه السلام الصلح كما عرض على الإمام الحسن عليه السلام؟

ماذا لو سمح له بالرجوع عندما عرضه الإمام الحسين عليه السلام على ابن سعد وجيشه وعرضه أصحابه عليهم؟

أكان يرفض ذلك؟

أكان يقاتل؟

أكان يضحي بنفسه؟

هل يكون للتضحية معنى أو مكان؟

وقبل الإجابة على ذلك نسأل هنا أيضا.

ماذا لو حصر الإمام الحسن عليه السلام بين الاستسلام أو القتال؟

فهل كان يستسلم أم كان يقاتل حتى الموت؟

أما الجواب عن الاستفهام الثاني فإني لأعتقد وأقطع ولا أشك أبدا بأن الإمام الحسن عليه السلام لو حصر أمره بين تينك الخصلتين لاختار القتال ومصارع الكرام على الاستسلام وطاعة اللئام كأخيه أبي عبد الله عليه السلام، ولكانت تضحية حسنية قبل أن تكون حسينية بل الأصح حسنية وحسينية، ولكن حيث عرض الصلح عليه فلا موضوع للقتال أو التضحية.

أما الاستفهام الأول: فإن الإمام الحسين عليه السلام لو عرض عليه الصلح أو قبل منه الرجوع تعين عليه اختيار أحدهما، ولما كان للتضحية موضع ومكان، وذلك أن الإمام عليه السلام لم يخرج لقتال أهل الكوفة بل لأنهم دعوه لقيادتهم وضمنوا له نصرتهم وأعطوه بيعتهم، أما وقد تخلوا عن ذلك فإذا تركوه يرجع فلا موجب للقتال بل لو تركوه يرجع وأصر على القتال لما كان تضحية بل كان إلقاء للنفس في التهلكة ولكان لهم العذر في ذلك بأنا عرضنا عليه الصلح فلم يصالح، والرجوع فلم يرجع بل أصر على القتال فلذلك قتل.

وعلى كل فلا موضوع للتضحية لو عرض عليه الصلح أوترك يرجع.

ولذلك قلنا إن موقف الإمام الحسن عليه السلام كان أقوى، فقد عرض معاوية عليه الصلح مع أن جيشه عرض تسليمه، والإمام الحسين عليه السلام عرض هو الرجوع وكذلك اصحابه فلم يجابوا إلى ذلك.

والمهم فحيث حصر أمره بين اثنتين بين السلة والذلة ولم يعرض عليه الصلح ولم يقبل منه الرجوع حصل موضوع التضحية.

وبذلك توافرت للتضحية. أسبابها الخارجية، ودواعيها الطبيعية، وظهرت معالمها جلية، واستنتجها حتى أعدائه (والله لا يستسلم حسين) وكانت شهادته بذلك في محلها ولم تكن إلقاء للنفس بالتهلكة حتى يحتاج إلى تغطيتها بأمور لا واقع لها.

وقد تقدم أن أمر رجوعه كان معقولا جدا فلذلك عرضه الإمام الحسين عليه السلام وطلبه أصحابه بل حتى أعداؤه كابن سعد كان مقتنعا به ويراه معقولا فلذلك عرضه على ابن زياد ولكنه رفض ذلك وأصر على الاستسلام والنزول على حكمه يفعل به ما يشاء، أو القتال بل كما تقدم أنه قبله إلا أن تدخل شمر غير رأيه، فحصلت للتضحية ظروفها الطبيعية.

وبهذا البيان يتضح أن تضحية الإمام عليه السلام لم تكن وظيفة خاصة معللة بأمر غيبي بل أسبابها الطبيعية أصبحت ظاهرة ومعلومة بالعلم العادي، وأيضا اتضح أن عامل الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر قد ارتفع موضوعه لارتفاع شرطه وأيضا اتضح أن ما أعلنه الإمام الحسين عليه السلام من سبب خروجه لم يكن تغطية إعلامية لا واقع له بل كان ذلك هو الواقع الذي تحرك لأجله كما أن ظروف التضحية لم تكن متوافرة أسبابها قبل انقلاب الكوفة وإلجائه إلى كربلاء وحصر أمره بين السلة والذلة، وأيضا اتضح عدم وجود موضوع للتقية حتى يقال إنه تركها لمصلحة أعظم من حفظ نفسه بل كان تحركه وخروجه للإصلاح في أمة جده يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بعد أن وجد الناصر الموتور من بني أمية والناقم عليهم واستمر مسيره بهذا الهدف حتى انقلب أهل الكوفة وأبوا الوقوف إلى جانبه بعد أن التقى بهم فارتفع شرط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فعرض عليهم أن يدعوه يرجع ومن الواضح أن التقية تتحقق بالسكوت عن حقه والرجوع فإذا لم يقلبوا منه ذلك ارتفع موضوع التقية وعليه فلا مورد للتقية في جميع مراحل حركته عليه السلام عليه حتى يقال إنه ترك التقية لمصلحة أعظم مع ما تقدم من الإشكالات على تلك النظريات، وعلى إثر ذلك أعلن الإمام الحسين عليه السلام اختياره للتضحية والاستشهاد: (ألا وإني زاحف بهذه الأسرة على قلة العدد وكثرة العدو وخذلان الناصر).

أعلن بهذه الكلمات موقفه الصريح والذي كان متوقعا ومعلوما بل مقطوعا به حتى لدى أعدائه فقد قال ابن سعد: (والله لا يستسلم حسين).

ثم إن الإمام الحسين عليه السلام كشف ستار الغيب وأن الأمر لن يدوم لهم طويلا فسرعان ما تدور عليهم الدوائر وتنزل بساحتهم النوازل، وكذلك دعا عليهم واستجاب الله دعاؤه فسلط عليهم غلام ثقيف المختار وانتقم منهم وكذا تحقق ما حدث به ابن سعد فلم يول على شيء إلى أن قتله المختار الثقفي.

حياة القلوب:

كانت خطب الإمام الحسين عليه السلام ماء الحياة ولكن لمنن يريد أن يحيا حياة كريمة ويموت موتة كريمة ماء الحياة لمن يفضل مصارع الكرام ويرفض طاع اللئام وهي السعادة لمن أنصف نفسه.

وفعلا نبض قلب بالحياة فرأى الجنة في الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه والنار في بني أمية وشيعتهم، أحيا كلام الإمام الحسين عليه السلام تلك النفس فنظرت في كلامه بعقل وإنصاف فاقتنعت بحججه ولم تر لقتاله أي مبرر بل وجدت في عرض الإمام عليه السلام أمرا معقولا.

أقبل الحر نحو ابن سعد قائلا:

(أمقاتل أنت هذا الرجل)[١].

يجب أن نتوقف هنا قليلا وننتظر في هذا السؤال إذ هو سؤال غريب لأنه صادر من أحد قواد ذلك الجيش وأغرب منه أنه صادر ممن حبس الإمام الحسين عليه السلام عن الرجوع وجعجع به وأنزله على غير ماء وكلاء فالسائل هنا هو الحر بن يزيد الرياحي الذي قال سابقا للإمام عليه السلام:

(والله لان قاتلت لتقتلن).

ترى ما الذي حدث؟

بشكل مختصر أحيت خطب الإمام عليه السلام قلبه وفكر بحرية ومنطقية في كلام الإمام الحسين عليه السلام ولأنه حر في تفكيره فلم تمل نفسه وأطماعها عليه بيع دينه، ولم يفرض عليه وعد ابن زياد ووعيده التخلي عن حريته في تفكيره واختياره، فاختار الجنة على النار وشرف الشهادة على حياة الذل والعار ولذلك أصبح حرا في الدنيا والآخرة.

أجابه ابن سعد:

(إي والله قتالا أيسره أن تسقط الرؤوس وتطيح الأيدي).

قال له الحر:

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٥، ص١٠.

(ما لكم في واحدة من الخصال التي عرضها عليكم رضا؟).

ونجد هنا الحر يعرض على ابن سعد ما عرضه الإمام عليه السلام وهذا يؤيد ما تقدم منا أن مسألة ترك الإمام عليه السلام يعود أمر معقول في مثل وضعه.

وأجابه ابن سعد:

(لوكان الأمر إليّ لفعلت لكن أميرك قد أبى ذلك).

وأيضا فيه دلالة على ذلك إن مسألة ترك الإمام عليه السلام يعود بعد التخاذل عنه أمر طبيعي بل ضروري فهو ليس عدوا لأهل الكوفة حتى يقاتلوه ولا هو خرج ليقاتل أهل الكوفة فمن الطبيعي أن يعرض عليهم الرجوع ومن الطبيعي أيضا أن يدعوه يرجع فلا مبرر لقتاله أبدا وهنا أقبل الحر على نفسه يخيرها بين الجنة والنار كما قال:

(إني أخير نفسي بين الجنة والنار ولا أختار على الجنة شيئا ولو أحرقت)[1].

وهكذا أصبح الحر حرا في تفكيره واختياره إذ رجع إلى الله ووثق بوعده بالجنة وخاف من وعيده وشديد عذابه ولم يركن إلى وعد ابن زياد ولم يخف وعيده فلم يقيده الطمع ولم يرهبه الخوف من الموت دون أن يقف إلى جانب الحق.

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٥، ص١١.

وأقبل على الإمام الحسين ﷺ معلنا توبته والمهم في كلامه هنا قوله:

(ووالله الذي لا إله إلا هوما ظننت أن القوم يردون عليك ما عرضت عليهم أبدا ولا يبلغون منك هذه المنزلة. والله لو علمت أنهم ينتهون بك إلى ما أرى ما ركبت مثل الذي ركبت)[١].

وواضح من كلامه أنه لم يكن هناك أي موجب أو دافع عند أهل الكوفة لقتال الإمام الحسين ﷺ أو قتله أو منعه من الرجوع ولذلك قلنا سابقا إن مسألة قتل الإمام ليست واردة في خلد أحد وكلام أحر واضح في ذلك مع ملاحظة كلامه السابق.

وأما قوله للإمام الحسين ﷺ: (والله لان قاتلت لتقتلن) وقسمه هنا يمكن أن نوفق بينهما بوجوه خمسة:

الأول: إن قوله: (والله لان) إنما كان تخويفا للإمام الحسين ﷺ وشاهدنا على ذلك قول الإمام الحسين ﷺ له (أفبالموت تخوفني).

الثاني: أنه على فرض إرادته معنى كلامه فقد كان غافلا عن أكثر الأمور التي بيّنها الإمام ﷺ في خطبته وبعد اتضاحها مال إلى الإمام ﷺ ويؤيد هذا قوله في خطبته: (بئس ما خلفتم محمدا في ذريته) فيجب على الأمة حفظه فيهم.

---

(١) مقتل الحسين، آل بحر العلوم، ص ٣٨٣.

الثالث: اتضاح أمر غدرهم بالإمام الحسين عليه السلام وأنهم كاتبوه ثم خذلوه ولعله لأجل هذا ركز في خطبته على هذا الأمر بقوله:

(يا أهل الكوفة لأمكم الهبل والعبر إذ دعوتم هذا العبد الصالح إذا أتاكم أسلمتموه وزعمتم أنكم قاتلوا أنفسكم دونه ثم عدوتم عليه لتقتلوه).

الرابع: إدراكه لما ينبغي فعله لهم من لزوم تركه يعود إذا لم ينصروه ولذلك سأل عمر بن سعد عن عرض الإمام عليهم.

الخامس: لجميع تلك الأمور فكلامه كان تخويفا مع غفلته عن شأن الإمام عليه السلام إلى أن اتضح له غدر أهل الكوفة بالإمام عليه السلام.

ثم إن الحر أقبل على الإمام الحسين عليه السلام معتذرا عما ارتكبه قائلا:

(أفترى لي من توبة)

ترى ما عسى أن يكون جواب الإمام الحسين عليه السلام له بعد كل تلك الأحداث والأمور التي صدرت منه وكان لها الأثر الكبير في هذا الموقف الخطير الذي صار فيه الإمام الحسين عليه السلام. الآن وقد اعترف بخطئه فيها.

هل يرده الإمام الحسين عليه السلام دون قبول توبته؟

فلماذا إذا كل تلك الخطب والاحتجاجات عليهم؟

أليست دعوة للحق وللوقوف إلى جانبه؟

فإذا كانت كذلك فهذا الحر قد أعلن توبته واعترف بذنبه.

أجابه الإمام عليه السلام:

(نعم يتوب الله عليك ويغفر لك)

وبعث الحياة والأمل في تلك النفس بعد أن أيقنت بالهلاك لعظيم ما اقترفت.

قال له الإمام الحسين عليه السلام:

(انزل. قال: أنا لك فارسا خير مني راجلا أقاتلهم ساعة وإلى النزول يكون آخر مصيري)[1].

هذا هو الابتلاء المبين الذي أبتلي به الأنبياء الحياة مع الباطل أو الموت مع الحق طاعة الرحمن جلت قدرته أو طاعة الشيطان، الجنة أو النار، الموت بكرامة مع الأخيار أو الحياة بذلة مع الأشرار.

---

(١) مقتل الحسين، آل بحر العلوم، ص ٣٨٣.

وقد ورد أن ثلاثين رجلا مالوا إلى جانب الإمام الحسين عليه السلام ونقل أكثر من ذلك وقد استشهدوا كلهم تحت راية أبي عبد الله الحسين بن رسول الله صلى الله عليه وآله وأصبح بذلك الحر حرا وقلده الإمام الحسين عليه السلام الوسام الأكبر وسام الحرية الحقيقية التي اختارها لنفسه وصبر عليها:

(أنت الحر كما سمتك أمك أنت الحر في الدنيا وأنت الحر في الآخرة)[1].

وعرضنا قضية الحر بالخصوص لأهمية ما تضمنته من الأمور ولتعدد الجهات فيها.

**

(١) مقتل الحسين، آل بحر العلوم، ص ٤٠٠.

الفصل الخامس

مواقف الإمام الحسين عليه السلام وتجلياته:

في مأساة كربلاء وفاجعة الطف في يوم عاشوراء وقعت أعظم مصيبة عرفها التاريخ بجميع المقاييس وكان أعظمها قتل أبي عبد الله الحسين عليه السلام وهتك حرم رسول الله وقد اكتنف تلك المصيبة أحداث غريبة وأمور مهمة لها جهات متعددة ينبغي أن تستوقف الباحث في القضية الحسينية وتستحق أن تثار وتدرس وهي تلك المواقف المتعددة والمشاهد المتكررة من الإمام الحسين عليه السلام فيها وتجلى حتى كانت متجسدة في شخصه وشخصيته متحركة بحركته فقتلت بقتله وأميتت بموته.

ففي اليوم العاشر من المحرم في ضحوة ذلك اليوم تقدم عمر بن سعد بيده قوس في كبده سهم رمى به نحو خيام الإمام الحسين عليه السلام وقال لأصحابه اشهدوا لي عند الأمير أني أول من رمى ثم رمى الناس، فقال الحسين عليه السلام لأصحابه:

(قوموا – رحمكم الله – إلى الموت الذي لابد منه فإن هذه السهام رسل القوم إليكم)[1].

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٥، ص١٢.

وابتدأت المعركة بين أمتين، أمة قليلة لا تتجاوز النيف والسبعين أو المائة تقاتل دفاعا عن كرامة ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وعن عزة سيد شباب أهل الجنة، وعن إبائه الذل والاستسلام وعن حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وبناته وأخرى غادرة تتجاوز الثلاثين ألفا تقاتل دينها وسيدها وابن بنت نبيها لدنيا غيرها.

حمل أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وقاتلوا القوم ساعة فلما انجلت الغبرة إلا عن خمسين صريعا من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام.

ثم اتخذت المعركة طابعا آخر ونهجا مختلفا غير مألوف لم يعرف له التاريخ مثيلا تحولت من معركة إلى مشاهد مأساوية.

كانت المعارك تبدأ عادة بالمبارزة بين بعض الفرسان ثم يلتحم الجيشان أوكانا يلتحمان مباشرة، أما أن يلتحم الجيشان ثم بعد ذلك يبرز الواحد والاثنان أو الثلاثة فإذا قتل أو قتلوا تقف المعركة ليقف الإمام الحسين عليه السلام على صريع مضرج بدمه يقف عليه مرخيا دموعه باكيا حزينا ويخاطبه مؤبّنا له، ثم بعد ذلك يحمل آخر لتستأنف المعركة وهكذا يتكرر هذا المشهد كلما سقط شهيد فهذا أمر لم يعرفه تاريخ الحروب.

وربما علل ذلك بأن أصحاب الإمام الحسين عليه السلام قلة فلذا كان يبرز الواحد والاثنان إلا أن هذا التعليل يبرر بروز الواحد والإثنان أما وقوف المعركة حتى يصل الإمام الحسين عليه السلام وترقب فعله مع قتيل أو تسمع تأبينه لشهيد فقلتهم لا تبرر ذلك كما أن قلة أصحاب الإمام الحسين عليه السلام تمنع من قدرتهم على فرض إدارتهم أمر الحرب فقرار إيقافها أو استمرارها ليس في يد الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه، ولذلك كان أعدائه يتحينون الفرص في اشتغاله بتهدئة نسائه وأطفاله، فلن يدعو فرصة اشتغاله بالبكاء على ابنه أو على أخيه حتى يفرغ لهم، وعليه فيتجه السؤال عن الوجه في وقوف المعركة حتى يقضي الإمام الحسين عليه السلام وطرا من البكاء والحزن أو التأبين.

نعم لا بد أن يكون هناك سر في المقام يوقف القوم ويرجفهم ويقهقرهم فلا ضارب بسيف ولا رامي سهم ولا طاعن برمح، وكأن الكل قد وقف ليشارك الإمام الحسين عليه السلام في حزنه، أو ليمنحه فرصة يبكي فيها على عزيز، ويحزن فيها على شهيد ويؤبن فيها مضرجا بدمه جديل، الحقيقة أني لا أعرف السر والسبب في وقوف أعدائه ولعله علم شيعة آل أبي سفيان بأيمان من يقتلون وعظيم شأنهم، أو احساسهم بعظيم ذنبهم، فيخافون قارعة تبهتهم، أو صاعقة تحرقهم، أو يخافون دعوة الإمام الحسين عليه السلام عليهم، كل

ذلك لعلمهم بعظيم مقام الإمام الحسين عليه السلام وعلو شأنه عند ربه وقربه من نبيه صلى الله عليه وآله، ولذلك كان بعضهم يبكي وهو يسلب بنات رسول الله صلى الله عليه وآله فتقول له: (ما يبكيك يا عدو الله؟! فيقول كيف لا أبكي وأنا أسلب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله!!)(١) أو أن السر هو في تأبين الإمام الحسين عليه السلام لعل من يطمع في ثواب أصحابه أو يخاف الله وعقابه.

يُصرع مسلم بن عوسجة فتقف المعركة لترقب حركة الإمام الحسين عليه السلام ولتسمع كلامه يقف عليه فيؤبنه بقوله: رحمك الله يا مسلم.

وتلا قوله تعالى ﴿**فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا**﴾(٢).

يقف على حبيب بن مظاهر الأسدي فيقول:

(لله درك يا حبيب لقد كنت فاضلا تختم القرآن في ليلة واحدة)(٣).

ويؤبن زهير بن القين قائلا:

---

(١) الأمالي، الشيخ الصدوق، ص ٢٢٩.

(٢) بحار الأنوار، ج٤٥، ص٢٠.

(٣) مقتل الحسين، آل بحر العلوم، ص ٣٩٩.

(لا يبعدنك الله يا زهير ولعن قاتلك لعن الذين مسخوا قردة وخنازير)[١].

وقال في موقفه على جون مولى أبي ذر الغفاري رضي الله عنه):

(اللهم بيض وجهه وطيب ريحه واحشره مع الأبرار وعرف بينه وبين محمد وآل محمد)[٢].

وأقبل نحو ولده علي الأكبر بعد أن قطّع وخرّ صريعا فتقف المعركة فلا ضارب بسيف ولا رام بسهم ويرقب الجميع فعل الإمام الحسين عليه السلام مع ولده، وكلهم أذن صاغية لنعي الحسين عليه السلام رمى بنفسه الشريفة عليه ووضع خده على خده وهو يقول:

(يا بني قتل الله قوما قتلوك، ما أشد جرأتهم على الله، وعلى انتهاك حرمة الرسول).

ثم انهمرت عيناه بالدموع ثم قال:

(على الدنيا بعدك العفى، يا بني أما أنت فقد استرحت من الدنيا وضيمها، وقد صرت إلى روح وريحان، وبقي أبوك، وما أسرع لحوقه بك)[٣].

---

(١) المصدر السابق، ص ٤٠٦.

(٢) المصدر السابق، ص٤١٠.

(٣) المصدر السابق، ص٣٤٨.

ويقف على أخيه أبي الفضل العباس عليه السلام صريعا فيقول:

(الآن انكسر ظهري، وقلت حيلتي، وشمت بي عدوي)(١).

إن المتعارف في الكلمات التأبينية والإشادة بالمواقف أن تلقى وتذكر بعد أن تضع الحرب أوزارها وإذا لم يكن هناك متسع من الوقت فقد لا تقال.

ولكن نجد أن الإمام الحسين عليه السلام مع ضيق الوقت وشدة الحرب وعظم المصاب بمجرد أن يصرع أحد أصحابه يبادر إليه مسرعا ويقف عليه باكيا ويخاطبه مؤبّنا وكأنه مصر على الوصول إلى كل شهيد بنفسه الشريفة حتى الموالي والعبيد.

لعلنا نجد السر في نفس التأبينات التي توّج بها أولئك الشهداء فإذا لاحظنا ما تضمنته تلك التأبينات فإنا نجد في بعضها تعريفا بشخصية الشهيد الإيمانية وأخرى دعاء وأخرى إشادة بحريته الفكرية وأخرى بشارة بالجنة وأخرى بيان أثر قتله عليه.

الظاهر أن الإمام الحسين عليه السلام أراد أن يعرّف القوم بمقام هذه الشخصيات التي يقتلونها عبادتها فكرها، ونتيجة وقوفها إلى جانب الحق وتأييده والدفاع عنه، واطمئنانهم بقضيتهم إلى آخر ساعة،

---

(١) المصدر السابق، ص٣٢٢.

فلهم بذلك الجنة ورضوان من الله أكبر، حتى الموالي والعبيد فلهم بنصرتهم الحق ودفاعهم عن الإمام الحسين عليه السلام العظيم من الثواب في الجنة، وعليه فإنهم إن يقتلوهم إنما يقتلون أهل الإيمان والدين أهل الورع والتقوى أهل الصلاة والصيام الذين رغبوا في ثواب الله فسعوا إليه وتركوا الدنيا وزينتها فشكر الله سعيهم وأثابهم جنات خالدين فيها.

كل تلك الكلمات والتأبينات كان الجيش يسمعها، وكأنه يقف فتخمل الحركة وترتد الأنفاس ليسمع ما يقول الإمام الحسين عليه السلام في تأبينه من تعريف وتبشير، وليرى الكل فالإمام الحسين عليه السلام وهو يقلد كل أصحابه أوسمة الشهادة ويتوجهم تيجان الكرامة لعل ذلك التعريف أو تلك البشارة تمنع أحدا من قتلهم أو ترغب أحدا في ثوابهم، فيكون الإمام عليه السلام حتى في هذا الحال داعيا إلى الله سبحانه لم ييأس من هداية أولئك، كما أن في ذلك تثبيتا لأصحابه فإن عاقبة أمرهم الجنة، ولعل هناك أمر أبعد هو ابتلاء الإمام الحسين عليه السلام فهل يضعف أمام تلك المصائب التي تهد الجبال وتغيض البحار أم يبقى ثابت الجنان راسخ الإيمان، أو أن الله أراد يلفت الناس عظيم تعلقه بربه فمع قتل أعز أحبته وأصحابه وولده وأخوته إلا أنه لم يذهل عن ذكر الله سبحانه ولم يقل ما يسخطه.

تجليات الإمام الحسين عليه السلام:

ثم إن هناك حالة للإمام الحسين عليه السلام تكررت وهي البكاء.

فرأيناه يبكي عندما يقف على هذا أو ذاك من أصحابه بل تجده ينظر إلى شيخ شاد وسطه بالعمامة رافع حاجيه بعصابة عن عينيه فيبكي ويقول له:

شكر الله سعيك يا شيخ.

يقف على أحد أصحابه صريعا فيبكي ويزداد بكاء عندما يقف على شاب في مقتبل عمره يعفر برجليه ينظره مضرجا بدمه، ويزداد بكاء ونحيبا بل تكاد تزهق روحه عندما يقف على جسد ابنه شبيه رسول الله صلى الله عليه وآله فيراه مقطعا قد صبغت الدماء جسمه ينظر إلى النساء يبكي يرى الأطفال يبكي.

إنه أمر غريب فهذا خلاف كل الثوار الذين لا يعرفون البكاء فيفدون بأمة لا يبكون لها ولا بدمعة واحدة وبخلاف تلك الحركات التي عرفت بالتحررية فلم تعرف البكاء على قريب أو بعيد.

ولكن الإمام الحسين عليه السلام يبكي وربما ارتفع بكاؤه.

إن الإمام الحسين عليه السلام قد تجلى في أعلى وأجلى مظاهر الإنسانية، فهو أكمل إنسان، وأرحم إنسان، فهو يتأثر ويحزن ويبكي، إنه يبكي لذلك الشيخ بتلك الحالة وهو يمشي إلى حتفه برضا منه حاملا روحه على كفيه في حب أهل بيت نبيه صلى الله عليه وآله يقدمها فداء لنفس ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله، متقربا بذلك إلى الله تبارك وتعالى، يُبكيه شاب لم يراهق يمشي برجله إلى الموت، يبكيه شبيه رسول الله صلى الله عليه وآله مقطعا، يبكي لطفل لم يفطم بعد يفطم على صدره بسهم، يبكي لحال بنات رسول الله صلى الله عليه وآله لمخدرات علي وفاطمة ولما ينتظرهن من البلاء.

أي قلب لا يتصدع ولا يبكي وهو يرى تلك المشاهد التي لم يعرف لها التاريخ مثيلا.

إن البكاء وحزن القلب ودمع العين وانكسار النفس أمور فطرية تقتضيها الطبيعة البشرية لا يفتقدها إلا من افتقد النفس الإنسانية، فليس البكاء بغريب على الإمام عليه السلام، فهو رحمة الله في عباده كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد بكى وأمر بالبكاء على حمزة، ولكن الاستغراب من أولئك القوم الذين أصبحت قلوبهم كالحجارة بل أشد قسوة كيف لا يكون؟

إن بكاء الإمام عليه السلام دعوة لقلوب أولئك لتحيى فيها النفس الإنسانية والرحمة اللتان ماتتا بسبب حب الدنيا وخوف الموت

لعلهم يعرفون من ينبغي لهم أن ينصروا وعمن يدافعوا ومن يقاتلوا ويقتلوا؟

من أحبهم الله وقربهم أومن مقتهم الله وأبعدهم؟

لعلهم يرجعون إلى أنفسهم فيحاسبونها لماذا قتلوا هذه النفوس التي أحبها الله ورسوله صلى الله عليه وآله والمؤمنون؟

ولكن رغم كل تلك المشاهد المحزنة والمصائب المثكلة لكل إنسان التي أبكت حتى الحيوان بل الجماد فقد بكى دما حزنا على الحسين عليه السلام، مع كل تلك المصائب فلم تلن قلوبهم بل ازدادت قسوة فنادوا: (لا تبقوا من أهل هذا البيت صغيرا ولا كبيرا)[1]. سبحان الله من ينتمون إلى محمد صلى الله عليه وآله ينادون لا تبقوا من آل محمد صلى الله عليه وآله صغيرا ولا كبيرا، لا تبقوا لمحمد صلى الله عليه وآله ذكرا في أولاده!!.

وهنا المفارقة الكبيرة الإمام الحسين عليه السلام يتجلى في أروع مظاهر الرحمة وأرفعها وهم ينسلخون من الإنسانية ويظهرون في أبشع مظاهر الوحشية، فما هم إلا وحوش في صور البشر بل أن بعضهم مسخ فعلا حتى من الصورة البشرية، فصار أشبه الناس بالكلاب والخنازير.

---

(١) مقتل الحسين، عبد الرزاق المقرم، ص ٣٨٧.

وكما أن الإمام الحسين عليه السلام تجلى في أروع صور الإنسانية كذلك تجلى في أعظم مظاهر الصبر بل تجلى الصبر فيه حتى تعجب أعداؤه من صبره. فقال قائلهم:

(ما رأيت مكثورا قط قتل أهل بيته وولده بأربط جأشا منه)[1].

بل تعجبت الملائكة من صبره كما في زيارة الناحية المقدسة:

(وأنت مقدم في الهبوات ومحتمل للأذيات قد تعجبت من صبرك ملائكة السماوات)[2].

وهنا تظهر العظمة في صبر الإمام الحسين عليه السلام، فمع تلك المصائب التي هدت ركنه وكسرت ظهره فشاب لها رأسه وابيضت لحيته وانحنى ظهره لم تضعف عزيمته ولا قل تجلده ولم يستسلم لهم أو ينزل على حكم بني أمية، بل كان صابرا متجلدا مفوضا أمره إلى الله محتسبا تلك المصائب عند ربه فلم يجزع ولم يقل ما يسخط الرب.

وأما التجلي الأهم والأعظم له فتجليه في ذكر الله سبحانه وتعالى حتى أنه أصبح لا يرى منه إلا ذكر الله فقد تجسد فيه ذكر الله، فكل من يراه يرى ذكر الله سبحانه.

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٥، ص٥١.

(٢) بحار الأنوار، ج٨٩، ص٢٤٠.

فتراه في كل موقف يذكر الله جلت قدرته في كل أحواله يذكر الله تبارك وتعالى.

في ليلة العاشر يطلب تأجيل القتال ليذكر الله ليصلي الله سبحانه، يخطب أصحابه يبدأ بذكر الله يُصبّر أخته يذكرها بالله:

(يا أختاه اتقي الله، وتعزي بعزاء الله، واعلمي أن أهل الأرض ميتون، وأن أهل السماوات لا يبقون، وأن كل شيء هالك إلا وجه الله تعالى الذي خلق الخلق بقدرته، ويبعث الخلق ويعودون هو فرد وحده)[1].

يرى ابنه الرضيع والسهم يذبحه من الوريد إلى الوريد على صدره يذكر الله:

(هون ما نزل بي أنه بعين الله، اللهم لا يكن عليك أهون من فصيل (ناقة صالح) اللهم إن كنت حبست عنا النصر فاجعله لما هو خير منه، وانتقم لنا من الظالمين، واجعل ما حل لنا في العاجل ذخيرة لنا في الآجل)[2].

ينظر إلى شبيه رسول الله صلى الله عليه وآله يتقدم للقتال يرفع طرفه إلى السماء ويدعو الله:

---

(١) بحار الانوار، ج٤٥، ص٢.

(٢) بحار الأنوار، ج٤٥، ص٤٦.

(اللهم اشهد عليهم فقد برز إليهم أشبه الناس خلقا وخلقا ومنطقا برسولك محمد ﷺ وكنا إذا اشتقنا إلى رؤية نبيك نظرنا إليه. اللهم امنعهم بركات الأرض (وقطر السماء) وفرقهم تفريقا ومزقهم تمزيقا واجعلهم طرائق قددا ولا ترض الولاة عنهم أبدا فإنهم دعونا لينصرونا فعدوا علينا يقاتلوننا)(١).

ويقف على مصرع يتيم أخيه وينظر إليه فيدعو الله:

(اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تغادر منهم أحدا ولا تغفر لهم أبدا)(٢).

يقف على جون فيدعو:

(اللهم بيض وجهه وطيب ريحه واحشره مع الأبرار وعرف بينه وبين محمد وآله).

يقف ليستريح فيذكر الله:

(لا حول ولا قوة إلا بالله).

يصيبه سهم فيشكو أمره إلى الله:

---

(١) مقتل الحسين، آل بحر العلوم. ص ٢٤٤.

(٢) المصدر السابق، ص٣٥٧.

(اللهم إني أشكو إليك ما يفعل بابن بنت نبيك، اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تبقي منهم أحدا)(١).

يودع نساءه يذكرهن الله:

(استعدوا للبلاء، واعلموا أن الله حاميكن، وحافظكن وسينجيكن من شر الأعداء، ويجعل عاقبة أمركن إلى خير، ويعذب عدوكن بأنواع العذاب، ويعوضكن عن هذه البلية بأنواع النعم والكرامة، فلا تشكو ولا تقولوا بألسنتكم ما ينقص من قدركم)(٢).

يصيبه حجر أبي الحتوف أو سهمه في جبهته المقدسة فتسيل الدماء على وجهه وكريمته فيرمق السماء ويدعو ربه:

(اللهم إنك ترى ما أنا فيه من عبادك هؤلاء العصاة، اللهم أحصهم عددا، واقتلهم بددا ولا تذر على وجه الأرض منهم أحدا (و) لا تغفر لهم أبدا)(٣).

يمزق كبده سهم مثلث ينتزعه من قفاه وهو يقول:

(بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وآله)(٤).

---

(١) المصدر السابق، ص٤٤٤.

(٢) مقتل الحسين، آل بحر العلوم، ص٤٤٢.

(٣) المصدر السابق، ص٤٤٤.

(٤) المصدر السابق، ص٤٤٤.

ويرفع يديه إلى السماء:

(إلهي إنك تعلم أنهم يقتلون رجلا ليس على وجه الأرض ابن بنت نبي غيره)[١].

يضعفه نزف دمه ويملأ منه كفه ويرمي به نحو السماء وهو يناجي ربه:

(هون ما نزل بي أنه بعين الله).

يُذبح على صدره يتيما لأخيه أبي محمد الحسن عليه السلام يرفع يده الشريفة نحو السماء ويدعو:

(اللهم إن متعتهم إلى حين ففرقهم فرقا، واجعلهم طرائق قددا، ولا ترض الولاة عنهم أبدا، فإنهم دعونا لينصرونا فعدوا علينا يقاتلوننا)[٢].

أحاط به القوم يضربونه بسيوفهم ويطعنونه برماحهم فيذكر الله:

(صبرا على قضائك يا رب لا إله سواك يا غيث المستغيثين)[٣].

نظرة في مناجات الإمام عليه السلام:

---

(١) المصدر السابق، ص ٤٤٥.

(٢) مقتل الحسين، آل بحر العلوم، ص ٤٤٨.

(٣) المصدر السابق، ص ٤٥١.

ومن عجائب حالاته تلك المناجاة التي رويت عنه، وهو يجاذب أنفاسه الأخيرة يغشى عليه تارة ويفيق أخرى، وقد اشتد به العطش وأخذ منه مأخذا عظيما حتى أثر على عينه يكاد يبصر، وأثر في لسانه حتى صار كالخشبة اليابسة، وأثر في كبده حتى تفطرت، وقد أثخنته كثرة الجراحات، وأضعفه نزف الدم، وإذا به وهو على هذه الحال يذهل عن جراحاته ويقبل على ربه، ينسى آلامه ويذكر ربه، نعم يذكر الله سبحانه ويغفل عن نفسه وآلامها ويناجي رب الأرباب:

(اللهم متعالي المكان، عظيم الجبروت، شديد المحال غني عن الخلائق، عريض الكبرياء قادر على ما يشاء، قريب الرحمة صادق الوعد، سابغ النعمة، حسن البلاء قريب إذا دعيت، تحيط بما خلقت، قابل التوبة لمن تاب إليك، قادر على ما أردت، أدعوك محتاجا، وأرغب إليك فقيرا، وأتوكل عليك كافيا. اللهم احكم بيننا وبين قومنا فإنهم غرونا وخذلونا وغدروا بنا وقتلونا ونحن عترة نبيك وولد حبيبك محمد صلى الله عليه وآله الذي اصطفيته بالرسالة، وائتمنته على الوحي، فاجعل لنا من أمرنا فرجا ومخرجا يا أرحم الراحمين)[1].

---

(١) مقتل الحسين، آل بحر العلوم، حاشية رقم ٨٤، ص٤٥١؛ المصباح، الشيخ الكفعمي، ص٥٤٤.

إننا لنقطع ونعتقد أن هذه الحالة للإمام الحسين عليه السلام من أعظم حالاته مع ربه إن لم تكن هي الأعظم مطلقا، خصوصا أنها في اللحظات الأخيرة من حياته، وهي أغرب حالاته وأعجبها، فهذه المناجاة طويلة جدا ممن كان في مثل حال الإمام الحسين عليه السلام يذهل عما حوله ويناجي ربه تبارك وتعالى بتلك المعاني العالية والمعارف العظيمة التي يذهل عنها عند البلاء حتى العلماء العرفاء، هذا إن لم يشكوا فيها أو ينكروها، إن ذلك ليبين مدى علاقة الإمام الحسين عليه السلام بربه، وشدة ارتباطه وإيمانه وثقته به، وإنه ليدل على صدق تفويضه وتسليمه أمره إلى الله سبحانه، ومدى صلابة إيمانه بالله الذي لا تزعزعه المصائب ولا تضعفه النوائب، فلم يزده ذلك البلاء إلا ثقة بربه، وتصديقا بوعده وإيمانا بقدرته واحتسابا لأمره وتعظيما لشأنه، إن لهذه الحالة أمرا عظيما فهي تكتشف عما تعتقده الشيعة في الإمام أنه لا يغفل عن الله طرفة عين أبدا في كل أحواله مهما أصابه، فارتباطه بالله في الرخاء والشدة سواء بل هو في الشدة أعظم إذ يترك ما يريد لنفسه ولأهله لما يريده الله سبحانه، فتراه في حال جذبة وحب من الحق تعالى شأنه، يذهل فيها عن مصائبه وجسده وينسى جراحاته ونزفها ونفسه وآلامها ويتجلى ذله بين يدي ربه وخوفه وحياؤه منه ويظهر في احتياجه وفقره ويتعلق بربه

ومالك أمره ليرى الله سبحانه في عظيم جبروته وشدة محاله فيذكره بما هو أهله في ذلك المقام:

(اللهم متعالي المكان عظيم الجبروت شديد المحال غني عن الخلائق عريض الكبرياء قادر على ما يشاء).

الغريب في هذه المناجات أنها ابتدأت بمتعالي المكان عظيم الجبروت إلخ من صفات العظمة والكبرياء مع أنه قد يقال إن حالة الإمام الحسين عليه السلام واضطراره وشدة ضعفه وافتقاره يحتاج إلى التوجه بالمعين والرحيم ومجيب المضطر وأمثالها مما يتناسب مع تلك الحالة ويمكن أن نجيب عن ذلك بوجوه.

الوجه الأول: إنه من الواضح أن الالتفات إلى تلك الصفات والجهات من الله سبحانه التي ذكرها الإمام عليه السلام ليس فيها إلتفات إلى حالات الإنسان ومصائبه وآلامه، وأما التوجه إلى الله سبحانه من جهة صفة المعين والرحيم ومجيب المضطر ففيه التفات للنفس وحالاتها، وهذا يعني ابتداء ذكر الله سبحانه وتعالى من جهة فقر مخلوقاته واحتياجهم، وهو يعني السير إلى الله سبحانه من خلقه إليه، وهو ليس مقام الصديقين بخلاف ما ابتدأ به الإمام الحسين عليه السلام ففيه إغفال تام للنفس وحاجتها أو ذكر آلامها واضطرارها فهو انقطاع تام عن الخلق وانجذاب إلى الله سبحانه وتعلق به ونظر إليه

وسير بالحق في الحق لا بسير السالكين بل بمقام الشاهدين الذين لا حول لهم ولا قوة إلا بالله العظيم، فيغمره عظيم شأن ربه ويأخذ بمجامع لبه فتتجلى له عظمته ويرى علو مانه وعظيم جبروته فليس هناك إلا الله وتعاليه وجبروته وشدة محاله وغناه وعرض كبريائه وقدرته، فيناجيه بذكرها ويناديه بأسمائها، ولولا اقتضاء الحال لما كان هنا لفظ أو نداء غير قيمومة الحق وشهود الوحدانية وغيبوبة الصفات في الذات، وبعبارة أخرى إن الأئمة الطاهرين في حالة شهود دائم لإلهيته ووحدانيته وقيمومته متعلقون به سبحانه ومنقطعون إليه ولهم معه في السر مناجات لا يدركها نبي مرسل ولا ملك مقرب، وربما غشي عليهم فيها وقد كان لأمير المؤمنين عليه السلام غشوات مع ربه، وما ذاك إلا لانقطاعهم إليه وتجلي عظمته على نفوسهم، ولولا اضطرار الخلق إليهم وحاجتهم إلى هديهم وإرشادهم وإظهار لا إله إلا الله بهم لما نزلوا لهم أو نظروا إليهم، ومع ذلك لما نظروا إليهم لم يروا إلا الله سبحانه قائم بخلقه ولم ينظروا إلا توالي فيضه ودوام فضله عليهم، فرأوه قبل كل شيء وبعده وفي كل شيء فقلوبهم ترى قيام الله بكل شيء لا قيام كل شيء به فهو الظاهر لهم بقيمومته لا أنهم ينظرون إلى الخلق ويرون افتقارهم ومنه يصلون إلى ربهم بل يستدلون بالله على خلقه لا

بالخلق عليه، وهو مقام (كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك، أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك، متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك، ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك)(١)

إن محمد وآل محمد عليهم السلام قد رأوا ربهم ببصائرهم وشاهدوه بقلوبهم، وظهر لهم في كل شيء إذ كان قائما بكل شيء، فقد ينظرون إلى قيموميته بخلقه فيدعونهم إليه ويسوقونهم نحوه ويقربونهم منه، وقد ينقطعون إليه فتتجلى لهم عظمته وتأخذ بمجامع قلوبهم هيبته وتبهتم قدرته فيذهلون عما حولهم بل حتى عن أجسادهم وأنفسهم، ولربما غشي عليهم لعظيم ما يدون، ولربما ناجوه بما هو أهله في ذاته من تعالي مكانه وعظم جبروته فيكادون يموتون أو يفنون في ذكره حتى تدركهم رحمة ربهم فيرون عظيم رحمته وفيضها على خلقه فيذكرونه بما يفيض ويتفضل كقوله: قريب الرحمة وسابغ النعمة وغيره مما تضمنته مناجاته.

والخلاصة أن توجه الإمام الحسين عليه السلام في هذا المقام هو بنفس طريقه من الله إلى الله أو بتعبير السالكين بالحق في الحق وبالحق إلى الخلق وبعبارة أدق إن الإمام يعيش واقع (أيكون لغيرك من الظهور

---

(١) دعاء الإمام الحسين عليه السلام يوم عرفة.

ما ليس لك، ومتى غبت، ومتى بعدت) فهو عين توجهه وذكره وتعلقه في الرخاء، وإن كنا نعتقد أن طرق آل محمد لا يدركها ولا يعرفها إلا الله وهم، ولولا بيانهم لبعض معارفهم ومقامتهم لما وصل إلى عنوان ذلك لا واقعه عالم أو عارف، وإلا فهم فوق كل ما يتصور في الوصول والمعرفة فقولنا [بتعبير السالكين] لضيق العبارة عن بيان واقع تلك المعرفة، فمعرفتهم الله سبحانه بالله ومعرفة غيرهم بهم وإلا فلا معرفة، وقد روي عن رسول الله قوله: (يا علي ما عرف الله إلا أنا وأنت ولا عرفني إلا الله وأنت ولا عرفك إلا الله وأنا)[1] وورد عنهم (من أراد الله بدأ بكم ومن وحدة قبل عنكم ومن قصده توجه بكم)[2] فكل من عرف الله فيهم وإلا لم يعرف وكل من وصل إلى الله فبهم وإلا فلم صل.

إن الإمام عليه السلام عندما توجه إلى ربه لم يعد يرى نفسه وحاجتها لم ير إلا عظمة ربه وتعالي مكانه فلعله لذلك ابتدأ مناجاته (باللهم متعالي المكان عظيم الجبروت).

الوجه الثاني: وهو أن الإمام الحسين عليه السلام لما رأى شدة طغيان القوم وكفرهم وتجبرهم وجرأتهم على انتهاك حرمته ألتفت عليه السلام إلى

(١) مستدرك سفينة البحار، ج٧، ص ١٨٢.

(٢) من لا يحضره الفقيه، ج٢، ص٦١٥.

تعالي ملك الله سبحانه وعظيم جبروته وشدة محاله مع إحاطته بهم وقدرته عليهم وعدم فوتهم عنه فهو المحيط بما خلق والقادر على ما أراد يدرك ما طلب، ومن الواضح أن كل ذل يقتضي ذكر تعالي ملك الله وعظيم جبروته إلخ، ويكون أشبه بمقام تعجب من جرأة القوم وعصيانهم مع عظمة ربهم وتعالي ملكه وعظمة جبروته وقدرته عليهم.

الوجه الثالث: لعل ذكره الله سبحانه في تلك الشؤون دعوة إلى أولئك العصاة للرجوع إلى الله وتذكير لهم بقدرة الله عليهم وإحاطته بهم، فعليهم أن يعرفوا تعالي مكانه ويخافوا عظيم جبروته وسلطانه وشدة محاله وأليم عذابه ونيرانه وأن لا ييأسوا من روحه وغفرانه وليطمعوا في رحمته ورضوانه وليسارعوا إلى مغفرته وجنانه.

الوجه الرابع: أن الإمام عليه السلام لما رأى عدم خوف القوم من عذاب الله سبحانه وانتقامه، وهذا يعني إما كفرهم بتلك الصفات أو غفلتهم عنها أو استخفافهم بها، وهذا يقتضي تعظيم الله سبحانه بتلك الصفات وذكره بها وإعلان التسليم بها فيكون في مقام تعظيم وتنزيه.

الوجه الخامس: أن الإمام الحسين عليه السلام لما كان إماما من الله سبحانه وكان خروجه استجابة لله سبحانه ولإظهار أمره ونهيه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أراد أن يبين أن تمكن أعدائه من قتله وقتل أهل بيته وأصحابه وهتك حرمه وعظيم ما نزل به وحبس الله النصر عنه، كل ذلك لا يعني أن أولئك العصاة قد خرجوا عن ملك الله وقدرته أو أنه عجز عن نصر أوليائه، فلا زال سبحانه وتعالى متعالي المكان لا يستطيع أحد أن ينال من ملكه ولا زال عظيم الجبروت وشديد المحال إلخ.

الوجه السادس: ان الإمام الحسين عليه السلام أراد تلك المعاني والأمور كلها فذكر الله سبحانه كذكره في السراء، وعظمة كتعظيمه فيه، وانقطع إليه كانقطاعه إليه في خلواته، وأيضا كان متعجبا من عظيم قدرة الله سبحانه ومن جرأة القوم على حرماته، وأنه عظم الله سبحانه عند اظهار القوم كفرهم واستخفافهم في مقام العمل بتلك الصفات وأيضا هو تنزيه وتعظيم الله سبحانه وتعالى والتفات إلى أنه لا زال قادرا على أعدائه ولا زالوا في قبضته غير خارجين عن ملكه وإن حبس النصر عن أوليائه لا لضعفه وعجزه فهو القادر على ما يشاء.

ثم إن الالتفات إلى متعالي المكان يلازم التذلل لله سبحانه ونكران الذات فلا تكاد تذكر بل لا تذكر أبدا إلى جانب، تعالي مكانه، وأما عظم جبروته وشدة محاله فيوجبان خشيته والخوف منه وشدة الفرق منه والاستغراق فيهما يوجب استيلاؤهما على النفس فربما صعق المستغرق فيهما ومات، وربما أخذتا بمجامع النفس المستغرق فيغشى عليه لشدة خوفه من عظمة ربه ولعظيم ما يغشاه من هيبته ورهبته، وأما ذكر الغني عن الخلائق فهي توجب الحياء منه ومن الغفلة عنه أو التقصير في حقه لغناه وشدة الحاجة إليه ودوامها، وذلك في أشد الحالات أولى، كما أن غنى المحبوب المطلق عن محبيه تجعل المحب في حالة خوف ورجاء، فالرجاء يقتضي السعي الدائم في ذكره وتعظيمه والثناء عليه والتقرب منه ودعائه والتذلل له والإلحاح عليه، لعله يدركه برحمة أو يخصه بصلة أو ينظر إليه برضى ومحبة، وأما الخوف الشديد فإن الغنى عن الخلق وعن عبادتهم وحمدهم وشكرهم وغير ذلك تجعل المتجلى عليه بذلك في خوف من أن الغنى عنه قد يستوجب إيكاله إلى نفسه أو قطع الفضل والفيض عنه كما أنه بالتجلي بالغنى عن الخلق يظهر به قصور الذاكرين والسالكين وغيرهم بل الخلق أجمعين في عبادتهم وذكرهم أن يبلغوا قدر الله جل شأنه في ذلك، ولذا فكل ما يتقربون

بـه إلى الله تعـالى شـأنه هـو عـلى قـدرهم لا عـلى قـدره، وبحسـب شـأنهم لا حسـب شـأنه، ومعرفـة هـذا تقتضـي مـع اسـتقلال واستصـغار كـل ما يتقرب به العبـد عـدم الغفلـة عـن ربـه أو نسـيان ذكـره أو التقصـير في حقـه وخصوصـا ممـن خصـه بفضـله، ولا سـيما في وقـت نـزول الـبلاء والابـتلاء، فالحاجـة أكثـر والخـوف أشـد، وأمـا عـرض كبريائـه فهـي تستوجب التصاغر عند ذكـره والتواضـع لـه، وأمـا قدرتـه عـلى مـا يشـاء فهـي تسـتوجب التسـليم بـما شـاء وكتـب والرضـا بـما أعطـى ووهـب، ففي هـذه الكلـمات تـذلل وخـوف وحيـاء مـع تواضـع ورضـا وتسـليم، فيفرق منـه حتـى يكـاد يفنـى مـن شـدة خشـية ربـه وخوفـه مـن عظمتـه فتدركه رحمة ربـه فيلتفـت إليهـا ويتعلـق بهـا ولا يـذكر مـا اقتضـته رحمتـه بعبـاده لا باسـتحقاق مـنهم بعمـل قـدموه أو شـكر أدوه، إذ كـل ذلـك بفضـله ورحمتـه وتوفيقـه بـل لوعـده عبـاده وصـدق وعـده، وهـذا مـن المقامـات العظيمـة التـي يتكـل فيهـا أبوعبـد الله الحسـين عليه السلام عـلى ثقتـه بربه دون ذكـر عملـه، فهـو ممـا اقتضـته العبوديـة ولا يسـتحق العبـد عـلى مـولاه أجـرا أو ثوابـا، وعـلى ذلـك فـإن لا يـذكر أي عمـل قدمـه يرجـو ثوابـه كيـف وكـل أعمالـه وطاعتـه بفضـل الله سـبحانه وتوفيقـه، ولـذا لم يـذكر إلا صـادق الوعـد وحيـث إن أعمالـه وطاعتـه كلهـا بفضـل نعـم ربـه وفضـيه وكرمـه وجـوده، فـرأى تـوالي فضـله، ووجـد سـبوغ نعمـه،

والتفت إلى حسن بلائه المستمر بفيوضاته المتواصلة، فذكر ربه (سابغ النعمة حسن البلاء) فمن أطاعه فبنعمته وحسن بلائه، فهل يستحق معها أحد شيئا لولا وعده تقدست أسمائه.

ثم إن ذكره سابغ النعمة حسن البلاء وإن كان فيه اعتراف بعدم استحقاق شيء على الله سبحانه إلا أن الحال الذي فيها الإمام الحسين عليه السلام من شدة البلاء وعظم المصاب يوجب التوقف هنا في ذكره سابغ النعم وحسن البلاء إذ أن في ذلك إلتفات إلى نعمه عليه، وهذا أمر عجيب من الإمام الحسين عليه السلام ففي شدة مصابه وعظيم بلائه وابتلائه عند ما ناجى ربه وتجلت له عظمته لم يذكر بلائه أو يشكو حاله وضعفه فتركك ذكر نفسه وشدة مصائبه وعظيم ما نزل به وذكر ربه في سبوغه نعمه وترادف أفضاله وحسن بلاء عنده منذ أن خلقه نورا وأوجده إماما وجعله وأخاه سيدي شباب أهل الجنة إلى ساعته، وهذا مقام عجيب منه فهو لا ينسى ولا يغفل عن ذكر ربه وسبوغ إنعامه وحسن بلائه وإن كان في أشد أحواله، كل ذلك لا لسهولة ما هو فيه من المصاب بل لأنه لا يرى إلا الله سابغا عليه من عظيم نعمه وجزيل مننه في سالف أيامه وساعته، وبعبارة أوضح: إن حسن بلائه لما خصه الله سبحانه مع من مضى من أهل بيته من الكرامات بما يسهل عليه احتمال المكروهات وشدائد

المصيبات جعله لا يرى من الله سبحانه حتى وهو في أشد مصائبه وأعظم فجائعه إلا سابغ النعم حسن البلاء، فلا يمكن أن يغفل أو ينسى توالي نعم ربه عليه، وإن صبت المصائب عليه صبا، كما أن قد قال لأصحابه:

(فإن كنتم قد وطنتم أنفسكم على ما وطنت نفسي عليه فاعلموا أن الله إنما يهب المنازل الشريفة لعباده باحتمال المكاره، وإن الله وإن خصني مع من مضى من أهلي الذين أنا آخرهم بقاءا في الدنيا من الكرامات بما يسهل علي احتمال المكروهات، فإن لكم شطرا من ذلك من كرامات الله تعالى، واعلموا أن الدنيا حلوها ومرها حلم، والانتباه في الآخرة، والفائز من فاز فيها، والشقي من شقي فيها)[1]

فهو لا يرى ما هو فيه وأصحابه وأهل بيته من المصائب إلا أن الله يريد أن يهبهم من المنازل الشريفة بصبرهم واحتمالهم المكاره، وأن ما هم فيه هو طريق الفوز في الآخرة وبه إدراك الفتح. من هنا كان مقامه عليه السلام مقام شكر مع ما هو فيه من المصاب، فكان من المناسب ذكر (سابغ النعمة حسن البلاء) والالتفات إلى قرب رحمته وصدق وعده ودوام نعمه وحسن بلائه كل ذلك يقتضي

(١) بحار الأنوار، ج٤٥، ص٩٠.

الظهور في الحاجة إليه والتجلي في الفقر التام إليه بل إنه في مقام لا يرى حتى فقره إذ في ذلك ذكر نفسه واحتياجها ولذلك فهو لا يرى في مقامه إلا الله سبحانه وفضله عليه وهو يقتضي الدعاء لاستمرار ذلك الفضل والفيض منه سبحانه وتعالى ولكن دون ذكر نفسه بل بذكر ربه (قريب إذا دعيت) فإنه قريب يجيب دعوة الداعي، وهذا في الواقع دعوة إلى الدعاء حتى ممن يرى فضل الله عليه مستمرا ونعمه عليه متوالية، إلا أنه لم يشأ أن يعدل عن توجهه إلى الله بدعوته إلى الدعاء فذكره بالقريب ليلفت إلى ما يلزم من ذكر هذه الصفة من الوعد بإجابة الداعي ومن كون الذاكر لها مستجيب لدعوته ومؤمن به ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾[1]. وعلى كل فالحاجة إلى الدعاء ليس في الشدائد ولكشف البلاء فقط بل حتى استمرار النعم يحتاج إلى الدعاء والظهور به في الحاجة والفقر إلى الله سبحانه وهذا أيضا مقام غريب منه عليه السلام فيذكر في هذه اللحظات نعم الله بذكر الله ويشكر الله بالله ويدعو الله ايضا بالله، فمع عظم نعم الله عليه وكثرتها إلا أنه لم يغفل عن فقره ولم يستكبر عن عبادة ربه بل دعا الله سبحانه بما ظهر به الله لداعيه فوجد ربه

---

(١) سورة البقرة: ١٨٦.

قريب مجيب فوثق به والتجأ إليه فظهر في عبوديته ومربوبيته ولكن بذكر ربه والانقطاع إليه والنظر إلى قربه منه فيكون قد دعاه بسره، وهذا الذكر في كل مراحله وظهوراته اللفظية ذكر تعلقي حقيقي وجداني افتقاري اضطراري يتقلب فيه الإمام بحسب انجذابه إلى الحق تعالى شأنه وانقطاعه إليه ورهبته وهيبته منه وافتقاره واضطراره في مقام لا يرى فيه إلا ربه فتارة يبهته تعالي مكانه ويأخذ بأنفاسه عظيم جبروته وتغشاه شدة محاله فيفرق منه ويخاف عظمته ويضطرب لشدة محاله وتارة تغمره رحمته ويتداركه نعمته فيذكر قربه برحمته وثالثة يتجلى الله عليه بفضله وفيضه فيرى الله سبحانه سابغا نعمه وحسنا في بلائه.

ثم إنه ربما تُوهم بأن قربه المذكور مكاني فيحويه مكان ويخلو منه آخر فدفع هذا التوهم بما رتبه على ذكر قريب بذكر (تحيط بما خلقت) فهنا تنبيه منه على امرين:

الاول: هو أن قربه ليس قربا مكانيا بل قرب إحاطة بما خلق وبهذا يكون قوله (تحيط بما خلقت) بعد قوله (قريب إذا دعيت) ذكراً تنزيهياً.

والثاني: أن تلك النعم التي أولاها إياهم زادت فقرهم إليه والتفاتهم إلى قدرته فإن في التوجه إلى إحاطته اعترافا بقدرته

وقيمومته وعدم الاستغناء عنه أو الهروب منه إلا إليه، وبهذا يكون حمدا وشكرا فذكر قربه ودوام عظيم نعمه وإحاطته به مع حياء منه أن يذكر نفسه فذكرها في جملة خلقه، ولعله في ذكر صفة (سابغ النعمة) التفات إلى توالي نعم ربه عليه بما أودع فيهم من أسراره وأفاض عليهم من جوده وحباهم من كراماته بل جعلهم مظاهر صفاته ويد قدرته وخزان علمه إلا أنهم لم يخرجوا بذلك عن إحاطته ولم يستغنوا عن رحمته فيكون ذكره (قريب إذا دعيت تحيط بما خلقت) اعترافا عمليا باحتياجه وافتقاره وعدم خروجه عن قدرة ربه لا واقعا باستقلال يجده في الوجدان ولا ادعاء بعصيان أو طغيان ولعل التفاته إلى ذلك - وإن كان بالتفاته إلى عظمته تعالى - يحتاج إلى تجديد توبة واعتراف بقدرته وشكر نعمته وذكر عظمته فلا يذكر افتقاره إليه بل يذكر الله سبحانه وشؤونه فيه، فمع إحاطته جلت قدرته فإن من شؤونه قبول توبة من تاب مع قدرته على العقاب، وإدراكه لمن ظن الهرب من رب الأرباب، شكور لمن شكر نعم المعطي الوهاب (قابل التوبة لمن تاب إليك، قادر على ما أردت، تدرك ما طلبت، شكور إذا شكرت، ذكور إذا ذكرت) وهذه الأمور كلها عود على بدء أو صغريات لما قدمه في صورة لف ونشر فتعالي مكانه وعظيم جبروته وشدة محاله تقتضي إحاطته بخلقه وعدم

خروج شيء منها عن قدرته وقدرته على ما يشاء تقتضي قدرته على ما أراد وإدراكه ما طلب وقرب رحمته تقتضي قبوله توبة من تاب، وصدق وعده يقتضي شكره من شكره ﴿إِنَّ الله غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[1] وذكره من ذكره ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾[2]، وقربه إذا دعي يقتضي التوجه إليه بالدعاء وغناه عن الخلائق يقتضي التذلل إليه والاعتراف بالحاجة والفقر إليه والتجلي في الاضطرار إليه فمع أن تعالي مكانه وشدة محاله يقتضيان الفزع والخوف، في حين أن قرب رحمته وصدق وعده يقتضيان رجاءه، وغناه عن الخلائق يقتضي التذلل إليه ودعائه والإلحاح عليه، وحقيقة الاضطرار هو كون الإنسان في حال خوف وفزع مع شدة الحاجة والافتقار، فالخوف والفزع والفرق يستوجب البعد والهرب والحاجة الشديدة وعدم الاستغناء تستوجب الرجوع والقرب وذلك هو الاضطرار.

والمهم أن الإمام الحسين عليه السلام مع شدة ألمه وضعفه لشدة عطشه وكثرة جراحاته ونزف دمه ينقطع عن كل ما حوله ويرتبط بالله في حالة معرفية عجيبة وجذبة من الحق تعالى شأنه مذهلة غريبة بفناء

(١) سورة الشورى: ٢٣.

(٢) سورة البقرة: ١٥٢.

تـام في ذات الله وتعلـق بـه متقلبـا في جهـات تعلقاتـه المعرفيـة مبتـدئا بـما يوجـب الخـوف والفـرق منـه تعـالى شـأنه بـل يوجـب الفنـاء عنـد الاسـتغراق فيـه فتتداركـه رحمـة ربـه ولـولا ذلـك لفنـي باسـتغراقه في ذكر عظمـة ربـه، تتداركـه رحمـة الله سـبحانه بفـيض جـوده سـبحانه عـلى وجوده فيتعلق بها فيهـيج شـوقه ويـتجلى حبـه فيـذكر بـه شـؤون ربـه ممـا يليـق بمتعـالي المكـان وعـالي الجـبروت الغنـي القـادر فينشـئ بـذكر صـفات أفعالـه توبـة ويشـكر بـه نعمـة ويـذكر بـه عظمـة مـع انقطـاع في توجهـه إليـه دون التفـات حتـى إلى متعلقـات تلـك الصـفات فتوبتـه بـذكر (قابـل التوبـة) وشـكره بـذكر (شـكور) وذكـره بـذكر (ذكـور) فيـزداد بـذلك شـوقه وحبـه مـع نظـره إلى جـوده وفيضـه ورحمتـه فيظهـر عنـد ذلـك اضـطراره إليـه وحاجتـه وافتقـاره في حـال تـذلل وحيـاء ورهبـة ورغبـة فبعـد انجذابـه وتقلباتـه في تجليـات ربـه حتـى غابـت الصفات في الـذات فـرأى الله بقلبـه ووصـل إليـه ببصـيرته واطلـع عليـه الحق بذاته، فأذن لـه في الـدعاء والمسـألة ولعـل هـذا المقـام هـو الوجـه في قـول زيـن العابـدين: (اللهـم أذنـت لي في دعائـك ومسـألتك فاسـمع إلـخ)[1] بعـد أن كـان قـد شرع في دعائـه وذكـر الله سـبحانه ومجـد وعظمـه. وحيـث أذن لـه في الـدعاء خاطبـه محتاجـا ورغـب إليـه فقـيرا

(١) مصباح المتهجد، ص ٥٧٨، دعاء الافتتاح.

(أدعوك محتاجا وأرغب إليك فقيرا) فحاله وواقعه وتوجهه وتعلقه كلها متطابقة مع قوله: (محتاجا فقيرا) وقوله: (وأتوكل عليك كافيا) فتسليمه ورضاه وتفويضه أمره إلى الله واعتماده عليه وعدم اعتراضه أو تشكيكه كل ذلك واقع التوكل عليه، نعم بعد تلك المدحة والثناء وبعد الوصول والإذن في الدخول شرع في دعوته وبيان حاجته (اللهم احكم بيننا وبين قومنا فإنهم غرونا وخذلونا وغدروا بنا وقتلونا ونحن عترة نبيك وولد حبيبك محمد ﷺ الذي اصطفيته بالرسالة وإئتمنته على الوحي) وطلبه حكم الله سبحانه هو إيمان بوعده ووعيده، وثقة بربه ورضا بحكمه في قيامته أوفي رجعته (فاجعل لنا من أمرنا فرجا ومخرجا يا أرحم الراحمين) بعد تلك المدحة لله والمناجات يطلب منه أن يجعل له من أمره فرجا ومخرجا فلم ييأس من رحمة ربه ولم ينقطع أمله من لطفه وكرمه فلا زال ربه قادرا على تفريج ما زل به ولا زال آملا في فرجه إلا أنه لم يطلب تخفيف ألم ولا نصرا ولا دفع ما يترقبه من المصائب على أطفاله ونسائه ولو طلبه لأجيب، ولكنه الرضا والتسليم لله سبحانه بما شاء وكتب، فقد شاء الله أن يراه قتيلا وأن يرى نساءه سبايا.

إن هذه المناجاة العجيبة في مضمونها وذلك الترتيب الغريب للمعاني العالية والتدرج في الالتفات إلى الشؤون الإلهية والتقلب في

تلك الصفات العلية مراعيا فيه أعلى مراتب التواضع والاستكانة لله سبحانه في دعائه محافظا على كل آداب الدعاء والتوجه إلى الله بتقديم تعظيمه وتمجيده والثناء عليه في تلك الصورة البديعة والجذبة الأحدية من الحق تعالى، وأدبه مع ربه بالتفاته من عظمته إلى رحمته، ومن شدة رهبته وهيبته إلى شوقه وحبه، ثم تذلله لربه واعترافه بفقره واحتياجه، مع ذكره غنى ربه عن خلقه بصورة لم يذكر فيها إلا ربه، كل ذلك مع كثرة جراحاته وآلامه ونزف دمه وضعفه وعطشه، وكل ذلك تمهيدا لدعائه لهو دليل واضح على ما ذكرنا من كون هذه المناجاة من أعظم حالاته إن لم تكن هي أعظمها مطلقا.

وهنا ومع اعتذاري للإطالة أني أعترف بقصر اليد وعدم زاد هذا الطريق، وقلة البضاعة بل وعدم الاستطاعة لإدراك هذا المقام لسيد الشهداء عليه السلام، ولكنها خاطرة سنحت، وفكرة ارتسمت عند مراجعة هذا البحث لم تكن على البال بل ولم أكن أريد رسمها في هذا البحث أو إقحامها بين سطوره. وليكن الاعتراف بالقصور خير عذر عند العارفين بتلك الأمور.

ولنعد لما كنا فيه نعم ما زال عليه السلام ذاكرا لله عز وجل في كل أحواله وبرغم كل ما أصابه وألمّ به لم يغفل عن ذكر لله سبحانه، ينسى نفسه ليعلي ذكر الله، لقد تجلى الإمام الحسين عليه السلام في ذكر الله حتى تجسد فيه ذكر الله، في قوته ذكر الله، في ضعفه يعلي ذكر الله سبحانه، نعم جسد ذكر الله حتى أصبح كل من يراه أو يقرأ أحواله يرى ذكر الله ويقرأ ذكر الله سبحانه وتعالى.

لقد ذكر الإمام ربه في كل أحواله حتى تجلى في ذكر الله فأصبح عليه السلام ذكرا لله، إذ أنه لكثرة ما كان يذكر بالله ويلهج بذكر الله أصبح بنفسه ذكر الله كل من ينظر إليه يرى ذكر الله وبهذا التجلي في ذكر الله يظهر ويتجلى لنا جانب من عظمة أبي عبد الله الإمام الحسين عليه السلام.

بهذه الغفلة عن نفسه والذهول عما أصابه والاستغراق في ذات الله تتضح فظاعة موقف أولئك القوم وكل من وقف إلى جانبهم أو رضي بفعلهم.

إنهم لا يقتلون الحسين بن علي عليه السلام وفقط بل إنهم يقتلون ذكر الله والمذكر بالله نعم إن يقتلوا حسينا فإنما يقتلون به ذكر الله العظيم وقد قال الإمام الحجة عليه السلام في الزيارة المنسوبة إليه المعروفة بزيارة الناحية المقدسة:

(لقد قتلوا بقتلك الإسلام، وعطلوا الصلاة والصيام ن ونقصوا السنن والأحكام، وهدموا قواعد الإيمان، وحرفوا آيات القرآن)(١).

إنه حتى مع آخر أنفاسه يذكر الله ويذكر به ويدعو إلى الله سبحانه وإلى الإيمان به وقد عرض على شمر شفاعة جده يوم القيامة إن كان يؤمن بها أو يثق بوعد الله ويخاف وعيده إلا أن شمرا كفر بالله ورغب عن شفاعة رسول الله صلى الله عليه وآله ووثق بابن زياد ووعده وفضل جائزته على شفاعة رسول الله صلى الله عليه وآله ومضى في امتثال أمره وجثى على صدر الإمام الحسين المبارك قابضا على لحيته فقال له الإمام عليه السلام:

(أتقتلني ولا تعلم من أنا؟

فقال: أعرفك حق المعرفة أمك فاطمة الزهراء، وأبوك علي المرتضى، وجدك محمد المصطفى، وخصمك العلي الأعلى، أقتلك ولا أبالي. فضربه بسيفه اثنتا عشرة ضربة، ثم حز رأسه عليه السلام ولعن الله قاتله ومقاتله والسائرين إليه بجموعهم)(٢).

---

(١) بحار الأنوار، ج٩٨، ص٢٤١.

(٢) بحار الأنوار، ج٤٥، ص٥٦.

محاولات تبرئة قتلة الإمام الحسين عليه السلام:

برزت محاولات عدة قديما وحديثا لتبرئة قتلة الإمام الحسين عليه السلام ساعية في غسل العار عنهم وتطهير ساحتهم من تبعات جريمتهم في حق الإسلام ونبي الإسلام صلى الله عليه وآله فأثارت الشبهات حول قتله محاولة تبرئة يزيد من قتله ورفع العار عنه وتغطية فعلته بالشبهات تارة وأخرى بتخطئة الإمام عليه السلام في خروجه وتوجيه جريمة يزيد.

المحاولة الأولى:

ولعل أول محاولة لتبرئة يزيد بل تبرئة كل من شارك في تلك الجريمة الكبرى كانت من ابن زياد، وذلك عندما سأل عن اسم الإمام السجاد عليه السلام فقيل له اسمه علي بن الحسين.

فقال: (أليس الله قد قتل علي بن الحسين) فقال الإمام عليه السلام: (لقد كان لي أخ يسمى علي بن الحسين قتله الناس) فقال: (بل الله قتله). فقال عليه السلام: (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها). فقال ابن زياد: (ولك جرأة على جوابي اذهبوا به فاضربوا عنقه)[1].

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٥، ص١١٧.

ومن الواضح أن ابن زياد قد حاول التملص هو وحزبه بقوله: (أليس قد قتله الله).

وبقوله ثانية: (بل قتله الله) من تلك الفعلة الشنيعة ونسبتها إلى الله سبحانه وتعالى وأصر على ذلك بتكرار نسبتها إلى الله سبحانه وتعالى، وكأنه يريد تبرير تلك الفعلة بمذهب الجبرية الذين ينسبون جميع أفعال العباد إلى الله سبحانه، أو أنه أراد أن يدعي شرعية قتله أي أن قتله كان بحكم الله جلت قدرته، وعلم الإمام السجاد عليه السلام منه ذلك فأجابه بالآية المباركة، وحيث التفت ابن زياد إلى أن الإمام السجاد عليه السلام عرف قصده وأبطل قوله وفضح أكذوبته وألزمه عار فعلته، فسواء أراد المعنى الأول أو الثاني فليس بصحيح، فإن الله سبحانه وتعالى لا يجبر عباده على المعصية، كما أنه لا يأمر بها، فما اقترف من أبيه وأهله وأصحابه من الجرم كان بسوء اختيار يزيد وابن زياد وكل من شاركهما من الناس، وإصراره على دعواه والتهديد بالقتل ليسا دليل صحتها.

فكان قول الإمام السجاد عليه السلام قتله الناس رد على تلبيس ابن زياد، وتنزيها الله سبحانه من تلك النسبة، والآية خير دليل على ذلك، وهي تثبت بطلان ذلك المذهب وفساد تلك الأحدوثة،

وحيث لم يحر جوابا أمر بضرب عنقه، وفي رد الإمام السجاد ﵇، والآية دليل كاف على بطلان تلك الدعوى.

المحاولة الثانية:

من ابن عربي المالكي قال (لم يقتل الحسين إلا سيف جده، مدعيا أن يزيد خليفة والحسين باغ عليه، والبيعة سبقت ليزيد، ويكفي فيها بعض أهل الحل والعقد، وبيعته كذلك، إلى أن قال: هذا مع نظر إلى استخلاف أبيه له مع النظر لذلك فلا يشترط موافقة أهل الحل والعقد على ذلك)[١].

وقد رد عليه حتى المخالفون لمذهب أهل البيت ﵈ في تطاوله على الإمام الحسين ﵇ لتعصبه الأعمى وعناده لله ورسوله ﷺ قال بعضهم (وغلب على ابن العربي الغض من أهل البيت حتى قال قتله بسيف جده)[٢].

---

(١) عبقات الأنوار، ج٤، ص٢٣٨.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج١، ص١٦٥. قال وأخرج الحاكم في المستدرك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أوحى الله تعالى إلى محمد ﷺ: (إني قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفا وأني قاتل بابن ابنتك سبعين ألفا) قال صحيح الإسناد.

وعلى كل فبطلان كلامه واضح، وتحريفه الكلم عن مواضعه له فاضح، وكاشف عن حسد ونصب، وعداء وحرب لمن أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، إن قوله: (لم يقتل الحسين إلا سيف جده) افتراء سافر على رسول الله صلى الله عليه وآله وكذب عليه كيف يمكن لأحد يؤمن بالله ورسوله صلى الله عليه وآله والكتاب الذي أنزله ثم يتجرأ ويقول تلك الكلمة وهل سيف رسول الله صلى الله عليه وآله يقتل من أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا هل سيف رسول الله صلى الله عليه وآله يسفك دم من أوجب الله مودته وفرض طاعته في كتابه على كل من آمن بالله، ألم يقل جده المصطفى صلى الله عليه وآله لعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام (أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم) وكيف يكون هو وأخوه سيدي شباب أهل الجنة وقد قتله سيف جده، وكيف يبكي رسول الله صلى الله عليه وآله عليه إذا كان قتله سيفه نعم إنه العناد لله لرسوله صلى الله عليه وآله ورد كتاب الله سبحانه وتكذيب لرسوله صلى الله عليه وآله و ﴿**كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا**﴾[١].

ثم إن قوله: (والحسين باغ عليه) بهتان وتحريف لكتاب الله ورد على رسول الله صلى الله عليه وآله، وذلك أن الفئة الباغية التي ذكرت في القرآن هي معاوية وحزبه، الذين بغوا على أمير المؤمنين علي عليه السلام،

(١) سورة الكهف: ٥.

فقاتلهم وحديث عمار تقتله الفئة الباغية معروف مشهور عند العام والخاص لا يرده إلا معاند لرسول الله ﷺ، وعليه فالباغي هو معاوية، ومن قبل عهد الباغي فهو باغ مثله، وهو يزيد ومن أيده وشايعه، ومن سعى في تبرير فعلته ورضي بها، واجتهد في تحريف الكلم عن مواضعه لستر عظيم جرمه وجريرته فهو مثله وفي حكمه في البغي شاء أم أبى.

وأما الحسين عليه السلام فهو ابن بنت رسول الله ﷺ وأحد سيدي شباب أهل الجنة بما تواتر عن رسول الله ﷺ، ولكن المبالغة في النصب، والإمعان في العناد لله ولرسوله ﷺ وللقربى الذين أوجب الله مودتهم، وأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا هوما حدا بابن العربي لحمل أوزاره وأوزار يزيد معها وأوزار كل من شارك في قتل الإمام الحسين عليه السلام لرضاه بفعلهم فحشره الله معهم وأورده موردهم.

وثانيا: إن يزيد ليس له بيعة في عنق أحد من المسلمين حتى يدعى سبقها فإن الإمام الحسن عليه السلام بشرطه على معاوية بأن الأمر له من بعده إن كان حيا وإلا فلأخيه الحسين عليه السلام وليس لمعاوية أن يعهد بها لأحد، وقبول معاوية بهذا الشرط أفقده أي حق في

الاستخلاف، فأي عهد بعد هذا الشرط، فما عهد به ليزيد ما هو إلا خيانة وغدر وبغي وليس ببيعة فلا يلزم أحد من المسلمين بها.

ثالثا: إن الإمام الحسين عليه السلام هو الخليفة بعد هلاك معاوية بلا فصل بحسب شرط الإمام الحسن عليه السلام وما عاهد الله عليه معاوية فالباغي هو يزيد لا سيد شباب أهل الجنة.

رابعا: قد تقدم عدم أهلية يزيد لمنصب الخلافة بجميع المقاييس، فأما الإجماع فقد رفض الحزب الأموي العهد ليزيد، واختار الشاميون غيره، وبايع أهل العراق الإمام الحسين عليه السلام، وتثاقل أهل المدينة عن بيعة يزيد، وامتنع الإمام الحسين عليه السلام عنها وكذا بنو هاشم وغيرهم، وأما الشرع فالنص من رسول الله صلى الله عليه وآله ومن أمير المؤمنين ومن الإمام الحسن عليهما السلام على أبي عبد الله الحسين عليه السلام، أضف إلى ذلك ما نزل فيه من الآيات الناصة على عصمته ولزوم طاعته ومودته، وما ورد فيه من الروايات.

وأما العقل فإنه يحكم بقبح تقديم المفضول على الفاضل وأفضلية سيد شباب أهل الجنة وريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله ثابتة على عامة المسلمين فضلا عن مثل يزيد. وأما القانون فإن الحكومة الأموية قطعت لله على نفسها عهدا وأشهدت عليه على أن تفي للإمام

الحسن عليه السلام بشرطه أن يكون الأمر للحسين بعد الحسن عليهما السلام وأن لا تعهد به لأحد بعد معاوية وقد تقدم تفصيل ذلك كله فراجع.

خامسا: أما قول ابن العربي: (ومع النظر إلى استخلاف أبيه فلا يشترط موافقة أهل الحل والعقد) فهذا كسابقه في البطلان، فهذه الدعوى إنما تُفرض لو كان معاوية لديه أهلية الاستخلاف، أما وقد أعطى الإمام الحسن عليه السلام العهود والمواثيق المغلظة على شروطه، فليس له ذلك الحق حتى يدعى كفايته.

وعليه فتلك الدعوى باطلة بل هي بغي وعدوان على سيد شباب أهل الجنة ولم نجد لها أي مبرر سوى حسد آل محمد صلى الله عليه وآله على ما آتاهم الله من فضله والعداء لأهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا والنصب لمن فرض الله مودتهم وطاعتهم على كل موحد.

المحاولة الثالثة:

دعوى اجتهاد يزيد في قتله الإمام الحسين عليه السلام.

ووضوح سخافة هذه الدعوى والمهزلة دليل بطلانها، فقاتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله والمعلن بالكفر بتمثله بأبيات ابن الزبعرى، ومبيح حرم رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة ثلاثا لجيشه، وهادم الكعبة

المشـــرفة، وغيرهـا مـن الطامـات والعظـائم مجتهـد، إن مـن العظـائم والطامات التي لا تغتفـر لأصـحاب تلـك السـخافات هـو جـرأتهم عـلى الله سـبحانه، وردهـم كتابـه، وإبطـالهم أحكامـه، ودينـه وجميـع مقدسـاته في سبيل تبرير موقف لمثل يزيد!

ولقـد قـال تعـالى: ﴿وَمَـن يَقْتُـلْ مُؤْمِنًـا مُّتَعَمِّـدًا فَجَـزَآؤُهُ جَهَـنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ الله عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾(١).

المحاولة الرابعة:

دعـوى أن الـذين قتلـوا الإمـام الحسـين عليه السلام هـم شـيعته الـذين دعوه ولم يفوا له بل تخلوا عنه وغدروا به.

وهذه الدعوى تنحل في واقعها إلى دعويين:

الأولى: هـي تبرئـة سـاحة يزيـد وحزبـه مـن قتـل الإمـام الحسين عليه السلام.

الثانيـة: اتهـام الشـيعة تـارة بـأنهم غـدروا وانقلبـوا عـلى الإمـام الحسين عليه السلام فقتلوه وأخرى أنهم قتلوه بتخاذلهم عنه.

أمـا الـدعوى الأولى: فمـن الواضـح أن تخـلي أي كـان الشـيعة أو غيرهم مـن المسـلمين عـن الإمـام الحسـين عليه السلام لا يـبرر قتـل يزيـد لـه، ولا

---

(١) سورة النساء: ٩٣.

يبرئه من عار تلك الفعلة، ولا يغسل يديه من دماء آل محمد عليهم السلام، ولا يغفر له إمعانه واستمراره في إذلال آل محمد عليهم السلام بتشهير نسائه وإدخالهم المجالس، فهو من أمر بذلك ظلما وعدوانا واستخفافا بكل الثوابت الشرعية والدينية وكل ما هو مقدس في الإسلام ﴿فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ الله عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ وإن كان لتخاذل الكوفة وغدرها دور مهم في تمكن يزيد من فعلته، إلا أن ذلك لا يجعل يزيد ليس بقاتل ولا ظالم.

وأما الدعوى الثانية: فهي أيضا باطلة بكلا شقيها، وذلك أن حركة الإمام عليه السلام لم تكن حركة مذهبية كما يحاول البعض تصويرها ليقنع نفسه بعدم المسؤولية تجاهها، أو يحاول تحجيمها وقصرها على جهة معينة ليعتذر بذلك عن بعض من تخلف عن نصرة ابن رسول الله صلى الله عليه وآله أو انقلب ضده.

إن قضية الإمام الحسين عليه السلام قضية إسلامية عامة بجميع المقاييس وليست خاصة بفئة أو مذهب دون آخر، فقضيته قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذين بهما حازت هذه الأمة مكانتها السامية بين الأمم بل أصبحت بهما خير أمة أخرجت للناس، ومسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليست قضية مذهبية حتى يقال باختصاصها بمذهب معين أو جماعة خاصة بل

هي قضية إسلامية عامة فيجب على كل من انتمى إلى دين الإسلام أن يحملها ويؤيد الإمام الحسين عليه السلام في خروجه وحركته، ولذلك وجه الإمام الحسين عليه السلام دعوته إلى عامة المسلمين في الحج الأكبر لنصرته، ودعى عبد الله بن عمر إليها ايضا وكذا عمر بن سعد، ودعوى أن الذين دعوه شيعته لا يسقط تلك المسؤولية ولا يرفع ذلك التكليف عن بقية المسلمين ولا يبرر تخاذلهم عن الأمر بالمعروف معه وقعودهم عن نصرته، فكل من علم وتخلف عنه فقد ساهم في تلك المصيبة الكبرى شاء أم أبى. هذا أولا.

وثانيا: إن شرط الإمام الحسن عليه السلام على معاوية جعل من الإمام الحسين عليه السلام خليفة على جميع المسلمين كافة، وكما ذكرنا سابقا فإن خلافته تشمل حتى الشام وكل ما كان تحت يد معاوية من البلدان فضلا عن غيرهم من المسلمين، وبهذا أيضا يعلم أن قضية الإمام الحسين عليه السلام ليست قضية خاصة فكل المسلمين مطالبون بنصرته والوقوف إلى جانبه في قضيته.

ثالثا: إن الذين كاتبوا الإمام الحسين عليه السلام ليس الشيعة فقط بالمعنى المعروف اليوم (من يعتقد أن إمامتهم وولايتهم منصب إلهي) بل كان في المجتمع الإسلامي عامة والمجتمع الكوفي خاصة حالة فكرية معتدلة كانت تلتزم بالمفاهيم الإسلامية العامة حول

أهـــل البيـــت عليهم السلام قرآنيـــة المبـــداء كانـــت أو نبويـــة أو غيرهـــا فاعتقـــد المســـلمون كافـــة والمجتمـــع الكـــوفي خاصـــة بموجبهـــا أحقيـــة الإمـــام الحســـين عليه السلام بالخلافـــة، وقـــد شـــكلت تلـــك المفـــاهيم القرآنيـــة والنبويـــة والنسبية والشأنية، مـــا نـــزل فيـــه مـــن الآيـــات ومـــا ورد فيـــه مـــن الروايـــات وكونـــه ابـــن بنـــت رســـول الله صلى الله عليه وآله وابـــن أمـــير المـــؤمنين عليه السلام مضـــافا إلى كونـــه وصي أمـــير المـــؤمنين والإمـــام الحســـن عليهما السلام وأيضـــا تميـــزه عـــلى عامـــة المســـلمين في فضـــله وعلمـــه وهديـــه وأخلاقـــه وســـيرته، وغـــير ذلـــك شـــكلت كـــل تلـــك الأمـــور منظومـــة فكريـــة لـــدى الكثـــير مـــن المســـلمين عـــن الإمـــام الحســـين عليه السلام خاصـــة اقتضـــت إكبـــار شخصـــية الإمـــام الحسـين عليه السلام وإعظامهـــا، واطمئنـــان الجميـــع لهـــا واتباعهـــا، وتفضـــيلها عـــلى سائر المسلمين فضـــلا عـــن مثـــل يزيـــد، فـــدعاه عامـــة المســـلمين مـــن يعتقـــد إمامتـــه وولايتـــه (يـــرتبط بـــه ارتباطـــا عقـــديا) وهـــم الشـــيعة بـــالمفهوم الخاص وهم القلة، ومـــن يعتقـــد بأولويتـــه بالخلافـــة مـــن يزيـــد وأبيـــه وهـــم الأكثـــر، فمـــن كـــل تلـــك المنظومـــة والخلفيـــة الفكريـــة الإســـلامية عـــن شخصـــية الإمـــام الحســـين عليه السلام العظيمـــة تكّـــون مفهومـــا عامـــا للشـــيعة بمعنـــى مـــن يعتقـــد أفضـــليته وأولويتـــه بالخلافـــة مـــن يزيـــد وأحقيتـــه بهـــا منه، وهذا أعـــم مـــن المفهـــوم المتعـــارف عليـــه في روايـــات أهـــل البيـــت عليهم السلام للشـــيعة الخـــاص بالاعتقـــاد بـــالنص علـــيهم وإمـــامتهم وولايـــتهم، ودليـــل

على ذلك حاله في مكة المكرمة وإقبال الناس عليه واختلافهم إليه حتى من كان مخالفا له وطامعا في الخلافة كابن الزبير مع أنهم ليسوا شيعته وقد قال لابن الزبير:

(إن هذا (ابن الزبير) ليس شيء من الدنيا أحبّ إليه من أن أخرج من الحجاز، وقد علم أن الناس لا يعدلوه بي، فود أني خرجت حتى يخلو له)(١).

بل حتى المعتدلين من أعدائه كانوا يرون له تلك المكانة كالوليد بن عتبة بن أبي سفيان، فقد نقل عنه رده على مروان عندما أمره بقتل الإمام الحسين عليه السلام أو حبسه حتى يبايع فقال له:

(ويح غيرك يا مروان إنك قد اخترت لي التي فيها هلاك ديني ودنياي، والله ما أحب أن لي ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من الدنيا وملكها وإني قتلت حسينا، يا سبحان الله أأقتل حسينا أن قال لا أبايع؟

والله لأظن أن امرا يحاسب بدم الحسين لخفيف الميزان عند الله يوم القيامة)(٢).

---

(١) مقتل الحسين، آل بحر العلوم، ص ١٥٦.

(٢) مقتل الحسين، آل بحر العلوم، ص ١٣٠، نقلا عن تاريخ الطبري وابن الأثير ونهاية الإرب للنويري.

أضف إلى ذلك أن كثيرا من الشخصيات التي قادت الجيش في معسكر يزيد لمست تلك الأمور في شخصية الإمام عليه السلام وكتبت إليه تدعوه وهي معروفة بانحرافها عن خط أهل البيت عليهم السلام وقد خصها الإمام عليه السلام في يوم عاشوراء بالتذكير بكتبها إليه وأيضا صلاة الحر وأصحابه مع الإمام الحسين عليه السلام وقد خرج تحت قيادة ابن زياد ضد الإمام الحسين عليه السلام تنبئ عن تلك المنظومة الفكرية لدى عامة المسلمين عن شخصية الإمام الحسين عليه السلام وهو من قواد الجيش والذين لم يكتبوا للإمام الحسين عليه السلام وإذا لاحظت خطبته على جيش يزيد وما تضمنته تجد فيها بلورة ما رسمناه من الصورة الإسلامية لشخصية الإمام عليه السلام، وعليه فإطلاق لفظ الشيعة على من كتب إليه كان باعتبار ذلك المفهوم العام لا الخاص، وبهذا يتبين خطأ تلك الدعوى أن شيعته هم الذين دعوه وتخلوا عنه. بل المسلمون الذين أرهقهم ظلم معاوية وجوره بتسليطه زيادا عليهم هم الذين كاتبوا الإمام الحسين عليه السلام، وهم الذين خذلوه وغدروا به وانقلبوا ضده وقادوا تلك الجيوش لقتله.

رابعا: إن عدد الشيعة بالمفهوم الخاص عند قيام الإمام الحسين عليه السلام قليل جدا ولا سيما بعد تسلط زياد على الكوفة وتتبعه شيعة أمير المؤمنين عليه السلام خلف كل حجر ومدر وقتلهم على التهمة

والظنة، وأمر معاوية إياه أن يقتل كل من كان على دين علي، فقتلهم وشردهم ولم يبق منهم إلا القليل، مضافا إلى سجن ابن زياد كثيرا من الشخصيات المعروفة بالتشيع، ولأجل قتلهم نقول:

إن ما ورد في عدد الكتب التي وردت على الإمام الحسين عليه السلام اثنا عشر ـ ألف كتاب وكذا عدد الذين بايعوا مسلما بن عقيل ثمانية عشر ـ ألف لا يتوافق مع تلك الأوضاع التي عاشتها الكوفة في ظل حكم معاوية وتسلط زياد وقتله الشيعة وتتبعهم وراء كل حجر ومدر، نعم هي تتوافق مع ما ذكرناه في نظريتنا من أن الكتب المرسلة والدعوات المتتالية وإعطاء البيعة كانت نتيجة لتلك التجربة مع الحكم الأموي وهي حالة إسلامية عامة، وأيضا تتوافق مع تلك المنظومة الفكرية التي بيناها عن شخصية الإمام الحسين عليه السلام فهي التي دعت الكثير من غير الشيعة لمكاتبة الإمام الحسين عليه السلام وإعطاء البيعة له، وعليه فالشيعة بمعنى الاثني عشرية الذين يعتقدون إمامته ويدينون لله بها قليلون جدا في ذلك الوقت، بل إن الشيعة بالمفهوم الخاص قليلون حتى في زمن أمير المؤمنين عليه السلام فما بالك بهم بعد تسلط زياد عليهم، فلا يمكن نسبة تلك الدعوة لهم مع ورود ذلك العدد الكبير للمكاتبين والمبايعين، أضف إلى ذلك أنه بعد قتل

وتشريد الشيعة من الكوفة فإنه أصبح أكثر أهلها من غير الشيعة أو الهمج الرعاع الذين ينعقون مع كل ناعق وهم في الكوفة كثير، وكشاهد ومؤيد لما ذكرناه فليلحظ الحال زمن أمير المؤمنين عليه السلام فالذين كانوا تحت قيادته مختلفو الاتجاهات والمذاهب وما حصل في صفين دليل على ذلك، وكذا أيضا قضية الإمام الحسن عليه السلام وما جرى فيها من ملابسات دليل آخر على أن الذين كاتبوا الإمام الحسين عليه السلام إنما كانوا يعتقدون أولويته بالخلافة ولزوم المتابعة الإدارية له لا اعتقاد إمامته وولايته.

وليس من البعيد القول إن الكوفة لم تصبح مدينة شيعية إلا بعد قيام المخالفين لآل البيت عليهم السلام بقتل الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته فسخط الله عليهم واستجاب دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم كربلاء:

(اللهم احبس عنهم قطر السماء، وابعث عليهم سنين كسني يوسف، وسلط عليهم غلام ثقيف، يسقيهم كأس مصبرة، ولا يدع فيهم أحدا إلا قتله قتلة بقتلة، وضربة بضربة، ينتقم لي ولأوليائي

وأهل بيتي وأشياعي منهم، فإنهم غرونا وكذبونا وخذلونا، وأنت ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير)[١].

فانتقام الله منهم بالمختار، فتتبعهم فيها، وقتل كل من ظفر به منهم، وهرب منها من تمكن من الفرار، فبعد ذلك خلصت من الجبارين، وأشد المعاندين لآل رسول الله صلى الله عليه وآله، وبدأ يتبلور فيها التشيع ككيان فكري مستقل بأبعاده العقدية، وأصبح أغلب سكانها شيعة وموالين لآل محمد عليهم السلام.

خامسا: إن الذين قاتلوا الإمام الحسين عليه السلام لم يكونوا من شيعة آل محمد عليهم السلام بل هم شيعة آل أبي سفيان وقد روي عن الإمام الحسين عليه السلام أنه قال لهم:

(ويحكم يا شيعة آل أبي سفيان إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحرارا في دنياكم وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عربا)[٢].

فهم ليسوا شيعة الحسين عليه السلام بل شيعة آل أبي سفيان.

---

(١) مقتل الحسين، آل بحر العلوم، ص ٣٨٠؛ بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١٠ مع اختلاف يسير بينهما.

(٢) بحار الأنوار، ج٤٥، ص٥١.

سادسا: لو سلمنا جدلا تلك الدعوى فإن الشيعة الحقيقين هم من ثبتوا على الولاء لمحمد وآل محمد عليهم السلام وبذلوا مهجهم دون الإمام الحسين عليه السلام أما الذين انقلبوا على أعقابهم فليسوا بشيعة لهم ولا موالين أو محبين بل أصبحوا شيعة غيرهم هذا إن لم يكونوا من قبل كذلك بل لا يمكن فرض تشيعهم عند قتالهم الإمام الحسين عليه السلام أبدا وذلك أن المشايع له هو المتبع له والسائر في ركابه والمقتدي به، أما من خالفه وقاتله فلا يمكن فرض تشيعه حين وقوفه في وجهه إذ يلزم من ذلك اجتماع النقيضين فهو متبع للإمام الحسين عليه السلام غير متبع في وقت واحد وذلك محال نعم انقلب وأصبح من شيعة آل أبي سفيان ولهذا رد على الله سبحانه في أمره بطاعة ومودة آل محمد فقاتلهم بدل حبهم وسفك دمه بدل الدفاع عنهم ودليل على ذلك أن من يرتد فيقاتل الرسول صلى الله عليه وآله أو المسلمين لا يقال له مسلم ولا يلزم المسلمون بفعله.

سابعا: لو تنزلنا وفرضنا جدلا أن الذين قتلوا الإمام الحسين عليه السلام هم كما ادعي من الشيعة، فإن ذلك لا يمنع من تخطئتهم بل الحكم بخروجهم من التشيع والدين فإنه متى ما ثبت خطأ شيعي في عمل ما فإننا نخطئه، ونقول إن التشيع بريء منه ومن أعماله، ثم إن إنه لو فرض أن شيعته كما ادعي قتلوه فهذا لا يبرر

تصغير شأن الإمام الحسين عليه السلام من المخالفين لشيعته وإجحاف حقه وعدم النظر إلى عظيم مقامه عند الله سبحانه وعند نبيه صلى الله عليه وآله، وكونه أحد سيد شباب أهل الجنة، ومن أهل البيت الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وأوجب الله طاعتهم وموالاتهم على كل مسلم، كما أن فرض ذلك لا يبرر اتخاذ يوم قتله يوم فرح وعيد، أو عدم الحزن لقتله كما لا يبرر تبرئة يزيد أيضا أو أي أحد ممن شارك في قتله بأمر أو مباشرة، والخلاصة أنه لو سلمت تلك الدعوة فإنه لا يغيّر عظيم مقام الإمام الحسين عليه السلام وجلالة قدره ولا يسقط بذلك ما على المسلمين تجاهه مصيبته من واجب بإحيائها والبكاء لأجلها.

وعلى كل وعودا على بدء نقول من كل ما تقدم اتضح لنا: أن التجربة الإسلامية للحكم الأموي والحالة الفكرية المعتدلة تجاه المفاهيم الإسلامية الثابتة أفرزت اعتقادا خاصا بشخصية الإسلام الأولى في ذلك الوقت وهو أبو عبد الله الحسين بن علي عليه السلام فأقنعت المجتمع الإسلامي عامة والكوفي خاصة بضرورة تغيير الهيكلة العامة لحكم العالم الإسلامي القائم ولزوم تقديم تلك الشخصية وتقليدها أزمة الأمور وضرورة تأييدها وتحمل أعباء الدفاع عنها ونصرتها وهذه الحالة المعتدلة هي ما أسميت بالشيعة في ذلك

الوقت وهي شبيهة تماما لما نراه اليوم من تسمية الباحثين المنصفين بالشيعة لمجرد الاعتراف بأفضلية أهل البيت عليهم السلام أو الإنصاف في البحث والأمانة في النقل.

وبعد اتضاح كل ذلك نقول: إن السبب الحقيقي وراء إثارة كل تلك الشبهات والتحريفات والكذب والافتراءات هو النصب والعداء لمحمد وآله عليهم السلام والاستمرار في ظلهم والاعتداء عليهم والإمعان في إيذائهم أحياء وأمواتا، والمؤيد لكل ذلك هو العصبية العمياء، ونتيجة تلك الواقف هي الاشتراك مع الظالمين في ظلمهم والقاتلين في قتلهم والمسيئين في سيئاتهم وقد قال تعالى:

﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾(١).

ولم يحملوا تلك الأوزار مع أوزارهم لأنهم عملوا منكراتها أو شاركوا فيها بل لأنهم رضوا بها ولم يرضوا بما فرض الله سبحانه عليهم من حقوق لآل محمد عليهم السلام.

---

(١) سورة العنكبوت: ١٣.

قربان آل محمد:

بعد أن أعلن الإمام الحسين عليه السلام إباءه للاستسلام ورفض بيع دينه بدنياه أو بدنيا غيره وأصرّ بنو أمية وشيعتهم على حصر أمره في الذلة أو السلة اختار عليه السلام مصارع الكرام على حياة اللئام.

بعد أن باع أولئك دينهم بدنيا غيرهم خوفا من الموت وخوفا من بني أمية فكفروا بالله وكذبوا بوعده ووعيده ووثق أبوعبد الله عليه السلام بربه ورجا ثوابه فرأى الموت ورضا الله سبحانه سعادة والعيش في الذلة مع بيع الدين وغضب الله برما.

فقدّم نفسه الشريفة لإعلاء ذلك المبدأ العظيم وهو الثقة بالله وبوعده ولم يخف وعيد غيره بل خاف خالقه وآمن بوعده ووعيده ولم يهتم لوعد بني أمية ووعيدهم.

وإذا الكل يسأل لماذا قتل الإمام الحسين عليه السلام؟

والجواب لأنه وثق بربه وصدق بوعده ووعيده فأبى بيع دينه بدنياه أو دنيا غيره لأجل ذلك قتل.

ولهذا كان شهيد الثقة بالله وشهيد ذكر الله وشهيد خوف الله وشهيد رجاء الله وشهيد الإيمان بالله وشهيد دعوة الله وشهيد الإباء وشهيد الكرامة.

وبعد أن قدم أصحابه وأهل بيته وأخوته وأبناءه حتى الرضيع فداء لله سبحانه وللثقة بالله قدم نفسه الشريفة فداء لدين جده ولإحياء مبادئه وإعلاء كلمته وترسيخ أفكاره وعقائده فجسّد الثقة بالله بل تجسّدت الثقة بالله فيه وفي مواقفه في فدائه وصبره في قوته وضعفه في عظيم بلائه ومصائبه، فقتلت بقتله الثقة بالله وقتل به ذكر الله وخوف الله ورجاء الله والإيمان بالله ودعوة الله.

وبعد أن هدأت أنفاسه الشريفة وخملت حركته وسكن جسمه وخفت صوته وأنينه وبعد أن قطع رأسه وبعد أن جالت الخيل على صدره فقطعت جسده ووزعت أشلائه وهشمت أضلاعه تقدمت ابنة رسول الله ﷺ زينب تقدمت وهي مسمومة في ذات الله متعلقة به واثقة بوعده، خائفة من وعيده راضية بقضائه صابرة على قدره، مطيعة لأمره منقطعة إليه مذهولة عن غيره.

وبعد أن هدأت صولة العدو تقدمت وكلها ثقة بالله وإيمان ويقين، لم يزلزل هول المصيبة إيمانها ولم يضعف عظم الفجيعة يقينها، وإن هدّ قتل الحسين عليه السلام ركنها وقت في عضدها وأشاب رأسها وأنحل جسدها وأوهى قواها حتى أنها كانت لتصلي صلاة الليل من جلوس.

نعم لأن نحل جسدها وضعفت قوتها وانهد ركنها لشدة مصابها إلا أن ذلك يم يزدها إلا ثقة بالله وإيمانا به وتسليما له ورضا بقضائه وقدره.

تقدمت ابنة محمد وعلي وفاطمة صلى الله عليه وآله نحو جسد الإمام الحسين عليه السلام لتقدمه قربانا لله، أقبلت نحو ذلك الجسد الشريف جلست لترفع جسد ابن أمها وأبيها ولتكمل للإمام الحسين عليه السلام ما بدأه ولتتم له ما أراده لنفسه ولجسده ن فترفعه نحو السماء بيدين قد أرعشهما خوف الله وأعانها الرغبة في رضا الله وقواهما الثقة بالله وبقلب اطمئن بذكر الله ونفس راضية به وبقضائه، وهي بذلك تستعد لأعظم حالة لها مع الله سبحانه وتعالى في موقف فريد من نوعه لم تعرف البشرية له مثيل.

لقد تجلببت من بهاء النبوة ستارا ومن جلال الإمامة أنوارا وقد مثلت في ذلك المقام محمدا المصطفى صلى الله عليه وآله وعليا المرتضى عليه السلام وفاطمة الزهراء عليها السلام والحسن المجتبى عليه السلام وأبناء الحسين النجباء عليهم السلام، فتجلت بذلك في أعلى مراتبها في الولاية الكبرى كل ذلك لمناجاة رب الأرباب ولتمثل محمد صلى الله عليه وآله وآل محمد عليهم السلام وتنوب عنهم بين يدي جبار السماوات والأرض ولتقدم عنهم أعظم قربان قدم لله سبحانه وتعالى في تاريخ البشرية مطلقا ليس في المشرق ولا في المغرب له

مثيل أوشبيه قربان آل محمد فتتوجه نحو السماء يوجه قد ستره النور والبهاء وترمقها بطرف أغضته من الحياء ثم تناجي رب الأرض والسماء:

(الهي تقبل منا هذا القربان)[١].

بدأ الإمام الحسين عليه السلام حياته لله وخرج لله وقدم أصحابه وأهل بيته في طاعة الله ثم قدم نفسه الشريفة قربة إلى الله سبحانه، وحيث لم يبق إلا جسده الطاهر تقدمت أخته وقدمته إلى الله فتم الإمام الحسين عليه السلام بذلك لله وأصبح كله لله نفسه وجسده، وإني لأعجز عن تصور هذا الموقف الفريد فضلا عن وصفه أو رسمه.

وإني لأعتقد أن ذلك المقام والموقف ليس لأحد أن يقومه أو يقفه إلا من له الولاية الكبرى محمد المصطفى صلى الله عليه وآله، فهومن يمكن أن يتصور فيه الأهلية لتقديم ذلك القربان وأن يتصرف في جسد الإمام عليه السلام بذلك التصرف أو أن يقوم ذلك المقام فيقدم جسد الإمام الحسين عليه السلام قربانا لله من محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله ليس إلا إمام آل محمد رسول الله وحبيبه صلى الله عليه وآله، أو أنه خاص بمن جعله الله نائبا عن نبيه وأمينه صلى الله عليه وآله فجعله خليفته ووصيه ومن أعطاه مقام الولاية

---

(١) مقتل الحسين، آل بحر العلوم، ص٤٦٤.

والإمامة فله أن يقوم مقامه وأن يتصرف في شؤونه الكبرى ومقاماته العظمى مع الله سبحانه.

ومن هنا كان للتفكر في ذلك الموقف والمقام مجال.

وذلك أن تقديم جسد الإمام الحسين عليه السلام قربانا لله هو تصرف في جسده الشريف هذا أولا.

وثانيا: يحتاج إلى العلم بمطلوبيته من الله سبحانه.

وثالثا: يحتاج المتصرف إلى ولاية ليتصرف ذلك التصرف.

فمن عسى أن يكون له التصرف في جسد الإمام؟

ومن يمكن له أن يقف ذلك الموقف أو يقوم ذلك المقام؟

ثم إن ذلك القربان ممن؟

وهل سبق أن قدم أحد من الشهداء قربانا؟

حمزة أسد الله وأسد رسوله صلى الله عليه وآله وعم رسول الله صلى الله عليه وآله فمع حزنه له وبكاءه عليه لم يروعن رسول الله صلى الله عليه وآله جسد أخيها عليه السلام المقطع قربانا لله؟

ولماذا ابنة علي وفاطمة عليهما السلام هي التي تقدم ذلك القربان؟

لماذا لم يقدمه الإمام زين العابدين عليه السلام فهو الإمام بعد أبيه الحسين عليه السلام، وهو وصيه وولي دمه؟

إني لأعتقد أن ذلك المقام والموقف وذلك التصرف لا يمكن لأحد أن يقوم به إلا النبي محمد ﷺ أومن هو منه وقوم مقامه لأنه تصرف في جسد المعصوم، إذا كان لا يغسل المعصوم إلا معصوم مثله فما بالك بالتصرف في جسده بتقديمه لله قربانا فمن الأولى أن لا يقدمه إلا معصوم مثله.

وإذا كان المقام مقام النبي محمد ﷺ أو الإمام من بعده فكيف تقوم به فخر المخدرات؟

والجواب إن ذلك ليكشف عن ما لبنت رسول الله ﷺ من المقام العظيم والشأن الرفيع وخصوصا أنها:

(بحمد الله عالمة غير معلمة فهمة غير مفهمة)[1].

فإني وكما ذكرت سابقا لأعتقد أن ذلك المقام خاص بمن له الولاية الكبرى ليتصرف في جسد الإمام الحسين عليه السلام ولو بتقديمه قربانا إلى الله من محمد ﷺ وآل محمد ﷺ وليس إلا رسول الله ﷺ أو الأئمة من بعده.

فحيث إن رسول الله ﷺ الولاية العامة فيمكن أن تتصور أن يقف ذلك الموقف ويتصرف ذلك التصرف مع ملاحظة أنه يمكن

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٥، ص١٦٤.

أن يُـؤخر ذلـك إلى حـين عـودة زيـن العابـدين عليه السلام لمـواراة جسـد الإمـام الحسين عليه السلام.

ومـع ذلـك تقـدمت ابنـة رسـول الله صلى الله عليه وآله وابنـة عـلي وفاطمـة عليهما السلام وقامت مقام الإمام في ذلك وتصرفت تصرفه.

إن هـذا التصـرف والموقـف العظـيم الـذي لا يمكـن أن يقـوم بـه إلا النبـي المصـطفى صلى الله عليه وآله أو وصـيه عليه السلام دليـل عـلى مـا لبنـت عـلي وفاطمة عليهما السلام من عظيم المقام عند الله، إذا كـان تبليغ سـورة عـن رسـول الله صلى الله عليه وآله لم يقبـل الله سـبحانه أن يبلغهـا إلا نبيـه أو رجـل منـه فمـن الأولى التصرف في جسد الإمـام عليه السلام الـذي هـو أعظـم مـن أي شيء آخـر ولـيس الأمر من الأمور التـي يسـتناب فيهـا عـن الإمـام إذ هـو تصـرف ولـوي أي يحتـاج القـائم بـه إلى مقـام الولايـة كتغسـيله فهنـاك مـن الأمـور مـا يمكن أن يسـتنيب فيـه المعصـوم غـيره ليقـوم بهـا وهنـاك مـا لا يقـوم بهـا غير المعصوم ولـو بالنيابـة والمقـام منـه كـما أن في قولهـا (تقبـل منـا) دليـل على دخولهـا في مـن يُقـدم مـنهم ذلـك القربـان وعـدم نيابتهـا، ولـذلك لم يقـل تقبـل مـن محمـد وآل محمـد أوعـنهم عليهم السلام، كـل ذلـك أمـور تفصـح عما تضـمه ابنـة عـلي وفاطمـة عليهما السلام ذلـك المقـام ليكشـف عـن سر مصـون وأمر مكنون وعلم مخزون تحمله فخر المخدرات ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله.

وللإشارة إلى ذلك الشأن لعله ينكشف به جانب من عظمتها نقول:

لعل كونها أفخر امرأة تخدرت عرفتها الإنسانية له جهته في ذلك فجدها رسول الله محمد ﷺ وأبوها أمير المؤمنين علي عليه السلام وأمها فاطمة الزهراء وجدتها خديجة الكبرى فهي أفضل الناس جدا وجدة وأما وأبا وخالا وخالة وعما وعمة فهي أفخر امرأة، وإن كان أبوها وأخوها والتسعة المعصومون عليهم السلام أفضل منها، أو لكونها ثاني امرأة في تاريخ البشرية بعد أمها - بناء على كون كمال خديجة الوارد يكشف عن العصمة وإلا فهي الأولى - التي أبوها معصومان، أو لأنها أيضا المرأة الوحيدة المتولدة من نوري النبوة والإمامة أو أكبرهما والناتج يتبع مقدمتيه، فيكون بذلك العقل حاكما بعصمتها ونورانيتها وعلمها وعظم شأنها وعلو قدرها فاجتماع النورين لا ينتج إلا النور ولعله من هنا كانت عالمة غير معلمة وفهمه غير مفهمة.

وعلى كل لا أراني أستطيع إدراك ذلك المقام فالاعتراف بالعجز والقصور عن معرفة شؤون خير الأنام خير ختام لهذه الإشارة والكلام ونسأل الله الملك العلام أن يفتح علينا باب معرفة

أمنائه في خلقه ومستودع علمه وحكمته وخزّان وحيه والقوام في البرية بأمره إنه المتفضل المنان.

وأما تقديمه قربانا لله سبحانه فإن الإمام الحسين عليه السلام قدم نفسه الشريفة لله سبحانه في موقف لم يعرف له مثيل في تاريخ الإسلام بل في تاريخ البشرية جمعاء فإن عامة الشهداء حتى أولئك الذين استشهدوا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وتحت لوائه وعلى رأسهم حمزة وجعفر الطيار رضي الله عنه كلهم كانوا يأملون النصر قد دخلوا في حرب متكافئة أو وُعدوا فيها النصر من الله سبحانه كما في وقعة بدر أما الإمام الحسين عليه السلام فإنه اختار الموت وأقدم على الموت طوعا اختار مصارع الكرام على حياة اللئام قدم نفسه الشريفة لحفظ كرامة رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته وكرامة دينه من أن يكونوا طلقاء لأولاد الطلقاء واختار الثقة بالله على الثقة بغيره والخوف من الله على الخوف من غيره، فلذلك كان شهيد الكرامة والفداء شهيد الثقة بالله شهيد الخوف من الله وشهيد ذكر الله قدم أهل بيته وأصحابه ثم قدم نفسه الشريفة لله سبحانه فلم يبق منه إلا جسد موزع بحوافر الخيل فتقدمت ابنة النبوة والإمامة لتقدم ما تبقى منه قربانا لله سبحانه وتعالى من آل محمد عليهم السلام في مشهد فريد من نوعه ومضمونه كان الرضا بالله سبحانه يقودها والثقة به تغمرها والإيمان

والطمأنينة معينها ورسول الله ﷺ شاهدها وإلى الله جل جلاله مقصدها وتقربها وبذلك أصبح الإمام الحسين عليه السلام كله لله نفسه وجسده وبهذا أكملت ابنة رسول الله ﷺ ما بدأه الإمام الحسين عليه السلام في حركته وأراده لأهله واصحابه ولنفسه وجسده فحركته لله وشهادته لله وجسده الشريف قُدم لله تعالى شأنه، فتم فناؤه في الله فحياته لله ومماته لله.

وأما عدم تأخير تقديم ذلك القربان فلأن تقديمه كان في أول أزمنة تمكن ابنة علي وفاطمة عليهما السلام من ذلك ليكون تقديم ما تبقى منه وتقديم نفسه في وقت واحد ويوم واحد وساعة واحدة.

ولعله أيضا ليشهد أولئك الكفرة رضا آل محمد عليهم السلام بقضاء الله وقدره والتسليم له في جميع حالاتهم.

أو ليعلموا أنهم حتى في شدة مصابهم يطلبون رضا الله سبحانه وأنهم يتقربون إليه بالصبر على البلاء.

ولعله لأمر أعظم من ذلك كله اقتضى أن يقدم قربان آل محمد عليهم السلام في ذلك الوقت، فلعل شهادة الله وملائكته ورسله وسماواته وأرضه وما خلق جل وعلا عند قتل خليفته عليها اقتضى تقديمه في ذلك المقام، وبكاء السماء والحجر وغيرهما دما يؤيد تلك الشهادة، والله العالم بشؤون آل محمد عليهم السلام ومقاماتهم

وعظم قدرهم عنده فهو خالقهم وبارئهم ومعظم قدرهم وفارض ولايتهم ومودتهم على جميع خلقه عليهم السلام. ونسأل الله سبحانه أن يعمر قلوبنا بمعرفتهم ومعارفهم ويملأ صدورنا بمودتهم إنه المتفضل المنان والهادي إلى الصراط المستقيم.

الولاية والفداء:

عندما يتقدم الأبطال المتمرسون في الحروب وفنونها والعارفون بموازين القوى ونتائج الحروب وما يلزم عنها فليس هنا ما يستوقف الباحث.

عندما يتقدم أولئك الأبدال إلى الإمام الحسين عليه السلام يستأذنونه في القتال فإنهم عارفون على ما يقدمون على الموت والموت هوما ينتظرهم فهم يدركون ذلك فلا نجد مجالا للتعجب والاستغراب من إذن الإمام الحسين عليه السلام لهم في التقدم للحرب والقتال، ولكن عندما يتقدم شاب لم يبلغ الحلم فالأمر يختلف تماما ويكون للاستفهام أو التعجب والاستغراب مكان.

فلماذا أذن الإمام الحسين عليه السلام لمثل القاسم بن الإمام الحسن عليه السلام وكذا غيره من الشباب الذين يعتقد أنهم لا يقوون على مجالدة الرجال ومنازلة الأبطال؟

كما أنهم قد لا يدركون واقع ما هم مقبلون عليه وما ينتظرهم.

وللجواب عن هذا الاستفهام والاستغراب نقول:

أولا: أن أولئك الشباب لم يكونوا من الصغر إلى درجة أنهم لا يدركون ما يدور حولهم وما هو مصير من يتقدم إل القتال وقد روي أن القاسم على صغر سنه قتل ثلاثين رجلا.

ثانيا: أنهم وإن لم يكونوا بلغوا الحلم كما في بعض الروايات إلا أن ذلك لا يعني أنهم قاصرون عن إدراك واقع الأمور ومجريات الأحداث بل إن المقطوع من حالهم أنهم كانوا راشدين وعارفين بكل ما يدور حولهم من الأحداث.

ثالثا: أن قتال الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه لم يكن يتوقع منه النصر والظفر حتى يقال: إن أولئك الشباب لا يقوون على مجالدة الرجال ومنازلة الأبطال فقد ذكرنا سابقا أن الإمام الحسين عليه السلام بأنفسهم، ويقدمون أنفسهم فداء لنفس سيد الشهداء عليه السلام وذلك الأمر واضح في كلمات أصحاب الإمام عليه السلام بل هو صريح وهناك نماذج من ذلك.

فهذا عابس يسأل شوذب مولى شاكر:

(يا شوذب ما في نفسك أن تصنع؟ قال: أقاتل حتى أقتل)[1]

وكذا عابس نفسه يتقدم ويقول للإمام عليه السلام:

(لو قدرت أن أدفع عنك الضيم أو القتل بشيء أعز من نفسي ودمي لفعلت)[2]

وكذا عبد الله وعبد الرحمن الغفاريان قالا:

(السلام عليك يا أبا عبد الله جئنا لنقتل بين يديك)[3]

وكذا بقية أصحابه إنما أقدموا على الموت ولم يكونوا ينتظرون النصر والظفر والانتصار أو يرجونه بل كانوا يدفعون الموت عن الإمام عليه السلام مهما أمكن بأرواحهم يؤخرونه عنه بدمائهم.

وبهذا يتضح أن الموازين المتعادلة في الحروب لا تجري هنا فالكفاءة القتالية هناك مطلوبة للنصر أما هنا فهو الفداء للإمام الحسين عليه السلام فلا يأتي شرط الكفاءة القتالية في الفداء، وهؤلاء الشباب إنما تقدموا ليفدوا أنفسهم دون نفس الإمام الحسين عليه السلام وليدفعوا عنه الضيم بدمائهم.

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٥، ص٢٩.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

رابعا: إن هؤلاء الشباب رأوا بأم أعينهم أصحاب الإمام الحسين عليه السلام ومع ما يتمتعون به من القدرات الجسدية والكفاءة القتالية العالية يقتلون ويتساقطون بين يدي الإمام عليه السلام، فما عسى أن يكون حالهم فهم إذا يعرفون نتيجة تقدمهم للميدان ليس فيه إلا الموت بل أكثر من ذلك تجد في شعرهم ورجزهم عند ما برزوا ما يدل على المعرفة الكاملة بالإمام الحسين عليه السلام وشخصيته ومقامه والحال التي هو فيها عليه السلام فهذا القاسم يرتجز ويقول:

إن تنكروني فأنا نجل الحسن ... سبط النبي المصطفى والمؤتمن

هذا حسين كالأسير المرتهن ... بين أناس لا سقوا صوب المزن

فتجد بوضوح إدراكه لمجريات الأمور وما أصبح فيه الإمام الحسين عليه السلام بسبب غدر أولئك وأيضا في رجز شاب آخر:

أميري حسين ونعم الأمير ... سرور فؤاد البشير النذير

علي وفاطمة والداه ... فهل تعلمون له من نظير

له طلعة مثل شمس الضحى ... له غرة مثل بدر منير

وتتجلى المعرفة في هذا الرجز بإمامة الإمام الحسين عليه السلام وشأنه ومقامه ونسبه وكل ذلك يدل على أن القائل يدرك تمام الإدراك ما كان يفعل ولمن يفدي نفسه.

خامسا: إن الإمام الحسين عليه السلام لم يأذن لأولئك الشباب إلا بعد الإلحاح الشديد منهم، فهذا القاسم استأذن عمه الإمام الحسين عليه السلام فأبى أن يأذن له فلم يزل الغلام يقبل يديه ورجليه حتى أذن له وكذا ذلك الشاب فإنه أقبل نحو الإمام مقدما نفسه فداء لسيد الشهداء بعد أن فدى أبوه بنفسه.

قال الإمام عليه السلام: هذا شاب قتل أبوه ولعل أمه تكره خروجه.

فقال الشاب: (أمي أمرتني بذلك)[1].

وفي هذا الموقف تتجلى عظمة الولاء الصادق والحب والوفاء لمحمد وآل محمد وللحسين عليه السلام فهذه أم ثكلى قتل زوجها وأبو ابنها الساعة ولم تبرد حرارة ثكلها ومع ذلك تتناسى مصابها وتقي ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله بفلذة كبدها تقدم ولدها ليفدي نفس الحسين عليه السلام ويقيها بنفسه.

إن ذلك هو الاعتقاد العملي والترجمة الحقيقية للاعتقاد بولاية آل محمد عليهم السلام وأنهم أولى بهم وبأولادهم من أنفسهم ولذلك قدموا أنفسهم وأفلاذ أكبادهم دون آل رسول الله صلى الله عليه وآله.

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٥، ص ٢٧.

وذلك هو التطبيق العملي لقول رسول الله ﷺ (ألست أولى بكم من أنفسكم) و(من كنت مولاه فعلي مولاه) وذلك هو البلاء المبين.

سادسا: إن ذلك الجيش قد عزم على قتل كل صغير وكبير من أهل البيت عليهم السلام وقد قال شمر لعنه الله:

(قد صدر أمر الأمير عبيد الله بن زياد بقتل جميع أولاد الحسين)[1].

وعلى ذلك فإنهم مقتولون سواء تقدموا بين يدي أبي عبد الله أم تأخروا وقتل عبد الله الرضيع وغيره من الرضع والأطفال دليل على ذلك.

سابعا: لو أن الإمام الحسين عليه السلام أمرهم وكلفهم ذلك لكان لذلك الاستفهام مورد ولكن الأمر ليس كذلك فهم من تقدموا وطلبوا الإذن وأصر عليه فلا اشكال.

ثامنا: أن كون الجهاد ليس بواجب شرعا عليهم لا يعني عدم صحته منهم ولزوم منعهم منه بل إن العبادات إذا أتى بها غير البالغ فهي صحيحة كما ذهب إليه كثير من الفقهاء أو أنه لا يمنع منها نعم

(١) مقتل الحسين، آل بحر العلوم، ص ٤٥٧.

هنا يحتاج إلى إذن الـولي فـإن كـان موجـود فهـو وإلا فـإن الإمـام ولي مـن لا ولي له فلا إشكال.

تاسعا: لعلـه حيـث إن المقـام مقـام فـداء لـنفس الإمـام عليه السلام ودفـع المـوت عـن المعصـوم فقـد يقـال بوجوبـه عقـلا عـلى مـن لـه قـدرة عليـه وإن لم يجب شرعـا فلـو تركـه لا إثـم عليـه لكـن لـو أتـى بـه فـلا اشـكال فيـه بـل هـو ممـدوح عليـه ولـذلك أمـر الآبـاء والأمهـات أولادهـم بالتقـدم بـين أيـديهم لـيروهم شـهداء بـين يـدي الإمـام الحسـين عليه السلام ويحتسـبونهم عنـد الله وهـذا في الواقـع تجسـيد لعقيـدتهم وقـولهم للإمام عليه السلام بأبي أنت وأمي ونفسـي وأهـلي ومـالي فقـدوا الإمـام عليه السلام بكـل ما يستطيعون واحتسبوه عند الله.

والخلاصـة: ليسـت القضـية هنـا حربـا متكافئـة يرجـى فيهـا النصـر أو جهـادا ينتظـر منـه الظفـر بـل القضـية هنـا هـي الفـداء والاستشـهاد وأن الإمـام عليه السلام اختـار المـوت عـلى الاستسـلام فكـل مـن يتقـدم يعـرف بـأن القضـية هنـا قائمـة عـلى أسـاس اختيـار المـوت عـلى النـزول عـلى حكـم ابـن زيـاد، وكـما تقـدم أن الإمـام الحسـين عليه السلام أعلـن ذلك أمام الجيش في خطبته بقوله:

(ألا إن الدعي بن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة) وبعد وضوح الجواب عن ذلك فلنعكس ذلك الاستفهام ولنسأل:

لماذا قتل أولئك القوم هؤلاء الشباب؟

لماذا لم يأخذوهم أسرى ولا سيما في مثل حال القاسم الذي روي أنه انقطع شسع نعله فانحنى ليسويه فليس من العصب أخذه أسرا؟

والجواب عن هذا أصبح واضحا فإن القوم يريدون قتل الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه وأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله صغيرهم وكبيرهم وذلك أن هدف بني أمية من قتل الحسين عليه السلام هو محو ذكر آل محمد عليهم السلام وقد صرحت بذلك فخر المخدرات زينب عليها السلام بقولها ليزيد: (فكد كيدك واسع سعيك وناصب جهدك فوالله لا تمحو ذكرنا ولا تميت وحينا ولا تدرك أمدنا)[1].

ولذلك كان جيشه يسعى ويأمل في تحقيق ذلك الهدف عمليا بقتله كل صغير وكبير من أهل البيت عليهم السلام ومن معهم.

وبعد ذلك أقول: إني لأجد في تقدم أولئك الشباب رسائل إلى قلوب ذلك الجيش فهل بروز شاب لم يبلغ الحلم لا يقوى على

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٥، ص ١٣٥.

مجالـدة الرجـال صـابرا عـلى المـوت بـاذلا نفسـه في حـب الإمـام الحسـين عليه السلام في موقـف وفـاء لله ولرسـوله صلى الله عليه وآله هـي يحيـي في نفـوس أولئك شيئا من الرحمة أو التردد والتفكر في موقفهم؟

وهـل يمـنعهم مـن الإقـدام عـلى قتـل الإمـام الحسـين عليه السلام وهـؤلاء الشباب، فإنهم لم يأتوا بما يستوجب قتلهم فلماذا يقتلونهم؟

لماذا هذا التفاني دون الإمام الحسين عليه السلام؟

هل موقفهم رغبة في الدنيا؟ فلماذا إذن يقدمون على الموت؟

هل وعد الإمام عليه السلام أصحابه بالأموال والولايات؟

هـل أن هـؤلاء الشـباب بـل حتـى أصـحابه مخـدوعون لا يعلمـون ماذا ينتظر من يقف إلى جانب الإمام عليه السلام أو يتقدم بين يديه؟

وهل هم مجبرون على الوقوف إلى جانب الإمام الحسين عليه السلام؟

ألا يستطيعون أن يتخلوا عنه؟

ماذا وعد الإمام الحسين أصحابه حتى يقفوا هذا الموقف؟

لعل هذه المواقف تجعل أولئك يعيدون حساباتهم.

لماذا نحن واقفون إلى جانب ابن زياد؟

لماذا نحن خائفون من الموت؟

لماذا نحن نقتل هؤلاء الشباب؟

هل رضا ابن زياد عنا أولى من رضا الله سبحانه؟

ما مصير هؤلاء وما مصيرنا؟

نعم إن موقف هؤلاء الشباب وتناسيهم آمال المستقبل ورغبتهم عن الدنيا وزهوتها وإقدامهم على القتال مع علمهم بنتيجته الحتمية وهي الموت ومع نظرهم لأصحاب أبي عبد الله عليه السلام مضرجين بدمائهم لهو كفيل أن يحيي في نفوس أولئك القوم شيئا من التردد في موقفهم أو التساؤل عن أسبابه.

لماذا هذا الإصرار على إبادة آل رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وأوجب مودتهم وحبهم؟

وإني لأجد في قول حميد بن مسلم للأزدي عندما نظر إلى القاسم وقال: والله لأشدن عليه. فقلت له:

(سبحان الله وما تريد بذلك والله لو ضربني ما بسطت إليه يدي يكفيه هؤلاء الذين احتوشوه)[1].

وهذا الكلام هوما أراده الإمام عليه السلام أن يحيى في نفوس أولئك، فشاب تلك الصفات النبوية والشمائل الحيدرية لم يبلغ الحلم لماذا يقتل؟

ماذا يريد قاتله من وراء قتله؟

---

(١) بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٣٥.

وهل مثل هذا الشاب يستحق القتل؟

وإن كانت الكلمات هنا غير كافية من حميد بن مسلم حيث كان ينبغي له أن يدافع عن ذلك الشاب إلا أن المهم هنا أن بروز ذلك الغلام كان من شأنه أن يثير مثل كلام حميد بن سلم في نفوس ذلك الجيش ويجعل القوم يعيدون حساباتهم فماذا ينتظرون من قتل الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه؟

وكان ينبغي لهم أن يمتنعوا عن قتلهم فهم آل بيت الرسول صلى الله عليه وآله.

والنتيجة لهذا البحث أن تقدم هؤلاء الشباب مثل رسائل إلى قلوب أولئك لعلها تلين وإلى عقولهم لعلها تعود إلى رشدها فتقف وتتراجع عن موقفها وتحاسب نفسها وتسألها:

لماذا نقتل هؤلاء ولم يقاتلونا ونعاديهم ولم يعادونا؟

لماذا نذبح أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله وأطفاله ونمنع عنهم الماء؟

لماذا نسبي نساءه؟

وبهذا يكون الإذن لهؤلاء الشباب للتقدم إلى الحرب دعوة عملية إلى نفوس وقلوب أولئك لعلهم يرجعون عن غيرهم وبغيهم وكفرهم.

وأيضا هي رسائل حية لكل البشـر وللمسـلمين خاصـة بـأن حـب الدنيا يعمي ويصم واتباع الظالمين والسير خلفهم وطاعتهم يضـلل العقـل ويميت القلب ويقسيه ويجعله كالحجارة بل أشد قسوة.

هدف الإمام الحسين عليه السلام:

اختلـف المفكـرون في تحديـد هـدف الإمـام الحسـين عليه السلام في حركتـه اختلافـا كثـيرا وذلـك بسـبب اخـتلافهم في تفسـير ظـواهر قضـايا تلـك الحركـة ويقـدر مـا انـبرى عـن ذلـك الاخـتلاف مـن نظريـات لتفسـير الفعـل الحسـيني انـبرى عنـه أيضـا اخـتلاف في تحديـد هـدف الإمـام عليه السلام في حركته.

نعـم هنـاك بعـض النظريـات خلـت مـن هـدف واضـح لا سـيما تلك التـي كانـت تعلـل حركـة الإمـام عليه السلام بالوظيفـة الخاصـة. وعـلى كـل حال فأهم تلك الأهداف:

الأول: الاستشهاد

الثاني: تفضح بني أمية

الثالث: إقامة دولة إسلامية

الرابع: إحداث هزة في وجدان العالم الإسلامي.

وحيث إننا بحثنا تلك النظريات بشكل مفصل فلا نعيد هنا بل نكتفي بالإشارة إلى ما يتعرض تلك الأهداف من مشاكل فكرية عجزت عن تجاوزها تلك النظريات.

أما الاستشهاد فلا مقتضى له إذا لم تتوفر موجباته ولا سيما في أول حركة الإمام الحسين عليه السلام كما أنه هو بنفسه يحتاج إلى هدف وتعليل فلا يمكن أن يكون هو الهدف.

وأما فضح بني أمية فحكمهم الكوفة وأفعالهم فيها وقتلهم على الظنة والتهمة واستئثارهم بالفيء وجعله دولة بين الأغنياء وغير ذلك مما سبق ذكره من قتال أمير المؤمنين عليه السلام والإمام الحسن عليه السلام كلها كافية في فضحهم بل وفقد الأمل منهم ومن صلاحهم أو إصلاحهم.

وأما إحداث هزة في المجتمع الإسلامي بعنونة حركته بعنوان إقامة دولة إسلامية فإنه إذا لم تكن هناك أمور معقولة مستوجبة لاستشهاد الإمام عليه السلام فلن يكون لاستشهاده أي أثر فهو ليس إلا عملية انتحارية بل موجب لها فلا بد من إثبات وجود مقتضيات الاستشهاد وأما عنونته بأي عنوان لا واقع له فلن يغير من الواقع شيئا كما أنه لم يعرف من طريقة أهل البيت عليهم السلام استخدام الأساليب

الإعلامية البراقة والجوفاء العارية عن الصحة والخالية من الواقع لتغطية أية عملية أو حركة لهم.

وأما إقامة الدولة فهو الهدف المرجح لحركة الإمام الحسين عليه السلام وتصريحه بأن هدفه الإصلاح والأمر بالمعروف فهولا ينافي ذلك بل يؤيده كما سيتضح.

ومن المعلوم أن خروج الإمام عليه السلام إلى الكوفة بعد تجربتها مع بني أمية ليقودها ضد ظلمهم ويجتث فسادهم وتجد ذلك واضحا في وصيته لأخيه محمد بن الحنفية التي كتبها قبيل خروجه.

وفي نظرنا أنها لم تكن وصية بقدر ما كانت بيانا لهدفه من خروجه ومنهجه في حكومته وبيانا لسيرته فقد كتب لأخيه محمد بن الحنفية:

(بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب إلى أخيه محمد المعروف بابن الحنفية.

أن الحسين يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا صلى الله عليه وآله عبده ورسوله، جاء بالحق من عند الحق، وأن الجنة حق والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور.

وأني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا مفسدا ولا ظالما، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام. فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق ومن رد علي أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين.

هذه وصيتي إليك يا أخي وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب)[1].

وبملاحظة هذه الوصية نجد فيها أمورا مهمة ذكرها عليه السلام:

الأول: المقدمة للوصية.

الثاني: نفي الأهداف الدنيوية أو الظلم لأحد.

الثالث: حصر هدفه في الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الرابع: منهجه في حركته.

الخامس: واقع من يقبله.

السادس: موقفه ممن يرفض دعوته.

ومن الملاحظ والملفت للنظر خلو هذه الوصية من أي أمر أو شيء يعهد به الإمام الحسين عليه السلام إلى محمد بن الحنفية كما أنها خالية

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٣.

من بيان خليفته أو الوصايا في تركه إلى غير ذلك من الأمور التي يوصى بها عادة.

ومن الواضح أن خلوها من أي أمر يعهد بتفنيده إلى أخيه محمد بن الحنفية لأن محمدا ليس هو وصية ومن يقوم بعده بشؤونه كما أن نصه في آخر هذه الوصية على أن (هذه وصيتي يا أخي إليك) أراد منه التأكيد على حصر وصيته إليه فيما ذكر فقط، فلا وصاية له على شيء من شؤونه بعده وبذلك يدفع أي توهم لدعوى أنه الإمام بعده وينفي أي وصية أخرى ولا يبعد أن الإمام الحسين عليه السلام أراد بذلك سد باب الذرائع لمن قد يدعي الإمامة لمحمد بن الحنفية.

وعليه فخلوها من النص على الخليفة من بعده فلأنها ليست وصيته الحقيقية وأن أخاه ابن الحنفية ليس وصيه. هذا أولا.

وثانيا: للحفاظ على وصيه الحقيقي إن حصل له أي مكروه.

وعلى كل فمن تلك الأمور نفهم أنها ليست وصية حقيقية وما هي في الحقيقة إلا إعلان وبيان لواقع حركته ونهضته وهدفه من خروجه ومنهجه في حكومته وسيرته في رعيته وطريقة إدارته لأموره ولتوضيح ذلك فلنلاحظ ما تضمنته تلك الوصية.

الأمر الأول: وهو الاعتراف بالأمور الحقة.

والظاهر أن الإمام عليه السلام إنما نص على ذلك كان يتوقعه من بني أمية من اتهامه بالخروج من الإسلام بسبب الخروج عليهم والافتراء والكذب عليه وذلك فعلا ما حصل فقد أشاعوا أنه خارجي وأنه لا حرمة له إلى غير ذلك.

وأما الأمر الثاني: فإنه نص فيها على أن حركته ليست كبقية الحركات التي يقودها الطمع في الدنيا ويؤيدها الظلم والفساد.

والأمر الثالث: فهو يصرح فيه بكل وضوح بسبب خروجه ونهوضه الإصلاح في أمة جده التي قد أنهكها الظلم والجور والفساد والهرج والمرج وفيما تقدم مما ذكره الإمام عليه السلام في كتابه إلى معاوية شاهد على ذلك وكفاية في وضوح حاجة الأمة إلى الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإلى إعادة الأمور إلى نصابها والحقوق إلى أصحابها وأهلها.

وحيث إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحتاجان في وجوبهما إلى القوة ولا سيما في مثل ظرف الإمام الحسين عليه السلام ليتمكن من إعادة الأمور إلى نصابها فهما يتوقفان على وجود الناصر فلما

وجد الناصر وكاتبه من يرجو منهم النصرة كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبا وضروريا كما تقدم بيانه.

ثم إن الإصلاح الإداري والاجتماعي والديني الذي رفع رايته الإمام الحسين عليه السلام لا يمكن تحقيقه إلا برفع يد الظلم والجور واقتلاع الدولة الأموية من جذورها وقطع أياديها من المجتمع المسلم.

ومن الواضح جدا أن اقتلاع دولة من جذورها يحتاج إلى وجود البديل فلا يمكن لنا أن نقول: إن الإمام الحسين عليه السلام يريد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ظل دولة بني أمية، إذ أن المنكر الذي خرج لتغييره كان من عمل تلك الدولة بل حكمها نفسه وحيث إن ذلك يقتضي مواجهة قوية مع الدولة الأموية فهو يحتاج إلى جيش ولإدراك المجتمع الكوفي أن دعوة الإمام عليه السلام إليهم لقيادتهم تقتضي تلك المواجهة ضمنوا له النصرة والوقوف إلى جانبه.

والخلاصة: أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإصلاح الذي أعلنه الإمام عليه السلام ليس إلا دعوة لإقامة دولة إسلامية يحكمها ويقودها ضد الظلم والجور.

الأمر الرابع: وهو المهم هنا فهو يعين أن هدفه هو إقامة دولة إسلامية يقودها ويسير فيها بسيرة جده وأبيه على المرتضى عليه السلام وهذا واضح في أنه بيان لطريقة إدارته الدولة الإسلامية التي يرد أن يقودها فمنهجه فيها منهج رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام وأن سيرته فيها سيرتهما.

ومن الواضح أن المراد من سيره بسيرة جده صلى الله عليه وآله وأبيه عليه السلام ليس إلا في إدارة أمور الدولة الإسلامية، وهذا تعبير شائع ومعروف أن المراد به خصوص طريقة قيادة الدولة وأسلوب إدارة شؤونها. وتجد الكثير ممن يعبر بذلك فيقول: فلان سار بسيرة الحاكم الفلاني أو الخليفة الفلاني ولا يراد من ذلك إلا طريقته في حكمه وإدارة شؤون بلاده كما أنه تقدم في بعض خطبه على الحر وأصحابه تصريحه بمنهجه معهم وسيرته.

والمهم أن إقامة الدولة الإسلامية وقيادتها ضد بني أمية وظلمهم هو هدف الإمام الحسين عليه السلام، ويؤيد ذلك ما تقدم من أن وجهته كانت الكوفة وليست كربلاء.

كما أن حمله لأهل بيته فيه دلالة واضحة على أنه كان يريد الانتقال إلى الكوفة وليس كربلاء وبذلك يندفع الكثير من التساؤلات حول حمل الإمام عليه السلام أهل بيته معه وأما جوابه لأخيه ابن الحنفية:

(شاء الله أن يراهن سبايا)[1].

فإنه من الواضح أن الإمام الحسين عليه السلام لم يخرج لتسبى نسائه وإنما خرج ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويسير بسيرة جده صلى الله عليه وآله وأبيه عليه السلام فيكون قوله ذلك كشفا لستار الغيب لا بيانا لهدفه وغايته عليه السلام وسوف يأتي زيادة توضيح لهذا الأمر.

كما أنه قد تقدم أنه لا مانع لدى الكثير من المفكرين من جعل إقامة الدولة هدفا للإمام عليه السلام سوى ما كان يعتقد أن ذلك يستلزم الخطأ في الحسابات وفي تقدير الأمور وخصوصا في الاعتماد على دعوة الكوفة، ومن الواضح أن ذلك ينافي العصمة.

ولكن بعد وضوح طبيعة حركة الإمام عليه السلام وأنها ضرورية وأن الإمام عليه السلام إنما تحرك وفق المعطيات الخارجية لا الغيبية وكل المعطيات الخارجية كما تقدم تفصيله تدل على أن الحركة الحسينية ناجحة وأن الأمور تجري وفق ما رسم وخطط لها الحسنان عليهما السلام فقد نقم أهل الكوفة على بني أمية ونفروا منهم ولجئوا إلى الإمام الحسين عليه السلام هذا ما كان يراد من شرط الإمام الحسن عليه السلام فقد تحقق ولم

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٦٤.

يبق إلا حركة الإمام عليه السلام فكل تلك الأمور تدل بكل وضوح على نجاح حركة الإمام عليه السلام ونهضته.

أما أن الناصر فيما بعد انقلب وغدر فهذا ليس خطأ فيما رسم وخطط وليس خطأ في تقدير الأمور وقد تقدم الجواب عن ذلك، ونضيف هنا بأن رسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة أحد خرج لقتال قريش وكل المعطيات تشير إلى انتصاره بل ظهرت علائم النصر إلا أن بعض أصحابه خالف أوامره وتركوا أماكنهم وبسبب ذلك دارت الدائرة على المسلمين فهذا خطئاهم وليس خطأ من رسول الله صلى الله عليه وآله في حساباته ولذلك أنّبهم الله سبحانه في كتابه:

﴿أَفَإِن مَّاتَ أَو قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾(١).

وكذلك تخلي أهل الكوفة عن الإمام الحسين عليه السلام مع ما جرى عليهم من بني أمية من الظلم والجور ليس خطأ في حساباته عليه السلام بل خطأهم هم وإنما أخطؤوا بذلك حظهم كما أخبر عليه السلام.

---

(١) سورة آل عمران: ١٤٤.

والنتيجة لذلك أن الالتزام بأن هدف الإمام الحسين عليه السلام في حركته ونهضته هو إقامة الدولة الإسلامية لا يستلزم شيئا مما ذكر فلا مانع من الالتزام به بل هو المتعين بناء على نظريتنا.

وأما الأمر الخامس: وهو حال من يقبله فقوله: (فمن قبلني بقبول الحق إلخ) فالظاهر أن الباء في قوله [بقبول الحق] سببية فيكون المعنى: من قبل الإمام عليه السلام بسبب قبوله الحق فإن قيام الإمام عليه السلام حق فالله سبحانه أولى بالحق أي بقبول الحق منه فيثيبه على قبوله وإتباعه.

وأما الأمر السادس: فهو موقفه ممن يرد عليه دعوته فإنه يصبر ويفوض أمره إلى الله سبحانه ولعله أراد بهذا أنه لوردت دعوته فتخلى الناصر فليس له إلا الصبر وهذا يؤيد ما تقدم ذكره من عدم الموضوعية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو الاستشهاد إذا لم يجد الناصر فيتعين الصبر.

مصارع الكرام لا هزيمة:

إن الإمام الحسين عليه السلام اختار الموت على بيع الدين والاستسلام والنزول على حكم بني أمية واختيار الموت لا يصح تسميته هزيمته عسكرية، وذلك أن الإمام عليه السلام لم يقدم على حرب دفاعية أو هجومية

حتى يفترض فيها الهزيمة كما أن شهادته مع أصحابه لم يكن فيها أي سبب من أسباب الهزيمة العسكرية.

وتقرب ما نريد بيانه هنا بمثال من يختار الموت دون عرضه وشرفه مثلا لا يقال له أنه هزم.

فتعبير بعض الكتاب أو الخطباء عن ذلك بالهزيمة العسكرية ليس في محله بل الأمر هنا بين أمرين إما أن يخاف الموت ويرغب في الدنيا فيكون كمن غدر به ويعطي بذلك الفرصة لابن زياد في قتله صبرا أو إطلاقه فيمن بها على رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام الحي منهم والميت وإما أن يختار الموت بشرف وعزة على الحياة بعار وذلة ومصارع الكرام على العيش مع اللئام فيضحي بحياته ويخلد مبادئه ودينه وعقيدته، ويبقي بذلك شرف محمد وآل محمد عليهم السلام وكرامتهم وفضلهم على بني أمية حين أطلق النبي صلى الله عليه وآله جدهم بعد فتح مكة.

فاختار أبوعبد الله الحسين عليه السلام الموت ورآه سعادة وترك الحياة مع الظالمين بذلة ورآها عارا وبرما.

وكذلك أصحابه أيضا اختاروا الموت على الحياة اختاروا فداء أنفسهم دون نفسه الشريفة اختاروا الوفاء لله ولرسوله صلى الله عليه وآله ولأمير المؤمنين عليه السلام على الغدر والخيانة اختاروا ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله على

يزيد وابن زياد لعنه الله والحياة معهما اختاروا الفداء لكرامة محمد ﷺ على تسليمهم ليزيد وابن زياد.

فمع أن الإمام الحسين عليه السلام أخبرهم أن القوم لا يريدون غيره بقوله:

(فإن القوم إنما يطلبوني ولو ظفروا بي لذهلوا عن طلب غيري)[١].

وأيضا روي عن الإمام زين العابدين أن الإمام الحسين عليه السلام قال لهم:

(إن هؤلاء يريدونني دونكم ولو قتلوني لم يصلوا إليكم فالنجاء النجاء وأنتم في حل فإنكم إن أصبحتم معي قتلتم كلكم حتى لا يفلت منكم أحدا)[٢].

ومع التذكير بأن أصحاب الإمام الحسين عليه السلام رأوا جيش بني أمية وعدتهم وعددهم والذي بلغ ثمانية عشر ألفاً أو ثلاثين ألفاً كما في بعض الروايات وذلك يفقدهم الأمل في الانتصار أو الظفر عليهم وعليه فليس أمام الباقي مع الإمام الحسين عليه السلام إلا الموت.

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣١٦.

(٢) بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٨٩.

إلا أنهم أجابوا الإمام الحسين عليه السلام برفض العيش بدونه والحياة بعد وابتدأ العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

(ولم نفعل ذلك لنبقى بعدك لا أرانا الله ذلك أبدا)[١].

وقال أبناء عقيل:

(لا والله ما نفعل ذلك ولكن تفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلنا ونقاتل معك حتى نرد موردك فقبح الله العيش بعدك)[٢].

وقال مسلم بن عوسجة:

(والله لا نخليك حتى يعلم الله أنا قد حفظنا غيبة رسول الله صلى الله عليه وآله فيك أما والله لو علمت أني أقتل ثم أحيا ثم أحرق ثم أذر يفعل بي ذلك سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك فكيف لا أفعل ذلك وإنما هي قتلة واحدة)[٣].

وتوالت الكلمات التي عبرت عن الإيمان الصادق والاعتقاد الثابت وعن الإلتزام بالولاية لمحمد صلى الله عليه وآله وآل محمد عليهم السلام وأنهم أولى بهم من أنفسهم.

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٤، ص ٣٩٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

بل ترجموا ذلك الاعتقاد إلى حقائق وبلوروا إلتزامهم بالولاية لآل محمد عليهم السلام في الخارج إلى واقع عملي، فلم يروا لأنفسهم إلى جانب نفس الإمام الحسين عليه السلام وجودا، فقدموها بين يديه وضحوا بها دونه ودفعوا الموت - ولو بقدر اللحظات التي كانوا يقاتلون فيها - عن نفسه بأنفسهم ودمائهم وأفلاد أكبادهم في مشاهد لم يعرف لها التاريخ مثيلا، وبذلك دفعوا الذلة والعار والسبة عن محمد وآله عليهم السلام.

فتراهم في أشد حالاتهم دماؤهم تنزف وأرواحهم تنازع ينسون كل ذلك ليذكروا نفس الإمام الحسين عليه السلام وليوصوا بالحسين عليه السلام وليواسوا الحسين عليه السلام ونذكر هنا أبا الفضل العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام فمع قطع يديه وإصابة عينه ورأسه مع كل ذلك لا يبكي لنفسه ولحاله بل يبكي وحدة أخيه الحسين عليه السلام ويرفع الحسين رأسه يضعه في حجره ويمسح الدم عنه فيرمي به إلى الأرض مواساة للحسين لأنه لن يجد من يعلله إذا أصيب ويمسح الدم عنه فيرمي به إلى الأرض مواساة للحسين لأنه لن يجد من يعلله إذا أصيب أومن يمسح الدم عنه إذا جرح.

والموقف الآخر لسعيد بن عبد الله الحنفي الغريب والعجيب يقف أمام الإمام الحسين عليه السلام ليصلي فتأتيه السهام فيقي الحسين عليه السلام

بنفسه وكما روي فاستهدف لهم يرمونه بالنبل كلما أخذ الحسين عليه السلام يمينا وشمالا قام بين يديه فما زال يرمى حتى سقط إلى الأرض.

لم يرو أنه أنّ لألم أو خاف على نفسه من نبل إلى أن سقط سبحان الله لم يقل سوى:

(اللهم العنهم لعن عاد وثمود اللهم أبلغ نبيك السلام عني وأبلغه ما لقيت من ألم الجراح فإني أردت بذلك نصرة ذرية نبيك ثم مات)[1].

وكذلك في محمد بن بشر الحضرمي وقد علم بأسر ابنه فقال له الإمام الحسين عليه السلام:

(رحمك الله أنت في حل من بيعتي فاعمل في فكاك ابنك).

فقال:

(أكلتني السباع حيا إن فارقتك)[2].

وكذا في أم وهب حين ما قال لها ولدها بعد أن قاتل بين يدي الحسين عليه السلام ورجع يا أماه: أرضيتي؟

فقالت:

(ما رضيت أو تقتل بين يدي الحسين عليه السلام)[3].

---

(١) بحار الأنوار، ج ٤٥، ص٢١.

(٢) بحار الأنوار، ج٤٤، ص ٣٩٤.

(٣) بحار الأنوار، ج٤٥، ص١٧.

وإلى غير ذلك من المواقف المتعددة العجيبة والغريبة لأصحاب الحسين عليه السلام.

والمهم هنا أن الجميع إنما أقدموا على الموت يفدون نفس الإمام الحسين عليه السلام بأنفسهم، وأبوا للإمام الحسين عليه السلام ما أباه لنفسه من العار والذلة، فلم يتواتروا في ذلك ولم يهنوا ولم يضعفوا إلى أن قتلوا فلا موضوع للهزيمة العسكرية هنا.

وننبه هنا على أمر مهم وهو: حيث إنه لم يكن لدى أصحاب الإمام الحسين عليه السلام أمل في الانتصار على تلك الجيوش امتازوا بهذا على سائر الشهداء فلقد كان أمل النصر والحياة لدى سائر الشهداء موجود، كما أنهم كانوا يدفعون الموت عن الإمام الحسين عليه السلام ولو بهذا المقدار الذي يقاتلون فيه بين يديه، بل لم يضحوا بأنفسهم لاعتقادهم نجاته أو احتمالهم ذلك، بل قدموا أنفسهم فداءا لكرامة النبي محمد صلى الله عليه وآله لعزة الإمام الحسين عليه السلام وشرفه، وبهذا كان موقفهم فريدا من نوعه لا نظير له في تاريخ البطولات فكانت قضيتهم قضية التاريخ التي لا مثيل لها في التاريخ الإنساني وبكل ذلك يتضح أنه لا معنى للمقولة (أن الحسين وإن هزم عسكريا إلا أنه انتصر فكريا) فإن الهزيمة إنما تفرض في مورد حصول وهن

وضعف وهـي في غـير المقـدم عـلى المـوت المفضـل مصـارع الكـرام عـلى حياة اللئام.

حمل الإمام النساء والأطفال:

لماذا حمل الإمام الحسين عليه السلام النساء والأطفال معه؟

أثـير هـذا الاسـتفهام قـديما وحـديثا والسـبب في إثارتـه قـديما وحديثا واحد، وهـو أنـه إذا كـان الإمـام الحسـين عليه السلام يعلـم أنـه يقتـل هـو وأهل بيته فما معنى حمل النساء والأطفال معه؟ وما الوجه في ذلك؟

والظـاهر أن أول مـن أثـار هـذا الاسـتفهام هـو أخـوه محمـد بـن الحنفية عند خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكة قال محمد:

فما حدا بك على الخروج عاجلا؟

(قـال: أتـاني رسـول الله صلى الله عليه وآله بعـد مـا فارقتـك فقـال: يـا حسـين اخرج فإن الله شاء أن يراك قتيلا.

فقال محمد بن الحنفيـة: إنـا لله وإنـا إليـه راجعـون فـما معنـى حملـك هذه النساء معك وأنت تخرج على مثل هذا الحال؟

فقال: قد شاء الله أن يراهن سبايا. فسلم عليه ومضى)[1].

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٦٤.

وحيث إنه من الواضح أن مقالة الإمام الحسين عليه السلام في كلا جوابيه عن خروجه وعن حمله النساء شاء الله إخبار عن أمر غيبي وعما سوف يقع في المستقبل فليس هو في الواقع جوابا عن سبب حملهن.

وعليه نقول إن أصل ذلك الاستفهام مبني على أمر غيبي، فإن محمد بن الحنفية لم يسأل عن حال النساء إلا بعد أن أعلمه الإمام عليه السلام بأن الله قد شاء أن يراه قتيلا، فكان لسؤاله مكان بعد علمه بقتله، وعليه فأولا: هذا السؤال ليس مبنيا على علم عادي بقتل الإمام عليه السلام.

وثانيا: لم يكن لإثارته محل لو لم يعلم ابن الحنفية بمقتل الإمام عليه السلام منه.

وإذا كان الأمر كذلك فالجواب عن سبب حمله لهن هو نفس الجواب عن خروجه مع علمه بقتله، ولذلك أجاب الإمام الحسين عليه السلام عنهما بجواب واحد وهو ان الله شاء ذلك.

وهذا في الواقع جواب عن التحرك مع العلم الغيبي بتلك الأمور فإن الذي أخبره به شاء تحققه، وقد تقدم أن العلم الغيبي ليس واقعا في سلسلة علل الأحداث الخارجية وليس هو المقدمة العادية الموجبة لخروج الإمام عليه السلام فعلا فجواب الإمام عليه السلام كقوله

تعالى ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾(١)، ومن الواضح جدا أن من كتب عليهم القتال قد شاء الله لهم أن يبرزوا إلى موضع قتلهم إلا أن الآية الشريفة لا تثبت بذلك كون كتابة الله عليهم هو علة البروز وإلا للزم القول بالجبر وأيضا لا تثبت أنهم خرجوا ليحققوا ذلك أو أنهم مكلفون بتحقيقه وإلا لزم دعوى علم كل إنسان بأرض موته، وهو خلاف المعلوم بالضرورة، نعم الآية بصدد بيان أن ما كتبه الله وشاءه سوف يتحقق في الخارج والفرار من الموت أو الخوف من الخروج إلى الجهاد لن ينجي من الموت، فمن كتب عليه الموت قتلا فسوف يقتل سواء أراده أولم يرده، فالآية ناظرة إلى لزوم تحقق ما شاءه الله وكتبه لا إلى بيان علّية مشيئة الله لفعل الإنسان فهي لا تنفي وجود سبب عادي وطبيعي اختياري يكون هو المحرك الحقيقي للخروج إلى موضع القتل بل وجود سبب اختياري أمر ضروري بناء على نظرية الأمامية في الجبر والاختيار، ومن الواضح أن نسبة الأفعال أو نتائجها إلى مشيئة الله سبحانه يصح لجهتين الأولى تكوينية والثانية تشريعية أما الأولى: فهي بلحاظ ما أعطاه الله سبحانه الإنسان من

(١) سورة آل عمران: ١٥٤.

القدرة على الاختيار وأيضا اقداره على تحقيق مختاره وكذا استمراره كذلك فبهذه الأمور يصح نسبة أفعال العباد إلى مشية الله سبحانه مع صدق اختيارهم لها وصدورها منهم، فتركه يختار مع قدرة الله على صرفه عن اختياره وعدم منعه تكوينا يصحح نسبة الأفعال إلى المختار المباشر وإلى من أعطاه القدرة على الاختيار ولولا إقداره على تحقيق ما اختاره لما استطاع فعل شيء فأمر قدرة العباد بيد الله سبحانه وجودا وبقاءاً، إن شاء منعها كما منع بعض الجبارين من الفتك ببعض الأنبياء، وإن شاء بدلها كدفع الموت عن واصل رحم ومعط صدقة، وإن شاء تركها فتجري الأمور بأسبابها الطبيعية العادية، وبهذا يظهر معنى الأمر بين الأمرين فالإنسان ليس مجبورا على أفعاله لأنها باختياره ولا مفوض إليه أمره فهو لا يستطيع فعل كل ما اختاره ولا تحقيق كل ما أراده إلا إذا شاء الله أن تجري الأمور بأسبابها فلم يمنعه أو يغيره وبهذا يكون لزوم الاستثناء والتعليق على مشية الله سبحانه في كل ما يريد الإنسان فعله لا إشكال فيه قال تعالى ﴿**وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ**﴾ وبهذا أيضا يتضح أثر الدعاء في دفع القضاء فقد يمنع ما شاء وكتب.

وأما الجهة الثانية وهي التشريعية فإن الله سبحانه أمر عباده بالطاعات ونهاهم عن المعاصي ومن البديهي صحة نسبة الأفعال إلى الآمر بها والناهي عنها كما يصح نسبتها إلى المباشر لها.

وأما المعصية فلا يصح نسبتها إلى الله من هذه الجهة لأن الله لم يأمر بها أبدا نعم يصح نسبتها إلى مشيئة الله بلحاظ الجهة الأولى.

وواضح أنه في جميع تلك الموارد يصح نسبة الأفعال تكوينا كلها إلى مشيئة الله سبحانه وتعالى، ومن الواضح جدا أنه لا تلازم بين الإخبار عن المشيئة وأمر الله سبحانه بمتعلقها، إذ كما تقدم بيانه فإنه قد يكون متعلق المشيئة نتيجة سوء اختيار العباد مع أن الله قد نهاهم عنه وأمرهم بضده بل حتى من طرف الإمام الحسين عليه السلام فإنه كما تقدم قد دافع عن نفسه في كل مورد تعرّض فيه للأذى والخلاصة أنه لا تلازم بين الجهتين الأولى والثانية فقد يأمر بما يعلم عصيان العبد له وقد يشاء ما لم يأمر به وعليه فالاخبار عن مشية الله سبحانه وتعالى لا تدل على طلب متعلقها من الله سبحانه وتعالى ولا تكشف عنه.

وبما ذكرنا يتضح أن فعل العبد واختياره يكون كاشفا عن مشيئة سبحانه سواء في ذلك المشيئة بالنحو الأول أو الثاني، ومن الواضح أن هذا الأمر ينطبق على المعصوم في حركته وفعله وما

يجري عليه، نعم المعصوم يمتاز بعلمه بما شاء الله وكتبه عليه وهناك ما يدل على تفويض أمر ما كتب عليه إليه إلا أنهم لا يشاؤون إلا ما يشاء الله فيصبرون على قضائه وقدره فيوفيهم أجور الصابرين، وعليه فقول الإمام الحسين عليه السلام: (شاء الله إلخ) بيان لنتيجة خروجه وبعبارة أدق بيان لنتيجة سوء اختيار أعداءه وليس بيانا للسبب العادي لخروجه بهم، وكذا لا ينفي وجود سبب عادي في ظرفه لتلك النتيجة الضرورية الحصول التي بيّنها بقوله شاء الله أن يراهن سبايا، وعليه فقتله وسبي نسائه مما شاء الله أن يجري القدر فيهما بأسبابهما ولا يمنع الظالمين والمعتدين من تحقيقهما تكوينا وإن منعهم منهما تشريعا، كما أن مشيئته تلك لا تقتضي إرادته متعلقها من الإمام الحسين عليه السلام أو أمره بتحقيقها وتعريض نفسه وأهله للسوء، أو عدم حفظ نفسه وإبعادها عن مواطن التهلكة فمع مشيئته ذلك إلا أنه كلف الإمام بالدفاع عن نفسه والحفاظ عليها، فلذلك خرج من المدينة، وعجل بالمسير من مكة، وامتنع على كل من أراده بسوء، ودافع عن أهله وعياله، وذب عن نفسه إلى آخر رمق، وهذا دليل على أن المراد من المشيئة هي المشيئة من الجهة الأولى، وعلى هذا فلا يصح التمسك بتلك الرواية لتعليل خروج

الإمام عليه السلام وحمله نسائه معه، كما لم يصح التمسك بالآية المتقدمة لتعليل البروز للقتل.

وهذا ليس ردا لجواب الإمام عليه السلام بل إن جوابه كشف به أمرا غيبيا كتب عليه في لوح البلاء فلا مفر منه ومن وقوعه وتحققه، فليس هو بيانا لسبب خروجه بهم أو أن قصده من خروجه بهم تحقق قتله وسبيهم، والمفروض أن البحث عن السبب المعلل للفعل الحسيني، وقد تقدم رد دعوى علم الإمام الحسين عليه السلام بقتله بالعلم العادي (أي أنه قد توفرت المقدمات العادية لحصول العلم بقتله) وإذا لاحظنا ما تقدم من عدم لزوم تحقيق المعلوم بالغيب تكون الرواية خالية من تعليل الخروج بالنساء والأطفال تماما.

نعم هناك أمر فيها من رسول الله صلى الله عليه وآله بالخروج إلا أنه لا يفيد النظرية الغيبية المعللة على أساس الوظيفة الخاصة في إثبات غيبية القضية الحسينية إذ أنه قد تقدم هنا إثبات توفر جميع أسباب الخروج العادية إلى الكوفة بل ضرورة ذلك فلا يكون هنا وظيفة خاصة فيكون الأمر إرشادي إلى ما يدركه العقل من لزوم الخروج إلى الكوفة.

وأما لماذا أجاب الإمام عليه السلام بذلك فذاك أمر آخر وتقدم بيان الوجه في ذلك وعليه فأي جواب يبتني على التعليل بتلك الرواية لا

يكون كافيا ولا سيما أنها تكفلت بيان نتيجة الخروج لا سببه نعم بناءا على النظرية الغيبية فلا إشكال بل لا حاجة للبحث عن تعليل للخروج بالنساء والأطفال والوجه في ذلك واضح، وأما بناءا على غيرها من النظريات فإن خروج الإمام الحسين عليه السلام بالنساء والأطفال يمثل مشكلة أمامها تحتاج إلى حلها وتجاوزها حتى النظرية المعللة للحركة الحسينية على أساس الشهادة أو أولوية ترك التقية فإن حمل النساء والأطفال يعترضها كمشكلة عليها مواجهتها خصوصا بعد توضيح عدم كون قتله وسبيهم مقصودا له.

وعلى ذلك فيتضح بطلان دعوى: أن الإمام الحسين عليه السلام حمل ابنة أمير المؤمنين عليه السلام لتسبى فتكون بذلك شريكته في نهضته، ويبدأ دورها المهم بعد شهادته فتكمل به مسيرته، وتمثل ذلك الدور في فضح بني أمية، وتأليب الرأي العام عليهم، ولا سيما بخطبتها في الكوفة، وفي مجلس يزيد، وما يعكسه سبيهم من الأثر الكبير في نفوس المسلمين، ولذلك حملها الإمام الحسين عليه السلام.

وقد استندت هذه الدعوى إلى قول الإمام عليه السلام شاء الله أن يراهن سبايا.

وبطلان هذا الاستناد واضح لما تقدم بيانه من عدم دلالة الرواية المذكورة على قصد متعلق الإشاعة، كما أن الرواية ليست بصدد بيان العلة العادية للخروج.

وأما بيان متعلق الإشاعة ونتيجة سوء اختيار الآخرين فهو لا يستلزم إرادة تحقيق ذلك أو اختياره والعلم بضرورة تحقق متعلق المشيئة لا يكشف عن اختيار الإمام الحسين عليه السلام لها بعد أن كانت نتيجة سوء اختيار الآخرين. وأما الرضا بها والصبر عليها فلا ربط له باختيارها أو السعي في تحقيقها، وهذا مثل المرض وغيره من الابتلاء فقد يرضى به الإنسان ولكن رضاه لا يكشف عن إرادته، كما أن اعتماد هذا الجواب على الجهة الغيبية واضح فدورها بعد شهادته بل وشهادته أيضا وخطبها وتأليب الناس على يزيد وغير ذلك من الأمور المذكورة كلها أمور غيبية حين خروجه عليه السلام فلا تصلح للإجابة والتعليل بها.

وفضلا عن ابتنائه على جهات غيبية فهو في نفسه غير تام وذلك أن ابنة علي وفاطمة عليهما السلام لم تخطب في موقف بل لم تنفوه بكلمة في مجلس إلا وكانت ملجأة إلى ذلك، وإلا فابنة علي عليهما السلام أبعد ما تكون عن مخاطبة الرجال، أو الخطب في مجالس الطغاة، أو أن تقتنص فرصة اجتمع فيها

الناس لتخطب فيهم، فابنة علي عليها السلام التي لم يسمع لها صوت ولم ير لها خيال لأجل وأرفع من أن تخطب في تلك محافل.

ولماذا تخطب؟

ألتعرف الناس ما لم يعرفوا ولا سيما أهل الكوفة؟

أو لتؤلب الناس على يزيد وابن زياد؟

وهل تتوقع منهم النصر أو ترجو منهم الوفاء بعد أن غدروا بالإمام الحسين عليه السلام وخذلوه وقتلوه؟

وهل ترك الإمام الحسين عليه السلام عذرا لمعتذر منهم؟

فهل بقي لها أمل فيهم بعد تخاذلهم عن الإمام الحسين عليه السلام ونصرهم يزيدا وابن زياد؟

وهل ضمّنت خطبة من خطبها دعوة لأحد منهم بشيء من ذلك؟

بل حتى لو عرض الناس نصرتهم عليها بعد غدرهم بالإمام الحسين عليه السلام أكانت تصدقهم؟

وهل ينبغي لها تصديقهم أو الوثوق بهم؟

أما خطبتها في الكوفة فلم نجد فيها استنهاضا لهمم الرجال أو دعوة للانتقام فلعمري ما هي إلا نفثة مصدور وحرارة مثكول بسبب بكاء ثاكله.

فإن المفجوع المثكول في عزيز عندما يرى من قتله أومن ساهم في قتله يبكي لحاله فإنه يجزع من ذلك ويستنكر ومن راجع خطبتها

في الكوفة بالخصوص وجد ذلك واضحا، أنها إنما كانت تستنكر بكاء أهل الكوفة بعد فعلتهم وتوبخهم على غدرهم بالإمام الحسين عليه السلام لا أنها تعرفهم ما لم يكونوا يعرفون من واقع بني أمية أو تدعوهم إلى ما كانوا يجهلون من الواجب عليهم تجاه الإمام الحسين عليه السلام أو تدعوهم للطلب بثارات الإمام الحسين عليه السلام أو الوقوف في وجه يزيد والقيام ضده.

وكذا في مجلس ابن زياد فلولا جرأة الطاغية ابن زياد (لعنه الله) لما خاطبته ببنت شفه كيف وقد دخلت متنكرة لئلا يعرف شخصها.

أما خطبتها في مجلس يزيد لعنة الله فإنها لما رأت فعل يزيد برأس أبي عبد الله عليه السلام وسمعت كفره وتمثله بأبيات ابن الزبعري:

ليت أشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل

لأهلوا واستهلوا فرحا ... ثم قالوا يا يزيد لا تشل

قد قتلنا القرم من ساداتهم ... وعدلناه ببدر فاعتدل

لست من خندف إن لم أنتقم ... من بني هاشم ما كان فعل

يقول ذلك وهو يضرب ثنايا الحسين عليه السلام بمخصرته أهاجها كفره، وفظاعة موقفه، وشناعة فعله، فانحدرت بأبي هي وأمي في خطبتها بمرارة مخاطبته، وقد ذكرت ذلك بقولها:

(ولئن جرت علي الدواهي مخاطبتك إني لأستصغر قدرك)(١).

فلولا تلك الدواهي من قتل الإمام الحسين عليه السلام والعظائم من سبيهم وهتك خدورهم ونكته رأس الإمام عليه السلام بمخصرته لما خاطبته ببنت شفه.

ودليل على ذلك نفس خطبتها فعندما تنظر في تلك الخطبة تجدها تركز على يزيد وعلى شناعة فعله وعظيم جرمه وتذكره بما ينتظره من عذاب النار وغضب الجبار وانتهاء عمره وانقطاع ملكه وتبديل فرحه ودوام أسفه عندما ينادي المنادي ألا لعنة الله على القوم الظالمين إلى غير ذلك، ولم توجه خطابها لأحد من جلسائه بعتاب أو استنهضتهم بخطاب أو التفتت إليهم بتوبيخ أو تأنيب أو أنها دعتهم باستفزاز وتأليب.

وعلى كل فلولا تلك الدواهي والرزايا المتتالية التي ختمها يزيد بكفره الصراح بتمثله بأبيات ابن الزبعري ونكته ثنايا أبي عبد الله عليه السلام وهي مُقبل رسول الله صلى الله عليه وآله مع عظم ما جرى عليها من السبي والتشهير ومن هتك الستور وإبداء الوجوه يتصفحهن القريب والبعيد والشريف والوضيع والدني والرفيع لولا تلك الدواهي لما خاطبته ببنت شفة وهي ابنة محمد وعلي عليهما السلام.

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٥، ص ١٣٤.

وبعد هذا نقول وبكل صراحة لا معنى لما هو متعارف على الألسن بأن الإمام الحسين عليه السلام إنما حمل أهل بيته وثقل النبوة لتواصل به فخر المخدرات نهضته، فإن الإمام الحسين عليه السلام وآل محمد عليهم السلام لأجل وأرفع من ذلك القصد وأبعد كل البعد عن تلك الأساليب الرخيصة والوضيعة، فلا يمكن أن يتخذ تشهير نسائه وسبيهم طريقا للوصول إلى هدفه أو وسيلة لإتمام نهضته، أضف إلى ذلك كله أنه لم ترد ولا رواية واحدة تذكر ذلك بل على العكس تماما فقد ورد أن سبيهم وإدخالهم المجالس أشد المصائب على آل محمد عليهم السلام.

نعم طغيان وكفر يزيد وجرأة ابن زياد على الله سبحانه وتعالى واستخفافهم بحرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وحرمة وتفاخرهم بقهر آل محمد صلى الله عليه وآله وقتلهم هو الذي ساق بنات رسول الله صلى الله عليه وآله سبايا مهتوكات الأستار مبديات الوجوه، وكما قال ابن عباس في جوابه لكتاب يزيد:

(وإن من أعجب الأعاجيب حملك بنات عبد المطلب وأطفالا صغارا من ولده إليك بالشام كالسبي المجلوبين تري الناس أنك قهرتنا أنت تمن علينا وبنا منّ الله عليك)[1].

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٥، ص ٣٢٥.

نظرنا في حمل النساء والأطفال:

الـذي نعتقـد أنـه السـبب الـذي دعـا الإمـام الحسـين عليه السلام إلى حملـه أطفالـه ونسـائه هومـا ذكرنـاه في بحـث هـدف الإمـام عليه السلام أنـه كـان متوجهـا إلى الكوفـة ويريـد الإقامـة فيهـا والانتقـال إليهـا وإقامـة دولـة إسلامية يقودها ضـد الظلـم والعـدوان ولـذلك حمـل أهـل بيتـه وأطفالـه ونسـائه معـه حتـى الحامـل المقـرب مـنهن بـل كـان مـن الضـروري أن يحملهـم معـه مـا دام يريـد الإقامـة في العـراق ويريـد مواجهـة الحكـم الأموي. هذا أولا.

ثانيا: أن الإمـام الحسـين عليه السلام عميـد بنـي هاشـم والإمـام بعـد أخيـه الإمـام الحسـن عليه السلام ومـن الطبيعـي أن يخـرج بأهـل بيتـه ويخـرج معـه أخوته وكل من يلوذ به ويتفيء ظلاله ويرفل في نعمته.

وكشـاهد عـلى مـا اخترنـاه انتقـال أمـير المـؤمنين عليه السلام مـع أهـل بيتـه وكل مـن يلـوذ بـه مـن بنـي هاشـم إلى الكوفـة كأخيـه عقيـل وابـن عمـه عبد الله بن عباس وغيرهما عندما أراد الإقامة في العراق.

وأمـا دعـوى أن النبـي صلى الله عليه وآله كـان يحمـل معـه بعـض النسـاء في حروبـه للعنايـة بـالجرحى وغـير ذلـك، وهـذا يمكـن أن يجـاب بـه عـن النظريات المبنية عـلى أسـاس الشـهادة أو أولويـة تـرك التقيـة ففـي كلـيهما يتوقع وجود جرحى فيحتاج إلى من تعتني بهم.

وهذه الدعوى تبتني على دعوى العلم العادي بالقتل والقتال مع أهل الكوفة، وقد تقدم البحث في ذلك، كما أنها خلاف ما ورد من قوله شاء الله أن يراهن سبايا.

ومع التنزل عن ذلك نقول: إن كانت تلك الدعوى صحيحة في نفسها فهي قياس مع الفارق ففي حروب النبي صلى الله عليه وآله لم يكن قتله وقتل أصحابه معلوما أما هنا فالمفروض علمه بقتله وقتل أصحابه بل وسبي نسائه فلا موضوع لذلك. هذا أولا.

وثانيا: أنه قد تقدم أن الإمام الحسين عليه السلام لم يكن خروجه إلى أهل الكوفة ليقاتلهم بل خرج إليهم لينصروه ويقودهم ضد عدوه وعدوهم.

وثالثا: أن ذلك يعلل حمل النساء دون الأطفال والرضع أو النساء الحمّل قريبي الولادة بل إن حمله النساء قريبي الولادة معه دليل واضح على ما ذكرناه من أنه كان متوجها إلى الكوفة ليقيم فيها.

وأما حمله لأخته زينب عليها السلام بالخصوص فللأمور:

الأول: أن زوجها عبد الله بن جعفر بحسب الظاهر لم يكن موجودا في المدينة عند خروجه، ويؤد هذا ما روي من التقائه به في

الطريق عند خروجه من مكة، ولذلك كانت مع الإمام الحسين عليه السلام في خروجه.

وثانيا: أنها الشخصية الأولى في نساء بني هاشم بل في عامة نساء المسلمين بعد أمها فاطمة عليها السلام فهي ابنة رسول الله وابنة أمير المؤمنين وابنة فاطمة الزهراء وأخت الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام، فلها مكانتها في نفوس نساء المسلمين وخصوصا أهل الكوفة فمن الطبيعي أن تكون إلى جانب أخيها الإمام الحسين عليه السلام وأن تنتقل إلى الكوفة بانتقاله.

وثالثا: أن ودائع الرسالة بشكل عام وزينب عليها السلام بشكل خاص لا يحتملن مفارقة الإمام الحسين عليه السلام وقد قال لابن عبد الله بن عباس:

(يا ابن العم وإنهن ودائع رسول الله صلى الله عليه وآله ولا آمن عليهن أحدا وهن لا يفارقنني)[1].

رابعا: الخوف عليها من بني أمية ومن أخذها أسيرة فحركة الإمام الحسين عليه السلام ضد دولتهم ولذلك قلنا سابقا بأنه ما دام خرج

---

(١) مقتل الحسين، آل بحر العلوم، ص١٥٨.

لإقامة دولة فمن الضروري حملهن معه إذ أنه لا يأمن عليهن ولا سيما منهم.

فلا وجه لما يتشبث به البعض من تلك العبارات البراقة الجوفاء الخالية من الواقع والبعيدة كل البعد عما عرف من منهج أهل البيت عليهم السلام وأساليبهم في الدعوة إلى الله سبحانه واشتهر من كريم أخلاقهم وعلو مقامهم عليهم السلام وعظيم مواقفهم وشدة حفاظهم وغيرتهم على نسائهم، فتلك الدعوى المهينة تجعل من أهل البيت عليهم السلام يستغلون مأساة نسائهم وأطفالهم للوصول إلى أهدافهم، إنها وإن صيغت بأساليب عدة لتبدو مقبولة ومعقولة واعتاد الكثير على ترديدها إلا أننا نراها غير صحيحة ولا نقبلها في حق آل محمد عليهم السلام ولا دليل عليها، وكما قلنا لو كان الأمر كما يذكره بعض الخطباء والكتاب من أن الهدف من حمل النساء والأطفال ولا سيما زينب عليها السلام هو مواصلة النهضة الحسينية وتحريك الهمم وبعث الحياة في نفوس المسلمين الميتة لاقتنصت الفرص في التجمعات الكبيرة للناس ولخطبت خطبا تؤلب فيها الناس على يزيد وابن زياد ودعتهم للقيام ضدهم والانتقام منهم.

ولكن لا يوجد ولا مورد واحد وجهت فيه خطابا إلى الناس تدعوهم فيه للوقوف في وجه يزيد أو تؤلبهم على ابن زياد. هذا أولا.

وثانيا: طلبها من شمر (لعنه الله) عند قربهم من الشام بأن يحملهم في طريق قليل النظارة ولوكان الأمر كما يدعي لطلبت الطرق التي يكثر فيها الناس.

وثالثا: طلبها أن تخرج الرؤوس من بين المحامل ليتشاغل الناس بالنظر لها عن النظر إليهن.

رابعا: استنكارها على يزيد وتوبيخها له لحمله لهن بتلك الحالة.

دفع وهم: ربما استدل على ذلك بخروج فاطمة الزهراء عليها السلام إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وخطبتها فيه طلبا لحق أمير المؤمنين علي عليه السلام مع أنه كان أمام الرجال.

ولكن الجواب واضح والفرق ظاهر ففاطمة عليها السلام خرجت في لمة من نساء بني هاشم وضرب بينها وبين القوم ملائه (ساترا) فخطبت وطالبت بحقها وحق أمير المؤمنين عليه السلام وهي في ستر وخدر.

ثانيا: أن فاطمة الزهراء خطبت في موقف يفترض فيه أن الجميع يكنّ لها الاحترام والإكبار ويعرفون مقامها وعظيم شأنها وذلك قبل أن يعدوا على بيتها.

ثالثا: أن خطبة الزهراء عليها السلام كانت في ظرف يتوقع فيه رجوع القوم إلى جادة الحق، كما أنهم لو رجعوا وتوبتهم محل للقبول وأثر في تغير الأمور.

أما بالنسبة لفخر المخدرات زينب عليها السلام فلم يكن شيء من تلك الأمور حاصل أو يتوقع فقد قتل الإمام الحسين عليه السلام فلا فائدة في توبتهم أو رجوعهم أو عرض نصرتهم بل لا يمكن أن تثق بهم وبوعدهم بعد أن قتل الإمام الحسين عليه السلام.

وأما دعوى افتضاح يزيد وحزبه في الأمصار بقتلهم الإمام الحسين عليه السلام وتشهير ثقل النبوة والإمامة مخدرات محمد وعلي عليهما السلام فذلك يصح لو كانوا تستروا على قتله أو قتلوه غيلة، وللكن ما إن قتلوه حتى أعلنوا قتله على المنابر ونشروا خبر قتله في الأمصار ونادى مناديهم بقتله في كل مكان حتى مدينة خير الأنام قام فيها منادي الأم اللئام فنادى بقتل ريحانة نبي الإسلام صلى الله عليه وآله.

ثم عن ماذا كانوا يتسترون حتى يخافوا أن يفضحوا؟

إن أهم المدن الإسلامية التي يمكن أن تتأثر لقتل الإمام عليه السلام وأن يؤثر فيها خبر مقتله هي الكوفة وقد شارك منها في قتله عشرات الآلاف فهل يمكن أن يخفى خبر قتله وما فعلوه به حتى يتوقف انتشاره على سبي النساء والأطفال بل لا يبعد أن يزيد وابن زياد أرادا من الإتيان بهم في خصوص الكوفة لإرهاب أهلها وتخويفهم وتعريفهم عاقبة المخالف له.

ثم بعد ذلك نقول وهل مثل يزيد من يستحي من منكر يفعله حتى يستره بل حتى معاوية الذي يكثر الكلام عن دهائه ويدعي بعضهم تستره فقد اقترف الكثير من المنكرات العظام جهارا فقد قاتل أمير المؤمنين علي عليه السلام ولو قدر عليه لقتله وكذا الإمام الحسن عليه السلام لو حاربه وتمكن منه لما تردد في قتله علنا، ولما ثقل عليه وجوده قتله وأما قتله غيلة فلأنه لم يكن موضوع لقتله علنا، وأما عرضه للصلح فكما ذكرنا سابقا كان اعتماد على غدره بل هو خطأ وقع فيه معاوية بسبب ثقته بغدره خصوصا بعد عرض جيش الإمام عليه السلام تسليمه له، وصريح نقضه العهد وشروط الصلح وادعائه زيادا، ثم تتبعه أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وراء كل حجر ومدر وأمره زيادا بقتل كل من كان على دين علي عليه السلام، وسنه شتم أمير المؤمنين عليه السلام على المنابر ومنعه التحدث بفضائله، وبيان ما نزل في فضله من القرآن، أو

رواية ما جاء فيه من أحاديث سيد الأنام صلى الله عليه وآله، إلى غير ذلك من العظائم والطامات التي ارتكبها معاوية أو ابتدعها في الإسلام والتي أحصى عليه بعضها الإمام الحسين عليه السلام في جواب كتابه، فقد كان متجاهرا بكل تلك الأمور معروفا بها بل قيام الإمام الحسين عليه السلام وحركته ودعوة أهل الكوفة له لم تكن إلا لظلم معاوية المعلن وتجاهره بتلك المنكرات.

وكما تقدم منا سابقا أن أهل الكوفة لم يميلوا إلى معاوية جهلا منهم بحاله أو طمعا في عدله بل كان ميلهم رغبة في صلاته وطمعا في عدم انصافه في عطائه.

والمهم أن مسألة فضح بني أمية تحصيل حاصل فلم يكونوا يتستروا على منكراتهم تجاه المجتمع الإسلامي حتى يخشوا الفضيحة فلا معنى لجعلها هدفا لحمل الإمام الحسين عليه السلام ثقل النبوة والإمامة معه، ويمكن لنا القول إن نفس أخذ بني أمية النساء والأطفال بتلك الحال وسوقهم سبايا دليل على أنهم لم يريدوا التستر على قتل الإمام عليه السلام حتى يسعى الإمام في فضحهم بل كما قال ابن عباس أرادوا أن يروا الناس أنهم قتلوا آل محمد عليهم السلام وقهروهم وأنهم يمنون عليهم.

والنتيجة أن كل تلك الأمور تدل دلالة واضحة على أن ذلك لم يكن مقصودا للإمام الحسين ﵇ ولم يرده أبدا لنسائه وأطفاله فهو أجل من ذلك وأرفع كما أن زينب ﵍ لم تعمل لذلك ولم تستغل أي فرصة لأجله.

نعم بنو أمية واصلوا عدوانهم على آل الرسول ﷺ ولم يكتفوا بقتل الإمام الحسين ﵇ بل أخذوا بنات رسول الله ﷺ من بلد إلى بلد وأدخلوهم المجالس وبذلك طالت محنتهم وازدادت أحزانهم وكثرت وتوالت مصائبهم وعظمت، وفي زيارة صاحب الزمان ﵇ المعروفة بزيارة الناحية:

(وسبي أهلك كالعبيد وصفدوا في الحديد فوق أقتاب المطيات تلفح وجوههم حر الهاجرات يساقون في البراري والفلوات وأيديهم مغلولة إلى الأعناق يطاف بهم الأسواق فالويل للعصاة الفساق)[1].

فكان سبيهم مصيبة أخرى وكان مجلس يزيد الأشد والأعظم في المصائب والفجائع على قلب محمد وعلي ﵉ وعلى قلوب أئمة الهدى ﵈ وخصوصا زين العابدين علي بن الحسين ﵇ الذي رأى

---

(١) بحار الأنوار، ج٩٨ ص٢٤١.

ذلك بأم عينيه، فهذه عمته زينب ابنة علي وفاطمة عليهما السلام بغير خمار وهذا المجلس يزيد ومجلس الشراب وهذا رأس الحسين ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وهذا يزيد ينكته بمخصرته ويهتف بأشياخه ويعلن كفره.

وأما قوله: (شاء الله أن يراهن سبايا) فإن هذا إخبار عن الغيب لا أن أخذه لهم ليحقق ذلك فما سبيهن إلا بسبب ظلم بني أمية وتعديهم كقتله عليه السلام لا أنه يريد ذلك أو كان يسعى إليه.

وأما الوصية لأخته بحفظ الأطفال والأيتام في كربلاء فهو أمر طبيعي إذ لم يبق أحد من الرجال معهن إلا زين العابدين وهو مسجى عليل قد منعه المرض من الحراك ومع ذلك أوصاهن بطاعته وسماع قوله والانتهاء إلى أمره، نعم إن فخر المخدرات قد شاركت أخاها بتحملها تلك المصائب العظيمة بالصبر عليها والرضا بها وتفويض أمرها إلى الله سبحانه ولكنه أمر آخر.

لقد مثلت قضية سبي ثقل النبوة والإمامة وصمة عار في تاريخ الأمة الإسلامية كقتل ابن رسول الله وسيد شباب أهل الجنة ومصيبة كبرى على نفوس المؤمنين، لها في قلوبهم حرارة لا تنطفئ أبدا حتى يقوم الطالب بدم المقتول بكربلاء عليه السلام.

والخلاصة أن السبب الذي نعتقده لحمل الإمام الحسين عليه السلام نساءه وأطفاله هو دعوة أهل الكوفة ووعدهم له بالنصرة ومن الطبيعي أن يذهب مع أهله إذ أن حركته تستوجب الإقامة في العراق وهذه الإجابة تتفق تماما مع نظريتنا في تحليل الحركة الحسينية على أساس صلح الإمام الحسن عليه السلام ولا يمثل حمل الإمام الحسين عليه السلام نساءه وأطفاله أي مشكلة نظريتنا، بل هي متسقة معها تماما، فحيث كانت حركة الإمام الحسين عليه السلام تجاه الكوفة ضرورية ليقودها ويقف بها في وجه الظلم كان من الطبيعي أن ينتقل مع أهل بيته إليهم بل هو ضروري في مثل ظرفه عليه السلام.

أهداف بني أمية:

ونكتفي بذكر أمرين:

الأول: ما جرى على لسان بني أمية بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام فقد روي عن ابن زياد أنه قال: (يوم بيوم بدر)[١]، وتمثل يزيد بأبيات ابن الزعبرى في قوله: (وعدلناه ببدر فاعتدل)[٢]، وقول

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٥١٥٤.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج١٤، ص٢٨٠.

عمرو بن سعيد بن العاص (وأومأ إلى القبر [قبر النبي صلى الله عليه وآله] قائلا: (يوم بيوم بدر)[١]، وكل ذلك يعني أن قتل الإمام الحسين عليه السلام كان للانتقام من النبي محمد صلى الله عليه وآله لقتلى بدر.

والثاني: ما ذكرته وأفصحت عنه فخر المخدرات زينب بنت محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وابنة علي المرتضى عليه السلام التي حاول بنو أمية إذلال جدها وأبيها بسببها وتشهيرها في البلاد مبداة الوجه.

فقد ذكرت فخر المخدرات عليها السلام أهداف يزيد من قتل الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته فقالت في خطبتها في مجلسه:

(فكد كيدك واسع سعيك وناصب جهدك فوالله لا تمحو ذكرنا ولا تميت وحينا ولا تدرك أمرنا)[٢].

فحددت هدفه في ثلاثة أمور:

الأول: محو ذكرهم.

الثاني: إماتة وحيهم.

الثالث: إدراك أمرهم.

وقد سعى يزيد في تحقيقها وجد واجتهد في ذلك ولكنه لم يستطع ولن يستطيع تحقيقها أبدا وهذا تحد صريح من ابنة النبوة

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد، ج٤، ص٧٢؛ الغدير، ج١٠، ص ٢٤٦.

(٢) بحار الأنوار، ج٤٥، ص١٣٥.

والإمامة لأهداف يزيد وكشف واضح لستار الغيب ببقاء أمرهم ونهاية أمر يزيد.

وهذه الكلمات وإن كانت صاغتها فخر المخدرات في قالب التحدي إلا أنها بينت بذلك أهداف يزيد وبذلك التحدي له أعلنت بأنه لن يستطيع تحقيقها أبدا مهما أوتي من قوة وقدرة وكيد وخدعة كما أنها بينت بذلك أيضا أن هدفه ليس قتل الإمام الحسين عليه السلام فقط بل هدفه أبعد وأخطر وأكبر.

فالأول: هو محو ذكرهم وقد أطلق الذكر في القرآن على الرسول صلى الله عليه وآله وعلى القرآن نفسه فيكون المحتملات في معنى ذكرهم خمسة هي الرسول صلى الله عليه وآله والقرآن والأئمة الأطهار من أهل بيت محمد المختار صلى الله عليه وآله وما ورد في شنهم وخامسها كل ذلك وهو الأقرب.

والثاني: إماتة وحيهم وهو لازم لمحو الذكر وذلك بتحريف القرآن عن مواضعه وطمس أحكام الله سبحانه وتحريفها بل كل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله الذي يتمثل فيه الإسلام وما قتل الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته إلا مصداق لذلك.

وإن يزيد ليعلم أن في قتل الحسين عليه السلام قتلا لرسول الله صلى الله عليه وآله ولأمير المؤمنين عليه السلام، ولذكر الله بل لكل قلب نابض بأحاسيس المجتمع الإسلامي، وقتل الحسين عليه السلام قتل للصلاح والإصلاح،

وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقتل للصلاة والزكاة، بل لكل الشعائر الإسلامية التي كان يجسدها الإمام الحسين عليه السلام.

والثالث: وهو عدم إدراك أمرهم وشأنهم وولايتهم ومقامهم عند الله سبحانه وتعالى وأنهم معدن الرحمة وخزان العلم وأركان البلاد وأبواب الإيمان وأمناء الرحمن ومعادن حكمة الله ومساكن بركة الله وحفظة سر الله وأنهم تراجمة وحي الله وأركان توحيده وأنهم نور الله الذي أبى الله أن يطفئ، وأنى ليزيد أن يدرك ذلك الشأن الرفيع الذي لا يمسه إلا المطهرون ولذلك أراد إذلالهم ظنا منه أنه يستطيع أن ينفيه عنهم ويظهر للناس خلافه منهم.

وما سبي بنات الرسالة وثقل النبوة والإمامة بنات محمد وعلي وفاطمة عليهم السلام وتشيرهن في البلاد على تلك الحالة المزرية ما ذاك إلا محاولة لكسر الهالة القدسية التي جعلها الله لمحمد وأهل بيته الذي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا عليهم السلام. نعم ما ذلك السبي والتشهير إلا محاولة لهدم عظيم شرف النبوة وخطر مقام الإمامة بسبي بنات الرسالة والإمامة مبداة الوجوه مهتوكات الستور تحدوب هن الأعداء من بلد إلى بلد. فذلك البيت الذي عرف في الجاهلية والإسلام بالعفاف والستر والشرف الرفيع وطهارة الذيل، لم تعرف منه زلة، ولم تؤخذ عليه نبزة، ولم تسجل عليه عثرة،

هــو بيــت محمــد وعــلي وفاطمــة، وشرفــه شرف محمــد، وســتره ســتر محمــدﷺ، يــأتي يزيــد لعنــه الله ليهتــك ذلــك الســتر! فــما هتــك إلا ســتر محمــد في أهــل بيتــه، ومــا أراد إلا رســول الله ﷺ والانتقــام منــه، يريــد بــذلك أن يطفــئ نــور الله، ونــور الرســالة والإمامــة، ويــأبى الله إلا أن يتم نوره ولوكره الكـافرون وجـواب ابـن عبـاس عـلى كتـاب يزيـد يـدل على ذلك دلالة واضحة:

(وإن مـن أعجـب الأعاجيـب حملـك بنـات عبـد المطلـب وأطفـالا صـغارا مـن ولـده إليـك بالشـام كالسـبي المجلـوبين، تُـري النـاس أنـك قهرتنا، وأنت تمن علينا، وبنا من الله عليك)[1].

فــإذا الهــدف مــن تشــهيرهن في البلــدان هــو إظهــار قهــر آل محمــدعليهم السلام ومحاولـة لتصـغير شـأنهم وكسـر قدسـيتهم، ومـن هنـا يـتجلى عظـيم شـأن بنـت الرسـالة والإمامـة في بيـان أهـداف يزيـد مـن قتـل الإمـام الحسـين عليه السلام وأهـل بيتـه ومـن سـبي نسـائه وتشـهيرهن بـل أكثـر مـن ذلـك فقـد أماطـت عـن الغيـب سـتاره وعـن المسـتقبل لثامـه بتحـد جريء واضح وصريـح ليزيـد وقوتـه بـل أقسـمت عـلى عـدم تمكنـه مـن تحقيـق أهدافـه بقولهـا: فكـد كيـدك وناصـب جهـدك فـوالله لا تمحـوا

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٥، ص٣٢٥؛ تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٥ مع اختلاف يسير.

ذكرنا الخ. نعم اجمع كيدك يا يزيد وغدرك وظلمك وكل ما أوتيت من قوة فلن تستطيع تحقيق ما تصبو إليه أبدا فإن الله يأبى ذلك فوالله لا تمحو ذكرنا ولا تميت وحينا فهم عدل القرآن باقون ما بقي القرآن ولن يفترقا حتى يردا على رسول الله القيامة كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)[1]، ولن يستطيع يزيد أن يفرق بينهما وإن قتل حسينا ولن يدرك أمرهم وعظم شأنهم ومكانتهم عند الله وإن شهّر نسائهم وأبدى وجوهن وأدخلهن المجالس بعد أن سباهن كسبي العبيد.

وعلى كل فقولها ذلك فيه ثلاث جهات الأول: التحدي الصريح ليزيد وعدم تمكنه من تحقيق ما يصبو إليه.

الثاني: بيان هدفه.

الثالث: بقاء ذكر محمد صلى الله عليه وآله وعلو شأنهم.

ولقد تحقق ما ذكرته عليها السلام مات يزيد وخمل ذكره ومات أمره وذهبت دولته وبقيت عليه تبعته وقبيح فعلته. وبقي وحي محمد عليهم السلام وذكرهم حي متجدد مع تجدد الزمان وبقي ذكر الإمام الحسين عليه السلام وخلد الإمام الحسين عليه السلام في تاريخ البشرية والإنسانية وارتفع ذكره عليه السلام على المنابر إجلالا وإكبارا له لأن الحسين عليه السلام رفع ذكر الله

(١) مسند أحمد، ج٥، ص ١٨٢ و١٨٩؛ كنز العمال، ج١، ص٤٤ وغيرهما.

وأعـلاه ولا عجـب أن يحمـل ذكـر يزيـد وبنـي أميـة لتكـبرهم عـلى الله جلت قدرته وعلى رسوله ﷺ ولمعاداتهم أوليائه.

وفي الختام ننبه على مـا ذكـره ابـن عبـاس مـن هـدف يزيـد في أخـذه النسـاء والأطفـال سـبايا حيـث قـال: (تـري النـاس أنـك قهرتنـا وأنـك تمـن علينـا) فقـد ذكـر أمـرين يريـد يزيـد تحقـيقهما مـن السـبي لمخـدرات محمـد وعـلي ﷺ الأول: تـري النـاس أنـك قهرتنـا الثـاني: تـري النـاس أنك تمن علينا.

أمـا الأول فقـد صرح بـما هـو أدهـى مـن قهـر آل محمـد ﷺ وهـو التصـريح بالانتقـام لقـتلى مشـركي بـدر بارتجازه شـعر ابـن الـزعبرى في قوله:

قـد قتلنـا القـرم مـن سـاداتهم وعـــدلناه ببـــدر فاعتـــدل

وأمـا الثـاني فهومـا أبـاه الإمامـان الحسـنان عليهما السلام حيـث قـال الحسن عليه السلام: (والله لـو قاتلـت معاويـة لأخـذوا بعنقـي حتـى يـدفعوني إليـه سـلما فـوالله لأن أسـالمه وأنـا عزيـز خـير مـن أن يقتلنـي وأنـا أسـيره أو يمن علي فتكون سـبة عـلى بنـي هاشـم إلى آخـر الـدهر ومعاويـة لا يـزال يمن بهـا وعقبـه عـلى الحـي منـا والميـت)، وقـال الإمـام الحسـين عليه السلام: (ألا وإن الـدعي ابـن الـدعي قـد ركـز بـين اثنتـين بـين السـلة أو الذلـة وهيهات منا الذلة).

كما أن ابن عباس أجاب عن الثاني بأن المنة لمحمد صلى الله عليه وآله حيث لم يصل إلى ما وصل إليه إلا بمحمد وعلي صلى الله عليه وآله.

**

الفصل السادس

المنهج بعد الحسين عليه السلام:

اختلف منهج أهل البيت عليهم السلام في أسلوب الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام عما قبله.

فمن الملاحظ أن أهل البيت عليهم السلام بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام ابتداءا بالإمام زين العابدين وانتهاءا بالإمام أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليهم السلام لم يقودوا أي حركة ولم يتزعموا أي نهضة بالسيف والقوة للإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بل يمكن القول بأنهم لم يسعوا للأخذ بأزمّة الأمور في الدولة الإسلامية، ولعل هذا الأمر واضح لا إشكال فيه بل ربما تجد ما هو أكثر من ذلك فيما هو موروث من فكر أهل البيت عليهم السلام وأحاديثهم.

والمهم هنا لماذا ترك أهل البيت عليهم السلام القيام بالسيف والعمل على إرجاع الخلافة إلى موضوعها، والإصلاح الديني والاجتماعي بالقوة؟

لماذا لم ينهض زين العابدين عليه السلام ضد بني أمية لا سيما وأنه الموتور بأبيه وأهل بيته وقد عرضت عليه المساعدة في ذلك بل طلب منه قيادة بعض الثورات التي ظهرت ضد بني أمية؟

فهل غير أهل البيت عليهم السلام منهجهم وأسلوبهم في التعامل مع الأوضاع القائمة؟

وللإجابة على ذلك لا بد لنا من التذكير ببعض الأمور التي سبقت مقتل الإمام الحسين عليه السلام لما لها من الأهمية في وضوح الجواب هنا.

فمن المعلوم أن أهل البيت عليهم السلام دخلوا في تجارب متعددة مع المجتمع الإسلامي ولا سيما مع حاضرته آنذاك الكوفة.

ولكنها للأسف كانت تجارب صعبة ومريرة ودامية.

أسفرت الأولى عن اغتيال أمير المؤمنين عليه السلام بعد تجرعه الغصص والمرارة.

والثانية: عن الغدر بالإمام الحسن عليه السلام وطعنه وعرض تسليمه على معاوية وأخيرا باغتيال معاوية إياه.

وأما الثالثة فقد كانت القاصمة والموجعة وهي الفاجعة الكبرى والمصيبة العظمى التي لم يعرف لها التاريخ مثيلا وهي التي أسفرت عن مقتل سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام وسبي حريمه.

وهذه التجارب الثلاث كان عنوانها القيام بالسيف والإصلاح بالقوة.

وكانت الثالثة بالخصوص أكثر الحركات الثلاث إثارة للجدل ليس من جهة أهل البيت عليهم السلام أنفسهم بل من جهة المجتمع

الإسلامي واستعداده لتحمل أعباء الإصلاح ومدى صدقه في دعواته ووعوده وإمكان الاعتماد عليها وعدمه.

وقد تقدم أن الكثير ذهب إلى عدم استعداد المجتمع الإسلامي عامة وعدم صدق المجتمع الكوفي خاصة في وعده للإمام الحسين عليه السلام بالوقوف إلى جانبه وأن ما أبداه ذلك المجتمع من الاستعداد والتفاني لا واقع له ولا مصداقية.

وقد استفاد أولئك هذا الاستنتاج من التجربتين اللتين راح ضحية أولاهما أمير المؤمنين عليه السلام، وكان ضحية ثانيتهما الإمام أبو محمد الحسن عليه السلام.

ولم يكن هذا الاستنتاج بغريب على الإمام الحسين عليه السلام فقد عايش كلا التجربتين وعلى هذا فلوكنا نحن وهاتين التجربتين لما كان هناك وجه ومجال للوثوق بأهل الكوفة مطلقا فإن المؤمن لا يلسع من جحر مرتين.

ولكن حيث دخلت الكوفة تحت الحكم الأموي وعاشت مع حكمهم تجربتها المؤلمة وخرجت منها ناقمة على الأمويين وحكمهم، واستصرخت الإمام الحسين عليه السلام ودعته وأصرت واستمرت فيها صح تصديقهم والركون إليهم.

وقد تقدم أن ذلك موجب للوثوق بالمجتمع الكوفي بعد أن كان موتورا من بني أمية وليس هناك من يتصور وقوف المظلوم إلى جانب ظالمه مهما كان الأمر فإن ذلك بعيد جدا، وأبعد منه وقوفه ضد من استصرخه واستنجد به، ومع كل ذلك فإن الإمام الحسين عليه السلام لم يكتف بما أنتجته التجربة الكوفية مع الحكم الأموي، ولم يعتمد على كتابات الكوفة ورسلها اعتماد كليا بل أرسل مسلم بن عقيل لينظر الوضع عن كثب ويكتب للإمام عليه السلام بتقييمه ونظره.

وقد قلنا سابقا بأن تجربة الكوفة ومعاناتها كان ينبغي لها أن تسفر عن قوة غاضبة ونفوس ناقمة وقنبلة موقوتة بهلاك معاوية وقيام الإمام الحسين عليه السلام وهذا فعلا ما وجده مسلم وكتب به للإمام عليه السلام.

فكانت النتائج متطابقة فالتجربة ونتيجتها والكتب التي أرسلت والرسل التي وصلت ووعودها وما رآه مسلم وعايشه وكتب به للإمام عليه السلام كلها تطابقت واتفقت على صدق تلك الوعود.

إلا أنه ويا للأسف أخطأ المجتمع الكوفي حظه، وانقلب على عقبه، ووقف إلى جانب عدوه وظالمه، بصورة لم يعرف لها التاريخ مثيلا، بل طلب من الإمام عليه السلام النزول على حكم عدوهم وعدوه، بل قاتلوه وقتلوه.

هـذا المجتمـع الـذي كـان ينبغـي لتلـك التجربـة أن تصـنع منـه جيشا غاضبا مدمرا لا تقهره الجيوش ولا توقفه الحصون.

هـذا المجتمـع الـذي يفـترض انـه عـرف الحـق وأهلـه فلجـأ إلـيهم في تلـك السـاعات الحاسـمة ينقلـب عـلى عقبيـه ويقـف ضـد الإمـام الحسـين عليه السلام فلـماذا إذن تلـك الاسـتغاثات وذلـك الاستصـراخ للإمام عليه السلام؟

فهل كانت لأجل الغدر به؟

أم كانت بسبب المعاناة والظلم والجور؟

قلنـا سـابقا لم يكـن ذلـك لأجـل الغـدر وإن كـان هنـاك مـن المنـافقين مـن كـان ذلـك هدفـه إلا أن الظلـم والجـور واقـع عاشـه المجتمـع الكـوفي مـع بنـي أميـة وهمـا الـدافعان الأساسـيان للمجتمـع الكوفي إلى استصراخ الإمام عليه السلام.

وإذا كان الأمر كذلك فلماذا انقلب؟

ولماذا سل سيفا على أهل البيت هولهم؟

ولمـاذا أجـج نـارا عـلى آل محمـد اقتـدحها آل محمـد عـلى عـدوه وعدوهم؟

لماذا أصبحوا إلبا لأعدائهم على أوليائهم؟

مع أنهم لم يبق لهم في بني أمية أمل ولا مطمع إلا خسيس العيش من الدنيا أنالوهم ولا كان من الإمام الحسين عليه السلام ما يخالف كتاب الله أوسن رسوله صلى الله عليه وآله وليس لأحد منهم طلبة. فلماذا كل ذلك إذا؟

إنه لأجل الحرام من الدنيا والطمع في خسيس العيش!

والحقيقة أن المجتمع الكوفي تغير تغيرا حقيقيا بسبب ظلم الأمويين وكان في تلك الفترة بعد هلاك معاوية أبدى استعدادا حقيقيا للوقوف إلى جانب الإمام عليه السلام وذلك ما لمسه مسلم منه إلا أن ذلك قبل أن يبتلي بالترهيب والترغيب.

أما وقد ابتلى بهما من ابن زياد انقلب على عقبيه وغدر بالإمام الحسين عليه السلام وهذا ما لخصه الإمام الحسين عليه السلام في كلمته الخالدة: (الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درت معائشهم فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون)[1].

إذن السبب الحقيقي ليس هو عدم توافر دواعي الوقوف إلى جانب أهل البيت عليهم السلام ضد الأمويين أو عدم وجود الظرف المناسب لذلك.

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٨٣.

بـل السـبب الحقيقـي هـو الطمـع في الـدنيا وخـوف المـوت وضـعف الانـتماء الـديني فـإن انـتماء النـاس إلى ديـنهم إنـما هـو في حـال الرخـاء دون الشـدائد، أمـا فيهـا فـإنهم يبيعـون ديـنهم حتـى بالخسـيس من العـيش ويتخلـون عـن مبـادئهم ويغـدرون بقـادتهم وسـادتهم لأجـل الطمع في حطام الدنيا.

والمهم الذي نريد أن نصـل إليـه هنـا مـن إعـادة ذلـك والتـذكير بـه هـو أن ذلـك المجتمـع - مـع تلـك الحـال التـي صـار فيهـا مـن القتـل والخـوف والتشـريد واستصـراخه الإمـام الحسـين عليه السلام واسـتنجاده بـه والظـرف المناسـب لحركتـه ونجاحهـا سـواء كـان مـن جهـة هـلاك معاويـة وشخصـية يزيـد أومـن جهـة شرط الإمـام الحسـن عليه السلام وخـروج الجميع مـن البيعـة وقيـام الحسـين عليه السلام- لمـا تعـرض للترغيـب والترهيـب غدر وانقلب.

فهـل لأهـل البيـت عليهم السلام أن يثقـوا بـه مـرة أخـرى أو بغـيره مـن المجتمعات؟

وهل سيصبح أكثر استعدادا ووفاءا؟

ثـم إنـه هـل هنـاك مجتمـع أحسـن حـالا أو أكثـر إدراكـا لأحقيـة أهـل البيـت عليهم السلام أو أكثـر تهيئـة واسـتعدادا مـن المجتمـع الكـوفي يمكـن لأهل البيت عليهم السلام أن يعتمدوا عليه أو يركنوا إليه؟

فبعد أن عاش حكم أمير المؤمنين عليه السلام ورأى عدله وورعه وتقواه، وعاش حكم بني أمية فرأى سيفهم يقطر من دمه، ورأى ظلمهم وجورهم ونفر منهم، وبعد تهيئته للخروج من حكمهم ومن بيعتهم بشكل قانوني بسبب شرط الحسن عليه السلام وبعد أن توفرت كل أسباب النجاح لإسقاط الحكم الأموي، وحصل الظرف المناسب للتحرك ضده فقام الإمام الحسين عليه السلام بعد كل ذلك تخلى أهل الكوفة عن أهل البيت عليهم السلام وغدروا بهم وانقلبوا عليهم ووقف ضدهم بل قاتلهم وقتلوهم.

فهذا المجتمع ومع كل تلك الأمور تخلى عن قضيته فما الظن بالمجتمعات الأخرى التي لا تعرف حقا لأهل البيت عليهم السلام أو التي لم تبد استعدادا للوقوف إلى جانبهم أو أبدت ولم تكن صادقة فيه.

والمهم أنه وبعد هذه التجربة الدامية لا يمكن أن يثق أهل البيت عليهم السلام بذلك المجتمع ووعوده مرة أخرى بعد أن غدر بالإمام الحسين عليه السلام ولا بغيره خصوصا وأن أكثر المجتمعات الأخرى لا ينتمون إلى أهل البيت عليهم السلام ولا يدينون لهم بالولاء والذي ينتمي ويعتقد ولايتهم قولا وعملا قليل لا يفون للقيام بهم، ولهذا انتهج أهل البيت عليهم السلام في الدعوة إلى الله سبحانه نهجا آخر استبعد منه السعي إلى إرجاع حقهم في الخلافة، نعم لقد ترك أهل البيت عليهم السلام

القيام بالسيف للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو إصلاح الأمة وما فسد منها بالقوة وأرجئ ذلك إلى قيام صاحب الزمان المهدي بن الحسن عليه السلام.

وابتدأ ذلك زين العابدين عليه السلام حيث رفض أو عرض بعد قتل الإمام الحسين عليه السلام وذلك لما وصل هو وعماته وأخواته ومن كان معه من السبي إلى الكوفة وكثر الباكون لأجلهم وبعد خبطة عمته أم كلثوم، قام قائما فحمد الله وأثنى عليه وذكر النبي صلى الله عليه وآله وصلى عليه ثم قال:

(أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

أنا ابن المذبوح بشط الفرات من غير ذحل ولا تراث أنا ابن من انتهك حريمه وسلب نعيمه وانتهب ماله وسبي عياله أنا ابن من قتل صبرا وكفى بذلك فخرا أيها الناس ناشدتكم بالله هل تعلمون أنكم كتبتم إلى أبي وخدعتموه وأعطيتموه من أنفسكم العهد والميثاق والبيعة وقاتلتموه وخدعتموه؟

فتبا لما قدمتم لأنفسكم وسوأة لرأيكم بأية عين تنظرون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله إذ يقول لكم (قتلتم عترتي وانتهكتم حرمتي فلستم من أمتي).

قال: فارتفعت أصوات الناس من كل ناحية، ويقول بعضهم لبعض هلكتم وما تعلمون.

فقال عليه السلام:

(رحم الله امرا قبل نصيحتي وحفظ وصيتي في الله وفي رسوله وأهل بيته فإن لنا في رسول الله صلى الله عليه وآله أسوة حسنة.

فقالوا بأجمعهم:

نحن كلنا يا بان رسول الله سامعون مطيعون حافظون لذمامك غير زاهدين فيك ولا راغبين عنك، فمرنا بأمرك يرحمك الله فإنا حرب لحربك وسلم لسلمك لنأخذن يزيد ونبرأ ممن ظلمنا).

وهنا تجد العرض الصريح من أهل الكوفة على الإمام زين العابدين عليه السلام نعم عرضوا الوقوف إلى جانبه ضد يزيد وضد من ظلمهم وقد عرضنا خطبته تامة ليلحظ خلوها من أي دعوة منه للقيام ضد يزيد، نعم وبخهم فيها على غدرهم وعدم الوفاء بوعودهم، فأحسوا بالندم لغدرهم وتخاذلهم، وأنى يفيد الندم وقد تخلوا عن الإمام الحسين عليه السلام وغدروا به وقتلوه، نعم بعد أن وبخهم عرضوا عليه طاعتهم وأبدوا له استعدادهم ولكنه عليه السلام أجابهم على الفور فقال:

(هيهات. هيهات أيها الغدرة المكرة حيل بينكم وبين شهوات أنفسكم، أ تريدون أن تأتوا إليّ كما أتيتم إلى أبي من قبل! كلا ورب الراقصات، فإن الجرح لما يندمل، قتل أبي عليه السلام بالأمس وأهل بيته معه ولم ينس ثكل رسول الله وثكل أبي وبني أبي ووجده بين لهاتي ومرارته بين حناجري وحلقي وغصصه يجري في فراش صدري ومسألتي أن لا تكونوا لنا ولا علينا)[1].

وإذا لاحظنا ظروف العرض والحال التي كان فيها يمكن لنا القول إنه يمكن أن تحصل هناك ثورة عامة قوية تؤججها العاطفة والإحساس بالذنب والتقصير والندم ويؤيدها وجود العدو المشترك وهذا الأمر قد ظهر بجلاء في ثورة التوابين التي قادها سليمان بن صرد وكذا في خروج المختار نجد الجميع كان خروجهم عنوانه الطلب بثأر الإمام الحسين عليه السلام وقد وجدوا أعوانا لذلك.

والمهم هنا هذا السؤال هل ينبغي للإمام زين العابدين عليه السلام أن يثق بأولئك مجددا بحيث يقودهم ويتزعم حركتهم؟

وأعتقد أن الجواب واضح وظاهر أنه لا ينبغي ولا يصح بل لا يمكن للإمام عليه السلام أن يثق بأي وعود جديدة فلذلك أجابهم في الحال (هيهات، هيهات، أيها الغدرة المكرة حيل بينكم وبين

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٥، ص١١٣.

شهوات أنفسكم أتريدون أن تأتوا إلي كما أتيتم إلي أبي من قبل كلا ورب الراقصات).

وهذا الرد واضح فلا ينبغي لأي عاقل أن يثق بعهودهم أو يركن إلى وعودهم أو يعتمد عليهم بعد أن غدروا بالإمام الحسين عليه السلام، ولهذا قلنا في الإشكال على نظرية السيد الصدر تنزلا بأنه وإن أوجد قتل الإمام عليه السلام هزة في وجدان المجتمع المسلم إلا أن هذه الهزة لا فائدة فيها بعد أن قتل القائد والمنقذ، ونضيف هنا أمرين:

الأول هو: أن أول النتائج لقتل الإمام الحسين عليه السلام هو انعدام ثقة أهل البيت عليهم السلام في المجتمع الإسلامي وفي وعوده ولا سيما المجتمع الكوفي.

والثاني: هو رفض الإمام السجاد عليه السلام عرض المجتمع الكوفي وقيادته، ودليل كلا الأمرين قول الإمام السجاد عليه السلام (أتريدون أن تأتوا إلي كما أتيتم إلى أبي من قبل).

ولهذا لم يتزعم أي حركة أو ثورة ضد بني أمية لا يمكن له الاعتماد على المجتمع الإسلامي عامة لتخليه عن واجبه تجاه قضية الإسلام وعن المجتمع الكوفي خاصة لغدره بأبيه ونكثه بيعته فلا يمكن الركون إلى وعودهم أو الوثوق بعهودهم أبدا مهما أعطوا من

مواثيق وعهود، كما أن الظاهر أن المحرك الأساسي لتلك الثورات التي هو الإحساس بالندم على التفريط في أهل البيت ﭺ والتخاذل عنهم والغدر بهم وهوما تقدم من قول بعضهم لبعض هلكتم وما تعلمون، وبعبارة أخرى هي ردة فعل وقتية سريعا ما تزول لا انها إدراك جديد لأحقية أهل البيت ﭺ أو اعتقاد لزوم تغيير الواقع الخارجي وإعادة الحق إلى أهله فكل ذلك كان معلوما سابقا لديهم ومع ذلك لم يفوا لأهل البيت ﭺ فكيف يمكن الوثوق بهم ثانية، ولذلك نجد أن الهدف في تلك الحركات هو قتل من شارك في قتل الإمام الحسين ﮄ ولم يكن الهدف بشكل مباشر تفويض الحكم الأموي وإرجاع الأمر لآل محمد ﭺ وهذا يؤيد كون حركاتهم رد فعل قصيرة الأمد والبعد، بل لنا أن نقول إنه حتى ولوكان هدفهم هو إرجاع الأمر لآل محمد ﭺ والانضواء تحت قيادتهم فلا يوجد عاقل يركن إلى وعودهم أو يصدقهم ويثق بهم بعدما غدروا بالإمام الحسين ﮄ بالأمس وتخاذلوا عنه فقد فات الأوان وسبق السيف العذل. وسوف نعرض فيما بعد نظر أهل البيت إلى بعض الحركات والثورات وموقفهم منها.

وبهذا الرفض من الإمام زين العابدين ﮄ بدأ به منهجا آخر في البناء الفكري للمجتمع الإسلامي.

علم الإمام السجاد عليه السلام أن المجتمع الإسلامي أبعد ما يكون من الله سبحانه، فالقلوب قاسية لا خشية فيها من الله، والنفوس ميتة لا إحساس عندها، والدين لعق على الألسن فلا صدق في وعد ولا وفاء بعهد، ولا خوف من وعيد وعذا ب ولا رجاء في وعد وثواب، فلا طمع في جنة ولا خوف من نار، فالدنيا همهم والدرهم والدينار دينهم والطمع ديدنهم، فتحمل أعباء الدعوة إلى الله سبحانه بقوله وفعله فكان مثال الانقطاع لله سبحانه والخوف منه، وجسد ذلك للعالم الإسلامي في خشيته من الله وعبادته حتى عرف بزين العابدين، ونتج عن ذلك زبور آل محمد عليهم السلام الصحيفة السجادية، كان عليه السلام مثالا للتقى والورع يقتدى به يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، يحن على الفقراء والمساكين، وما افتقد أهل المدينة صدقة الليل إلا بموته، كان صائما نهاره قائما ليله هذا ومصيبة أبيه وأهل بيته عليهم السلام مائلة بين عينه حتى روي عن الصادق عليه السلام أنه بكى على أبيه أربعين سنة.

وسار الأئمة الطاهرون عليهم السلام بعده على هذا المنهج مبتعدين كل البعد عن تزعم أي حركة سياسية أو عسكرية لتغير الحكم القائم أو إعادة الحق إلى أهله وإرجاع الأمر إلى نصابه.

بل اتخذوا طرقا جديدة ومناهج أخر وأساليب متعددة في الدعوة إلى الله سبحانه بحسب مقتضيات كل زمان، وضربوا للمسلمين أروع الأمثال في الانتماء إلى الدين، والانقطاع إلى الله رب العالمين سبحانه عند ما غلب على المسلمين الطمع وحب الدنيا، وعندما لانت القلوب ورُغب فيما عند الله سبحانه فتحوا خزائن علومهم، وبثوا معارفهم ونشروا أحكامهم وفقههم، وأثبتوا إمامتهم بطرق متعددة، فبالعقل تارة، وبالشرع أخرى، وبالمعجز ثالثة، وكل ذلك في حال مد وجزر حسب ما تقتضيه الأوضاع السائدة والنظم القائمة.

فكانت دعوتهم إلى الله سبحانه بورعهم وتقواهم وزهدهم وعلمهم، فنشروا العلم ودعوا الناس إلى التفقه في الدين والعمل بالعلم والمعرفة فتخرج من مدارسهم آلاف العلماء في شتى العلوم وبذلك عرف شأنهم وفرضوا إمامتهم وأثبتوا ولايتهم.

وربما أدعي أن لأهل البيت عليهم السلام تحركات سياسية سرية تحت الستار ضد الحكم الأموي والعباسي. فقد قيل: إنهم وإن أعلنوا التقية وأن خلافها ليس من مذهبهم وأظهروا التوجه إلى نشر العلم والفقه والابتعاد عن الحكم إلا أن ذلك في الظاهر ولكن في السر لهم تحركات كانوا يدبرونها ضد تلك الأنظمة.

ولكن هذا القول ليس إلا مجرد دعوى لا واقع لها إلا في مخيلة أصحابها، وإلا فلا يوجد دليل واحد يدل على أن أهل البيت عليهم السلام كانوا يتحركون سرا تحركا سياسيا أو عسكريا لتغيير أنظمة الحكم القائمة، كما أنه لم يرد حتى نص واحد أنهم دعوا أحدا إلى التحرك العسكري وإن حاول البعض أن يستند لهم في شرعية حركته إلا أن المهم أن أئمة أهل البيت عليهم السلام بعد الإمام الحسين عليه السلام لم يتزعموا أي حركة ولم يقودوا أي ثورة ولم يتقدموا أي جيش على خلاف ما كان عليه الحال مع أمير المؤمنين والإمامين الحسن والحسين عليهم السلام فقد قادوا الجيوش ودعوا الناس لنصرتهم والوقوف معهم.

حركة زيد ومنهج أهل البيت عليهم السلام:

لعل أهم الحركات التي حازت اهتمام أئمة أهل البيت عليهم السلام هي حركة زيد بن الإمام زين العابدين عليه السلام بخلاف بقية الحركات ولا سيما ما كن منها بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام فلم تجد لصداها أذن صاغية من أئمة أهل البيت عليهم السلام بل لا يمكن لها أن تجد منهم الرعاية أو التوجيه والقيادة، وذلك لما ذكرناه قبل قليل من عدم إمكان الاعتماد على وعود المجتمع الإسلامي عامة، والمجتمع

الكوفي خاصة بعد الغدر بالإمام الحسين عليه السلام، ولذلك لم يتبنوا أي واحدة منها، وسوف نشير إلى بعض الجهات في بعضها.

وأما حركة زيد فحيث إنها من داخل بيت آل محمد عليهم السلام فمن الطبيعي أن تجد اهتماما خاصا من أئمة أهل البيت عليهم السلام وتكون محل نظر إلا أنه مع جلالة زيد بن الإمام زين العابدين عليه السلام ورفعة قدره وعلو شأنه، ومع ما ورد المدح فيه، من أنه من علماء آل محمد عليهم السلام وأنه لو ظفر لوفى وأعاد الحق إلى أهله، فإنه لم يرد في رواية من روايات أهل البيت عليهم السلام الدعوة إلى حركته أو ان حركته كانت بأمر من الأئمة عليهم السلام بل على العكس من ذلك، فقد كان عدم وفاء أصحابه له متوقعا ويكاد يكون مقطوعا به، وأن يحصل له ما حصل لغيره من التخاذل عنه عند الوثبة والغدر به عند الشدة، فإذا كانوا غدروا بالإمام الحسين مع عظيم شأنه، وشدة حالهم مع بني أمية ومع ذلك تخاذلوا عنه، ووقفوا مع عدوهم وعدوه فما بالك بغيره ممن لا يقاس به، ولذلك روي عن صادق الأئمة عليهم السلام أنه قال له عند استشارته في الخروج: (إن رضيت أن تكون المقتول المصلوب بالكناسة فشأنك)[1]، وهذا في الواقع إخبار عن قتله وما سيؤول له

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج٢، ص ٢٢٥.

أمره، وذلك فعلا ما حصل فقد غدر به من وعده النصر، فبعد أن بايعه خمسة عشر ألف لم يخرج معه إلا ثلاثمائة أو أقل، وقتل وصلب بالكناسة كما أخبره الصادق عليه السلام.

نعم هناك دعوى بالإذن لزيد في الخروج، إلا أننا لم نجد دليلا عليها، كما أن أصحابها لا يدعون وجود نص صريح عليها، وأهم ما ذكر كدليل على تلك الدعوى هوما ورد من كون زيد من علماء آل محمد وغيرها من الروايات المادحة لزيد، ولازم هذا المدح وجود الإذن، إذ يستبعد معه خروجه من دون إذن، ومن الواضح أن هذا الدليل اعتمد على فهم التلازم بين المدح ووجود الإذن، إذ لو لم يكن الإذن موجودا لما صح مدح زيد.

وهذا المقدار ليس دليلا على وجود الإذن، إذ من المحتمل قويا ان يكون زيد قد فهم الإذن اجتهادا من قول الإمام الصادق عليه السلام: (إن رضيت أن تكون المقتول المصلوب بالكناسة فشأنك)، ويؤيد هذا الاحتمال بل يرجحه إن لم يعينه جواب زيد لمؤمن الطاق بعد احتجاجه عليه لعدم خروجه معه فقد قال له: (والله لئن قلت ذلك فقد قال لي صاحبك بالمدينة أني أقتل وأصلب بالكناسة وأن عنده

لصحيفة بـذلك فيهـا صـلبي وقـتلي)[١]، فالظـاهر أنـه أراد أن يخـبر مـؤمن الطاق أنه أعلـم الإمـام الصـادق عليه السلام بخروجـه فـأخبره بـذلك وأنـه فهـم

---

(١) وقد ذكر الرواية بتمامها السيد الخوئي في معجمه ولأهميتها نذكرها هنا على طولها، الكافي،ج١، باب الاضطرار إلى الحجة، الحديث ٥، عن عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن عيسى عن علي بن الحكم عن أبان قال: أخبرني الأحوال ان زيد بن علي بن الحسين عليه السلام بعث إليه وهو مستخف قال: فأتيته فقال لي: يا أبا جعفر ما تقول إن طرقك طارق منا أتخرج معه؟ قال: فقلت له: إن كان أباك أو أخاك خرجت معه، قال: فقال لي: فأنا أريد أن أخرج أجاهد هؤلاء القوم فاخرج معي قال: قلت: لا ما أفعل جعلت فداك قال: لي أترغب بنفسك عني؟ قال: قلت له: إنما هي نفس واحدة فإن كان الله في الأرض حجة فالمتخلف عنك ناج والخارج معك هالك، وإن، لا تكن لله حجة في الأرض فالمتخلف عننك والخارج معك سواء قال: فقال لي: يا أبا جعفر كنت اجلس مع أبي على الخوان فيلقمني البضعة السمينة ويبرد لي اللقمة الحارة حتى يبرد شفقة علي ولم يشفق علي من حر النار إذن أخبرك بالدين ولم يخبرني به! فقلت له: جعلت فداك من شفقته عليك من حر النار لم يخبرك خاف عليك أن لا تقبله فتدخل النار، وأخبرني أنا فإن قبلت نجوت وإن لم أقبل لم يبال أن أدخل النار، ثم قلت له: جعلت فداك أنتم أفضل أم الأنبياء؟ قال: بل الأنبياء قلت: يقول يعقوب ليوسف: (يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا) لم لم يخبرهم حتى كانوا لا يكيدونه ولكن كتمهم ذلك، فكذلك أبوك كتمك لأنه خاف عليك قال: فقال: أما⇦

من قوله: (إن رضيت، فشأنك) الإذن في الخروج ويؤيد هذا ما ورد في الخبر المتقدم عن الإمام الرضا عليه السلام من استشارته الإمام الصادق عليه السلام في الخروج وجواب الصادق له، هذا أولا.

وثانيا: أن زيدا نفسه لم يدع أمر الإمام عليه السلام له أو الإذن الصريح له.

وثالثا: أن الإمام الصادق عليه السلام نفسه لم يؤنب أو يوبخ الطاقي على عدم استجابته له وعدم نصرته، بل نقول إن قول الإمام عليه السلام له في آخر الرواية: (أخذته من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوق رأسه ومن تحت قدميه ولم تترك له مسلكا يسلكه)، تأكيد وتأييد لصحة احتجاجه عليه، وتمام حجته خصوصا وأن ما ذكره من الوجه والسبب في عدم نهي الإمام عليه السلام له والسكوت عنه فيما فهمه صحيح، بدليل أن الإمام لم يرده أو يشكل عليه أو يبين خطأه، فلو سكت الإمام لكان ذلك كافيا للدلالة على صحة

⇦ والله لئن قلت ذلك، لقد حدثني صاحبك بالمدينة أني أقتل وأصلب وأن عنده لصحيفة فيها قتلي وصلبي فحججت فحدثت أبا عبد الله عليه السلام بمقالة زيد، وما قلت له، فقال لي أخذته من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوق رأسه ومن تحت قدميه، ولم تترك له مسلكا يسلكه). قال السيد الخوئي: الرواية صحيحة السند (معجم رجال الحديث، السيد الخوئي، ج٧، ص ٣٥٤)، عن الكافي.

احتجاجه كيف وقد أشاد بـه وأيـده فيكـون مـا ذكـره مـؤمن الطـاق تامـا لا أن الإمام عليه السلام أراد بذلك حسن المناظرة كما قال السيد الخوئي.

وعليـه فالوجـه في خـروج زيـد هـو قطعـه الشخصـي وفهمـه رضـا الإمـام عليه السلام ولعـل قولـه لمـؤمن الطـاق إذن أخـبرك بالـدين ولم يخبرني بـه أراد أن يخـبره بعلمـه بـالحكم في المقـام مـن لـزوم كـون القيـام بقيـادة المعصـوم أو إذنـه، ولـذلك أخـبره بقـول الإمـام الصـادق عليه السلام وكأنـه يقـول لقـد أخـبرت الإمـام عليه السلام وأجـابني بهـذا الجـواب ومنـه فهمت الإذن ولهـذا كـان فهمـه حجـة عليـه لا حجـة لـه عـلى غـيره، كـما أن زيـدا ذكـر لـه مـا قالـه الصـادق عليه السلام ولم يـذكر لـه أمـرا أو إذنـا منـه، ولوكان هناك إذن لاحتج به على مؤمن الطاق وألزمته به.

وأما دعوى أن أمر (الإذن من الأسرار التي لا يجوز إظهارها)[1] فهـي مبينة على دعوى وجود الإذن الصـريح ولا دليل عليه. هذا أولا.

---

(١) معجم رجال الحديث، السيد الخوئي، ج٧، ص ٣٥٥، وقد أصرّ السيد الخوئي على استفادة الإذن وأن مؤمن الطاق لم يفهم من زيد ذلك وأن قول الصادق عليه السلام أخذته إلخ أراد به حسن المناظرة لا القدح في زيد وهذا التوجيه كما ترى خلاف الظاهر إذ ظاهرها صحة احتجاجه وتمام حجته، ولولا ذاك لقال له مثلا فهلا أجابك بكفاية الإذن، نعم الرواية لا تدل على الذم والقدح في زيد لا أنها تدل على الإذن كما بينا في الأصل.

وثانيا: أن كون الإذن من الإسرار التي لا يجوز إظهارها حتى لمثل مؤمن الطاق مع دعوته للخروج معه ليست إلا مجرد دعوى أخرى لا دليل عليها فعدم جواز إظهار الأسرار إنما هو عن عامة الناس لا عن الخواص مثل مؤمن الطاق.

ثالثا: أن زيدا كما وثق من الطاقي فأخبره بخروجه فما هو المانع أن يخبره بالإذن له خصوصا بعد احتجاجه عليه وإلزامه فكما أمنه على نفسه وسره وأخبره بعزمه على خروجه فمن الأولى أن يخبره بإذن الإمام الصادق عليه السلام لو كان، وشرعية خروجه ولو بأن يشترط عليه كتمانه، وعلى أقل تقدير أن يخبره أن لديه ما لا يستطيع أن يكشفه له.

رابعا: أن مسألة الخروج مع أي شخص مهما كان قربه من أهل البيت وعلو قدره مسألة تقرير مصير، فلا بد وأن يكون الخارج معه على بينة واضحة من أمره فلا يكفي احتمال وجود الإذن أو فرضية سريته عن العلم به خصوصا بعد كون إذن الإمام عليه السلام شرط للقيام والنصرة.

خامسا: قول الإمام الصادق عليه السلام في حديث الإمام الرضا عليه السلام بعد قوله فشأنك قال: (فلما ولى قال جعفر بن محمد: ويل لمن سمع واعيته فلم يجبه) يدل على ما ذكرناه وذلك أنه قال: فلما ولى قال ويل

لمن سمع واعيته فلم يجبه ولم يخاطبه بذلك ولوكان يريد أن يأذن له بالخروج لقال له: ويل من استنصرته فلم ينصرك أوقال ويل لمن استنصره فلم ينصره، ولأحتج به زيد على مؤمن الطاق.

سادسا: أنه لوكان هناك إذن صريح بالخروج فماذا لم يبينه الإمام الرضا عليه السلام كما بين تلك المحادثة فاحتمال الخطر من بيانه قد زال بزوال دولة بني أمية وعليه فلا دليل على الإذن الصريح من الإمام عليه السلام.

أضف إلى ذلك معرفة الإمام الصادق عليه السلام بأهل زمانه وعدم وفائهم وشدة بلائه وحديث الخراساني واختبار ولايته شاهد على ذلك بل مانع من الإذن.

وأما ما ذكر من التلازم بين المدح والإذن فغير تام وذلك:

أولا: إن المدح المذكور متأخر عن دعوة زيد مؤمن الطاق للخروج معه فلا يفيد الطاقي أومن كان في وقته.

وثانيا: أنه لا تلازم بين المدح والإذن وذلك أن هنا احتمال آخر وهو فهم زيد الإذن اجتهادا من قول الإمام عليه السلام (إن رضيت أن تكون المقتول المصلوب بالكناسة فشأنك) ومن الواضح أن فهم زيد شيء وأمر الإمام عليه السلام أو إذنه شيء آخر فالمدح بلحاظ تدينه وصدقه لا يثبت وجود الإذن ولا ينفي احتمال الاجتهاد.

ومن المهم أن ننبه عليه أن القول بعدم الإذن الخاص بالخروج لا يلزم منه الطعن على زيد أو القدح في شخصيته بعد احتمال فهمه الإذن من الإمام عليه السلام ولعل هذا هوما دعى بعض الأعلام للاعتقاد بوجود الإذن أنه لو خرج بدون إذن لم يكن من علماء آل محمد مع أن اشتراط إذن الإمام عليه السلام في القيام بالسيف ولا سيما إذا كان في أيام الظهور من المسلمات لدى الطائفة.

ولكن قلنا إنه لا تلازم بين عدم وجود الإذن واقعا وبين الطعن على زيد فيكفي اعتقاده الإذن من كلام الإمام عليه السلام فقد استشار الإمام الصادق في خروجه وعرضه عليه، وكونه فهم الإذن من جواب الإمام عليه السلام له لا يستوجب الطعن عليه.

وربما يقال إنه لوكان الأمر فهم زيد وكان مجتهدا في فهمه لكان الإمام عليه السلام أن يرفع اللبس والاشتباه عنه بأن يبين له الواقع.

ولكنه من الواضح أنه لا يجب على الإمام عليه السلام رفع توهم الآخرين لا سيما فيما يكونون فيه معذورين عند الله سبحانه، بل ربما كان مثابا لكونه سعى لرضا الله سبحانه وإن كان مخطئا فيما فهمه ويؤيد ما ذكرناه بل يدل عليه ما بينه مؤمن الطاق من الوجه في عدم إخبار الإمام عليه السلام زيدا بلزوم الإذن الصريح.

وأما قول الإمام الصادق عليه السلام: ويل لمن سمع واعيته فلم يجبه فعلى فرض تمامية سند الرواية الظاهر أن المراد به من غرر به ووعده النصر فخذله وغدر به أو تركه وهرب عنه في حال حاجته لمن يدافع عنه، أو خصوص من سمع فعلا واعيته فلم يجبه وذلك أمر آخر لا ربط له ببحثنا إذ وجوب النصر والخروج معه ابتداءا شيء ولزوم الوفاء ممن خرج معه أمر آخر ومثله لزوم الدفاع عنه في فرض سماع واعيته ويؤيد ما ذكرنا جواب الإمام الصادق لمؤمن الطاق عن دعوته وطلب نصرته ولوكان يريد من الرواية النصرة ابتداءا لقال للطاقي ويل من استنصره فلم ينصره.

وأما قول الإمام عليه السلام له: (إن رضيت أن تكون المقتول المصلوب بالكناسة فشأنك)[1] فالظاهر أنه بيان لأمر غيبي كتب عليه وسوف يتحقق والرضا بما كتب الله سبحانه عليه هو موضع كلام الإمام عليه السلام وواضح أنه شأن زيد يرضى به أولا يرضى فلا ربط له بالإذن وعدمه.

هذا تمام الكلام بالنسبة لحركة زيد بن علي رضي الله عنه وإذ لم يتم ما يدل على أمره بالخروج والإذن له فغيره أولى ممن تحرك وربما تبرأ الأئمة عليهم السلام منهم.

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج٢، ص٢٢٥.

ولنعد لما كنا فيه هناك الكثير من الموارد التي اتهم فيها الحكام أئمة أهل البيت عليهم السلام بأنهم كانوا يجمعون الأموال ويشترون السلاح وغير ذلك.

ولكن أهل البيت عليهم السلام نفوا ذلك بشكل قاطع وأثبتوا كذب مدعي ذلك كما أنه لم يستطع أحد من الحكام أن يثبت شيئا من تلك الاتهامات.

وربما يقال إنه لم يكن لأهل البيت عليهم السلام أعمال سياسية وتحركات عسكرية سرية فلماذا كان الحكام يأخذونهم ويسجنونهم ويهجمون على بيوتهم ويفتشونها؟

فإنه لابد من وجود تحركات كانت وراء موقف الحكام تجاههم!

ولكن هذه أيضا دعوى لا تستند إلى دليل سوى الجهل بدوافع الحكام لذلك، والجهل بتلك الدوافع ليس دليلا على تلك الدعوى أو على وجود تحركات سرية وأعمال سياسية لدى أهل البيت عليهم السلام ضد الحكام.

وأما الدوافع لتلك المواقف تجاه أهل البيت عليهم السلام من بني أمية وبني العباس فهي متعددة:

فأولها: الظلم.

وثانيها: الوشاة الذين يبحثون عن المكانة لدى الحكام ولو بالكذب.

وثالثها: الإحساس بالخوف الدائم من أصحاب الحق بعد معرفتهم بإمامتهم وعظم مقامهم وأنهم أصحاب الحق.

ورابعها: الحسد على ما آتاهم الله من فضله.

وخامسها: إبعادهم عن الناس وإخفاء أمرهم وحقهم.

وسادسها: إخافة الناس من حولهم.

وسابعها: التأثير على عقائد الناس فيهم وفي إمامتهم.

إلى غير ذلك من الدوافع المتوفرة لدى بني أمية وبني العباس.

ولوكان الدافع في تلك المواقف هوما أدعي لما توانوا وترددوا في قتلهم علنا.

البكاء على الإمام الحسين عليه السلام:

أصبح البكاء على الإمام الحسين عليه السلام من أبرز المظاهر والشعائر الحسينية التي برزت بعد مقتله وقد استمرت كذلك إلى يومنا هذا.

وأصبحت ظاهرة واضحة في المجتمعات الشيعية في كل مكان وشعارا لهم في مجالسهم الحسينية في كل زمان ولا سيما أيام عاشوراء من شهر محرم الحرام.

وعليه فهذه الظاهرة عمرها عمر قضية الإمام الحسين عليه السلام بل هي أكبر وذلك أن البكاء على الإمام الحسين عليه السلام عرف قبل مقتله

فقد بكى عليه رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمير المؤمنين عليه السلام، وفاطمة عليها السلام، بل بكى عليه أكثر الأنبياء كعيسى وزكريا وآدم على نبينا عليهم السلام وبذلك يكون عمر البكاء على الإمام الحسين عليه السلام بعمر الإنسان وحركته على وجه الأرض. وسوف نذكر فيما بعد بعض الروايات التي صرحت ببكاء الرسول صلى الله عليه وآله وبكاء بعض الأنبياء عليهم السلام.

كما أنه لم يختص الإنسان بالبكاء على الإمام الحسين عليه السلام بل بكى له كل شيء حتى السماء والأرض بكيا عليه دما وسوف يأتي أيضا ما يدل على ذلك.

وعليه يمكن لنا أن نقول إن ظاهرة البكاء على الإمام الحسين عليه السلام ابتدأت مع ابتداء حركة التاريخ البشري على وجه الأرض واتسعت دائرتها عند وقوعها لتشمل كل ما حول الإنسان من حجر ومدر وأرض وسماء.

كما أنه بقضية الإمام الحسين عليه السلام سلام سوف تتوقف عجلة التاريخ أيضا وذلك عند قيام الطالب بدم المقتول بكربلاء عليه السلام.

والمهم هنا أن ظاهرة البكاء على الإمام الحسين عليه السلام ليست ظاهرة مستجدة ولا مستحدثة.

ولقد واجهت قضية الإمام الحسين عليه السلام الكثير من التحديات والصعاب والمحاولات العديدة للقضاء عليها إلا أنها تمكنت من

تجاوز كل تلك التحديات وتخطي كل تلك الصعاب، حتى تلك التي حاول فيها المتوكل العباسي إخفاء قبر الإمام الحسين عليه السلام بحرث قبره وإجراء الماء عليه إلا أن الماء لما وصل إلى القبر المقدس حار ودار فسمي ذلك المكان بالحائر الحسيني.

وهكذا استمرت قضية الإمام الحسين عليه السلام مؤيدة من الله سبحانه بأيد غيبية تريد لها البقاء والاستمرار وكذلك استمرت معها ظاهرة البكاء أيضا مؤيدة بأيد غيبية تريد لها البقاء.

واستمرت الشيعة في عقد مآتم العزاء والحزن على اختلاف مظاهرها باختلاف عادات المجتمعات الشيعية في أساليب عزائهم وأيضا مؤيدة كذلك.

واستمرت ظاهرة البكاء على الإمام الحسين عليه السلام مدفوعة بقوة من قبل أهل البيت عليهم السلام ومؤيدة كل التأييد من علماء الطائفة الشيعية وسوف نذكر فيما بعد بعض الروايات الواردة في ذلك من قبل أهل البيت عليهم السلام.

ولكن مع كل ذلك تسمع من هنا وهناك من ينتقد تلك الظاهرة ولا سيما من المخالفين لمذهب أهل البيت عليهم السلام خصوصا النواصب ولم يكن ذلك غريبا منهم بعد أن ابتعدوا عن أهل البيت عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وتركوا

ما أوجب الله عليهم من طاعتهم وفرض عليهم من ولايتهم وودهم ومحبتهم.

إنما الغرابة والعجب ممن يدعي الانتماء إلى محمد وآل محمد عليهم السلام قلبا وقالبا فكرا واعتقادا ثم تجد منه التشكيك بل النقد لتلك الظاهرة لا سيما من أولئك الذين يضفون على أنفسهم عنوان التحضر والتجديد ولكن ما يهون الخطب أن ذلك صدر ممن تبع الثقافة الغريبة أو الثقافات المخالفة لمذهب آل محمد عليهم السلام وتأثير بأفكارها وسار في ركابها بل وحمل لواءها فأثار شبهاتها واعتراضاتها على العزاء تارة وعلى البكاء أخرى، فنعرض لها للإجابة عنها.

شبهات واعتراضات:

أثيرت الشبهات والاعتراضات على ظاهرة البكاء على الإمام الحسين عليه السلام قضية قديما وحديثا وحيث إن أكثر الشبهات المثارة قديما وحديثا ترجع إلى موارد محدودة عرضنا ما اعتقدنا أهميته أو التي نرى أن لإثارتها آثارا مباشرة على قضية الإمام الحسين عليه السلام أو على مستقبل مسيرتها واكتفينا بذلك عن عرض شبهات المخالفين بعناوينها لتضمنها شبهاتهم واعتراضاتهم، وقد بينا بحثنا في كثير من الموارد على أساس عقلائي لا يختلف فيه أهل العقل وإن اختلفت

مناهجهم الفكرية وانتماءاتهم المذهبية وفي بعضه بني على أساس معطيات إسلامية لا ينكرها أي مسلم.

أقول قد أثيرت اعتراضات متعددة بأساليب مختلفة ولكنها تلتقي في مصب واحد وهدف فارد هو القضاء على العزاء على الإمام الحسين عليه السلام والبكاء عليه، بل وعلى قضية الإمام الحسين عليه السلام فأثيرت بعض التشكيكات بأسلوب سياسي بعيد القصد فنودي:

(لا تحولوا الدم إلى الدمع)

وانتقد آخر بأسلوب عاطفي في شكل المحامي والمدافع عن عواطف الناس متهما كل من يُبكي للإمام الحسين عليه السلام بالتلاعب بعواطف الناس وقلوبهم فقال:

(لقد تم اللعب بعواطف الناس وقلوبهم حتى الآن من خلال قضية البكاء على سيد الشهداء عليه السلام إذا أنه لم يكن هناك عقل يوجه أو هدف محدد من وراء ذلك البكاء، هذا مع العلم أن وجود الهدف لا يكفي بل إن الأمر يتطلب وجود النظام والتنظيم والترتيب)[1].

ونُقل عن آخر أن الإمام الحسين عليه السلام لم يستشهد ليبكي عليه بل استشهد لتتقدم الأمم بثورته.

---

(١) الملحمة الحسينية، العلامة المطهري، ج٣، ص٨٨.

وأما أسوء ما قيل ونتيجته القضاء على البكاء بل على قضية الإمام الحسين عليه السلام فهو قول بعضهم:

(إن البكاء والعزاء على الإمام الحسين عليه السلام في أشكاله المتنوعة الحالية ظاهرة غير حضارية وهي تنقل صورة بدائية ومتخلفة عن المجتمعات الشيعية خصوصا لدى المجتمعات الغربية المتحضرة).

وهذه الاعتراضات والتشكيكات بصيغها المختلفة أثيرت من أناس مختلفي الانتماءات العقدية والاتجاهات الفكرية.

وقبل ملاحظاتها لا بد لنا أولا من بيان أمور مهمة عن البكاء على الإمام الحسين عليه السلام لها أثرها المباشر في بيان المغالطات في تلك المقولات.

فلماذا البكاء على الإمام الحسين عليه السلام؟

ولهذا الاستفهام ثلاث جهات:

الأولى: السؤال عن وجود سبب موجب للبكاء في قضية الإمام الحسين عليه السلام.

الثانية: لماذا الشيعة بالخصوص تبكي على الإمام الحسين عليه السلام دون غيرهم من المسلمين؟

الثالثة: لماذا تجديد الحزن والبكاء في كل عام وقد مضى على مقتل الإمام الحسين عليه السلام ألف وثلاثمائة سنة؟

كـما أنـه لـيس المظلـوم الوحيـد في تـاريخ البشـرية الطويـل وفي العهود الإسلامية.

فهــذه جملــة مــن الاســتفهامات ينبغــي الإجابــة عليهــا قبــل ملاحظة تلك الإشكالات والاعتراضات.

موجبات البكاء:

أمـا الجهـة الأولى: فبشـكل مختصـر جـدا وواضـح أن كـل دواعـي البكـاء والحـزن لـدى الإنسـان متـوفرة في قضـية الإمـام الحسـين عليه السلام وموجـودة فـأهم موجبـات البكـاء هـي العلاقـات والـروابط الإنسـانية عـلى اخـتلاف أنواعهـا مـن نسبية وسـببية واجتماعيـة واشـتمال القضـية عــلى مــا يــؤثر في العاطفــة وانكســار الــنفس، وعلاقــة الإمــام عليه السلام بالمســلمين أقــوى مــن كــل العلاقــات النســبية أو الســببية، وأمــا الاجتماعية فشخصيته لم يكـن يقـرن بهـا أحـد مـن المسلمين فهـو وأخـوه سـيدا شـباب أهـل الجنـة، والمصـائب والمـآسي التـي جـرت عـلى الإمـام الحسين عليه السلام وعلى أهـل بيتـه وعـلى أصـحابه وعـلى أطفالـه ونسـائه التـي لم يعــرف التــاريخ لهــا مثيــل لتســتوجب البكــاء، وكــل تلــك المظلوميــة لتستوجب التأثر والحـزن لـو كانـت جـرت عـلى رجـل عـادي فـما بالـك وقد جـرت عـلى ابـن رسـول الله صلى الله عليه وآله وعـلى أهـل بيتـه فكـل تلـك الأمـور كفيلة لأن تجعل القلب يخشع والعين تبكي بدل الدموع دما.

وبعبارة أخرى: عند ملاحظة أو قراءة أو سماع ما جرى عليهم السلام عليهم يجد القارئ والمستمع نفسه أمام مصيبة تفت الصخور وتفطر القلوب ومن الطبيعي أن يبكي الإنسان عند سماع تلك المصائب فقد أبكت كل شيء حتى السماء أمطرت دما فما أصبح الناس إلا وجدرانهم وجرارهم قد ملئت دما وما رفع حجر في ذلك اليوم إلا وجد تحته دم عبيط)[(١)]. وسوف نذكر بعض الروايات في ذلك والتي رواها المخالفون فضلا عن المؤلفين ويكفينا أن رسول الله صلى الله عليه وآله بكى لها وكذا أهل بيته واصحابه قبل وقوعها فالبكاء بعد وقوعها به اولى والاقتداء به كاف وموجب واف والمهم ان موجبات البكاء في نفسها متوافرة في قضية الامام الحسين عليه السلام وهي كثيرة جدا ولها جهات متعددة والتأثر والبكاء لها مقصورا على المحب بل ابكت مصيبة ابي عبد الله عليه السلام وحتى الخيل رئيت دموعها تسيل على خدودها. ومن اراد الوقوف على حقيقة ذلك فليراجع المقاتل التي اعتنت بنقل تفاصيل ما جرى على الامام الحسين واهل بيته عليهم السلام وما حصل في عاشوراء من آيات فانه يرى ذلك جليا واضحا.

وسوف نعود لبعض تلك الجوانب بشكل مفصل في البحوث التالية ولنكتفي هنا بهذا القدر.

---

(١) الصواعق المحرقة، ابن حجر، ص٢٩٤ - ٢٩٥.

الشيعة والبكاء على الامام الحسين عليه السلام:

الجهة الثانية: لماذا الشيعة بالخصوص تبكي على الامام الحسين عليه السلام مدون غيرهم من المسلمين؟ وهذا الاستفهام جوابه واضح وهوان الشيعة تربطهم بالإمام الحسين عليه السلام علاقة ينبغي ان تكون اقوى من كل العلاقات والروابط، اقوى من علاقاتهم النسبية والسببية الا وهي علاقة الامامة ورابطة الولاية، وقولنا ينبغي ان تكون اقوى العلاقات وذلك لأنها امر اختياري يستطيع المسلم ان ينميها في قلبه ويوطن عليها بما فرضه الله ورسوله صلى الله عليه وآله يوم غدير خم حين نصب امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام وليا وخليفة له على كافة المسلمين فقال:

(ألست اولى بكم من انفسكم قالوا: بلى يا رسول الله. فقال: من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه)[1].

فهذه الولاية التي بينها رسول الله صلى الله عليه وآله هي العلاقة بين المسلم وبين نبيه وقد جعلها رسول الله صلى الله عليه وآله بأمر الله سبحانه قال تعالى **﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ**

---

(١) مسند أحمد، ج١، ص١١٨؛ المستدرك، ج٣، ص١٠٩؛ الغدير، ج١، ص١١٨.

رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾(١)، وقد جعلها لخليفته ووصيه امير المؤمنين عليه السلام فالولاية تمثل العلاقة بي المسلم وامامه وتحدد الرابطة بينهما (اولى من نفسه) وبلا اشكال ينبغي لكل مسلم ان يعتقد ذلك ويبني علاقته مع الرسول صلى الله عليه وآله واوصيائه على ذلك الاساس كما ينبغي ان تكون هذه العلاقة هي التي تحكم تصرفاته مع الرسول صلى الله عليه وآله وائمته عليهم السلام.

ومن الواضح ان تلك الولاية بذلك المعنى (اولى بكم من انفسكم) إذا اعتقدها الانسان المسلم وتحرك على اساسها عمليا اصبحت اقوى من كل العلاقات والروابط الاجتماعية السببية والنسبية.

وبهذا يتضح الجواب عن ذلك الاستفهام بجلاء ان علاقة الشيعة بالإمام الحسين عليه السلام هي علاقة المأموم بإمامة وهي اقوى العلاقات والروابط فهي اقوى من علاقة الاخ بأخيه والابن بابيه بل الاب ببنيه بل هي اقوى من علاقة الام بابنها.

ولهذا تجد في كربلاء من فدى الامام الحسين عليه السلام بأخوته وابنائه بل حتى النساء كما تقدم وجدن في ولاية الامام الحسين عليه السلام وامامته

---

(١) سورة المائدة: ٦٧.

رابطة وعلاقة اقوى من علاقتهن بأبنائهن فلذلك قدمن اولادهن فداءا للإمام الحسين عليه السلام.

والخلاصة المهمة هي ان الشيعة يعيشون تلك القيضة العقدية وهي الولاية واقعا عمليا فلا يجدون لأنفسهم أي حق امام حق رسول الله وائمة اهل البيت عليهم السلام حتى في أنفسهم فيرونهم اولى بها.

ومن هنا كانت مصائب ائمتهم عليهم السلام أعظم من مصائبهم في اهلهم واعزتهم وأنفسهم وإذا اتضح ذلك يظهر وجه اختصاص الشيعة بالبكاء والعزاء على اهل البيت عليهم السلام عامة والامام الحسين خاصة. ومن ذلك المنطق اصبحت مصيبة محمد صلى الله عليه وآله في اهل بيته مصيبتهم بل وأولى من مصائبهم الشخصية.

ولأجل ذلك كله احيي الشيعة مصائبهم وبكوا لأجلهم بخلاف الاخرين فلم يرعوا تلك الولاية حق رعايتها. هذا اولا.

وثانيا: حب الشيعة لأهل البيت قربى الرسول صلى الله عليه وآله الذي امر به الله سبحانه وتعالى في محكم كتابة حيث قال تعالى:

﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (١) .

وأمر به رسول الله صلى الله عليه وآله فقط امتثل الشيعة هذا الأمر والتزموا بحب آل محمد عليهم السلام وولايتهم وطاعتهم قولاً وعملاً فأعلنوا حبهم

(١) سورة الشورى: ٢٣.

وساروا يعيشونه فحزنوا لحزنهم وفرحوا لفرحهم وكما قلنا جعلوا مصاب محمد صلى الله عليه وآله في أهل بيته عليهم السلام مصابهم وحون آل محمد عليهم السلام حزنهم حتى أنهم إذا أصيب أحد منهم بفقد عزيز عليه من أهله وأحبته فإنه يتناسى أو ينسى مصابه ويذكر مصابهم فيتعزى بهم ولاسيما مصيبة أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

وهذا هو الحب الواقعي والحقيقي لآل محمد عليهم السلام قولا وعملا الذي امر الله سبحانه وتعالى كل المسلمين.

وليس الحب كما يدعيه الاخرون فيقولون انهم يحبون اهل البيت عليهم السلام ولكنهم لا يحزنون لحزنهم ولا يفرحون لفرحهم ولا يسيرون على نهجهم ولا يطيعون امرهم ولا يوالونهم ولا يعادون أعدائهم. ثم لابد لنا من التنبيه على أمر مهم وهو أن مقتضى ما تقدم انه ينبغي لكل مسلم ان يبكي لمصاب آل محمد عليهم السلام وذلك لأنهم أولى به من نفسه فتلك الولاية التي عقدها رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام يوم الغدير خم هي ايضا ثابته للإمام الحسن وأخيه الحسين عليهما السلام. كما أنه يجب على كل من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وآله أن يؤدي أجر الرسالة الذي مر به الله في كتابه فيوالي آل محمد عليهم السلام ويطيعهم ويحبهم ويفرح لفرحهم ويحزن لحزنهم.

(الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة)

والعجب كل العجب فيمن يرغب في الجنة ودخولها ثم لا يوالي سيديها ولا يحزن ولا يبكي لحزنهما ومصابهما.

من كل ما تقدم يتضح انه ينبغي لكل مسلم - وليس الشيعة فقط - حب آل محمد عليهم السلام وموالاتهم والفرح لفرحهم والحزن لحزنهم والبكاء لمصائبهم وخصوصا مصيبة الإمام الحسين عليه السلام.

وان كان لأحد أن يتجرأ ويشك فيما تقدم فانه لا يشك في أن الإمام الحسين عليه السلام هو ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وحبيبه وإنه لم يأت بما يوجب قتله وسفك دمه واستحلال حرمته وسبي بنات رسول الله صلى الله عليه وآله واطفاله كالعبيد.

وهذا الامر بنفسه كاف لتأثر الانسان المسلم وحزنه له وبكائه لأجله لأن كل مسلم يعلم ويقطع بأن ما جرى على الامام الحسين عليه السلام من المصائب في اصحابه وولده واهل بيته وفي نفسه يحزن رسول الله صلى الله عليه وآله وما يحزن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ينبغي ان يحزن كل مسلم، وما يبكيه صلى الله عليه وآله ينبغي أن يبكي كل مسلم. وهناك الكثير من الروايات التي تنص على بكاء الصحابة لبكائه صلى الله عليه وآله في أكثر من مورد ومكان.

كيف لا يبكي المسلم عليه ويحزن وقد بكى عليه رسول الله صلى الله عليه وآله في حياته. وسوف نذكر فيما بعد بعض الروايات في ذلك.

ثالثا: الروايات الكثيرة الواردة عن أئمة الهدى عليهم السلام التي تحث الشيعة على اقامة المأتم وما فيها من الثواب الكثير للنوح والبكاء لمصائبهم عليهم السلام.

والخلاصة أن ولاية الشيعة لآل محمد عليهم السلام وحبهم الحقيقي والعملي وتوجيه أئمتهم عليهم السلام كل ذلك كان سببا في اختصاص الشيعة بالبكاء وإقامة مأتم العزاء على سيد الشهداء عليه السلام.

وهذا لا يعني لزوم اختصاص الشيعة بذلك بل ذلك يشمل كل مسلم فالجميع مأمورون بحبهم وولايتهم.

وانما الشيعة التزموا بما فرضه الله من حبهم وولايتهم.

وانما الشيعة التزموا بما فرضه الله من حبهم وولايتهم وما يلزم من ذلك الحب والولاء من الحزن لحزنهم والفرح لفرحهم فعرفوا به والا فانه ينبغي لكل مسلم أن يحزن لما جرى على الامام الحسين عليه السلام فانه يحزن لما أحزن رسول الله صلى الله عليه وآله ويبكي لما أبكاه.

تجديد الحزن ودواعيه:

الجهة الثالثة: لماذا تجديد الحزن في كل عام وقد مضى على مقتل الحسين عليه السلام ألف وثلاثمائة سنه؟

وهـذا السـؤال مهـم جـدا وقبـل الجـواب عـلى ذلـك نقـدم مقدمـة فنقول:

ان الاحـداث العاديـة التـي تمـر بهـا المجتمعـات لا تـرتبط بزمـان حـدوثها لعـدم أهميتهـا، ويحصـل لـدى فـر تلـك المجتمعـات أي ربـط بينهـا وبـين زمانهـا وبـذلك تنتهـي بانتهـاء زمانهـا أوفي زمـن قريـب مـن زمانهــا إذا كانــت ذات شــأن مــا، وأمــا إذا لم تكــن ذات شــأن فإنهــا تتصـرم بتصرم وقوعها وحدوثها.

وأمــا الأحــداث المهمــة والخطـيرة التــي تعصــف بالمجتمعــات والتي تنعكس على مسيرتها ايجابا وسلبا فـان فكـر المجتمـع يـربط بينهـا مـن حيـث زمــن حـدوثها وهــذا الــربط لـيس مــن العمــل الفكــري الــواعي بــل يــربط بيــنهما مــن حيــث لا يقصــد وخصوصــا اذا كــان لهــا مبــادئ عاطفيــة ورواســب نفسـية واثــار اجتماعيــة وجوانــب عقديــة، فانه يقوى الربط في نفس الفـرد والمجتمـع يـزداد الى درجـة تحـدث لديـه وفي نفسـه وفي فكـرة علاقـة تـلازم بـين الحـدث وزمنـه يـدركها المجتمـع والفـرد بفكـرة يجـدها في نفسـه منعكسـة عـلى حركتـه ولـذا فانـه ينتقـل فكـرة الى الحـدث كلـما التفـت الى زمنـه وينتقـل الى الـزمن كلـما تـذكرت الحدث ويجد الحزن في نفسه وينعكس ذلك على حياته.

وهكـذا كلـما ازداد الحـدث اهميـة وخطـورة ازدادت قـوة الـربط بينـه وبـين زمنـه واشـتدت قـوة الـتلازم بينهـا بصـورة طرديـة وعكسـية وهذا امر بديهي ووجداني.

وقـد يكـون الحـدث مـن الاهميـة والخطـورة الى درجـة كبـيرة جـدا فيرتـبط الزمـان بـه ارتباطـا وثيقـا وشـديد حتـى انـه يتجـدد بتجـدده ويخلد بخلـوده وهـذا مثـل الاحـداث المصـيرية التـي يتحـدد مـن خلالهـا مصـير المجتمعـات فتتغـير بسـببها مسـيرة المجتمـع ونظـام حياتـه ودينـه وغير ذلك.

ونـــرى ذلـــك واضـــح في حيـــاة كثـــير مـــن الامـــم الفكريـــة والاجتماعية فلـربما جعلـوا حـدثا مـا مبـدأ لتـاريخهم كـما لـدى المسـلمين في ذكرى حدث عيدا يفرحون فيه واخر يوم أسود يحزنون فيه.

ومثـــال الاول: أعيـــاد الاســـتقلال وجـــلاء الاســـتعمار. ومثـــال الثـاني: أيـام الكـوارث والفـتن التـي تسـفك فيهـا الـدماء فتصـبح أيامـا سـوداء تـنكس فيهـا الأعـلام ويلـبس فيهـا السـواد وغـير ذلـك مـن مظـاهر الحـزن، نعـم تصـبح تلـك الأحـداث مرتبطـة بزمانهـا فتتجـدد بتجـدده بـل تصـبح مرتبطـة بتـاريخ الأمـة وجـزء مـن ثقافتهـا كـما أنهـا تصبح واقعا تعيشه في حياتها تحزن لما يحزن وتفرح لما يفرح.

والمهم أن الحدث يتجدد ويعود بعود ذلك الزمان بسبب شدة الارتباط بينه وبين الحدث وخطورة ذلك الحدث أو لأهميته في فكر المجتمع، وبتجدده تتجدد معه كل الامه وأحزانه وإذا كان مفرحا تعود معه سعادته وأفراحه فيلقى بظلاله على المجتمع وينعكس أثره على حياته فيحزن له ويتأثر به ويتجدد حزنه لتجدده أن يفرح به ويبتهج لعوده وتعود أفراحه لعوده.

ويمكن لنا القول ان ارتباط الزمان بالقضايا الكبرى والخطيرة -ولاسيما المصيرية منها- قهري لا يحتاج الى التكرار لتربط بزمنه كما هو الحال في تداعي المعاني والاقتران الشرطي، بل خورة القضية وأهمية الحدث يفرضان نفسيهما على الزمان وعلى المكان بل على فكر الانسان وعقله فيرتبط بها الزمان والمكان وكذا فكر المجتمع يرتبط بها حتى تصبح جزء من ثقافته.

وأعتقد أن هذا أمر واضح بديهي فدليله الوجدان فلا يحتاج الى مزيد بيان أو اقامة البرهان أكثر من الأمثلة التي قدمناها.

وبعد هذا نقول: أن قضية الامام الحسين عليه السلام هي من تلك القضايا الكبرى والخطيرة بل هي من أهمها وأخطرها إن لم تكن هي الأخطر على الإطلاق في التاريخ ليس التاريخ الإسلامي فقط بل التاريخ البشري.

فلذلك ارتبطت بالزمان والمكان بل ارتبط الزمان والمكان بها وأخذت حيزا كبيرا من فكر الإنسان قبل حدوثها وبعده.

وقولنا: إنها أخطر قضية في التاريخ البشري والفكر الإنساني وذلك لما انتهك فيها من الثوابت الإنسانية والمرتكزات الأخلاقية والدينية ووقوف المظلوم فيها إلى جانب ظالمه وضد صريخته ومستغاثه في صورة لم يعرف لها التاريخ مثيلا.

وأما إنها من أخطر وأهم القضايا الإسلامية إن لم تكن هي الأخطر فيظهر ذلك ويتضح بملاحظة عدة جهات فيها:

الأولى: شخصية الإمام الحسين عليه السلام وكونه ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وذلك ينص كتاب الله قال تعالى:

﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةُ الله عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[١].

ولم يدع رسول الله صلى الله عليه وآله غير الحسن والحسين عليه السلام من الأبناء.

الثانية: أنه وأخاه سيدا شباب أهل الجنة وأنهما ريحانتا رسول الله صلى الله عليه وآله وحبيباه.

---

(١) سورة آل عمران: ٦١.

الثالثة: كونه يمثل شخصية رسول الله ﷺ بين المسلمين قلبا وقالبا، فكرا ومنهجا وأن بقاءه لنهج رسول الله ﷺ فهو الإمام بعد أخيه (ابناي هذان إمامان قاما أو قعدا)[1].

الرابعة: أنه آخر أهل البيت الذين عاشوا مع رسول الله ﷺ وترعرعوا في حجره وتربوا في أحضانه ونشؤوا في ظله وتحت عنايته ولقد عرف المسلمون والصحابة بالخصوص شدة علاقة رسول الله ﷺ به وبأخيه مما يضفي على شخصيته بعدا في فكر المسلمين عامة وفي فكر الصحابة خاصة يوجب شدة حبه وإعظامه وإكبار شخصه ولزوم دفع أي مكروه عنه والوقوف إلى جانبه.

الخامسة: امتيازه على كل المسلمين عامة وعلى الصحابة خاصة بماله من الفضل بما نزل فيه وفي أبيه وأمه وأخيه من الآيات كآية التطهير وآية المودة والمباهلة وهل أتى وغيرها، وبما سمعوه من رسول الله ﷺ في شأنه وشأن أبيه وأمه وأخيه وحبه لهم وأمره أصحابه بل المسلمين كافة بحبهم[2] ومع كل تلك الفضائل والأوامر بحبه تجرؤا على قتله وامتدحوا قاتله!!.

---

(١) بحار الأنوار، ج١٦، ص٣٠٧؛ علل الشرائع، ج١، ص٢١١. وفيه: (الحسن والحسين).

(٢) راجع: الصواعق المحرقة، ابن حجر، ص ٢٩٠ - ٢٩٧.

السادسة: أن فقده عليه السلام فقد لأصحاب الكساء وقتله كقتلهم وقد كان كلما مضى واحد منهم كان في الباقي منهم سلوة وعزاء للمسلمين فلما أن قتل الحسين عليه السلام لم يبق من أصحاب الكساء أحد للناس فيه بعده عزاء وسلوه فكان ذهابه كذهابهم جميعهم كما كان في بقائه بقاؤهم جميعهم، فلذلك صار يومه أعظم الأيام ومصيبته أعظم المصائب.

السابعة: أن قتله عليه السلام - مع تجليه في شخصية الرسول صلى الله عليه وآله عندما لبس عمامته وقباءه وسلاحه فمثّل رسول الله صلى الله عليه وآله - لهو قتل لرسول الله بل هو قتل لكل أمر تجلى فيه أبوعبد الله عليه السلام فهو قتل لذكر الله وقتل لحب الله ولتقوى الله وللثقة بالله ولكل مبدأ تجلى فيه في مواقفه عليه السلام كلها وبذلك تتجلى خطورة ذلك الموقف.

الثامنة: أنه أمل الأمة في الخلاص من بني أمية وظلمهم والشخصية الوحيدة التي يمكن أن تعيد الأمة الإسلامية إلى منهاج رسول الله صلى الله عليه وآله وسيرة أمير المؤمنين عليه السلام ولقد أدرك هذا الأمر حتى من يعتقد إمامته فلذلك كاتبه فقتله قتل لذلك الأمل.

التاسعة: أن في قتله سابقة خطيرة مثلت الاستهانة بكل الثوابت والمرتكزات الإسلامية المانعة من قتل من لم يقتل أو يرتكب محرما.

العاشرة: وهي الأمر الخطير تخلي الأمة الإسلامية عن واجبها من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي الصفة التي بها فضلت على الأمم السابقة حيث قال تعالى:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾(١).

فشخصية الأمة الكبرى بين الأمم هي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فمتى ما تخلت عنها فقد تخلت عن شخصيتها كأفضل أمة وخير أمة أخرجت للناس وبتخليها عن الوقوف مع الإمام الحسين عليه السلام في أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فقد تخلت عن ما به فخرها وتقدمها على سائر الأمم. إن أخطر ما في الأمر انقسام الأمة الإسلامية حيال قيام الإمام الحسين عليه السلام إلى فئتين فئة اجتمعت على قتل من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر جهارا وأخرى قعدت عن واجبها وتخلفت مع القواعد.

الحادية عشرة: غدر المستصرخ بمن استصرخه والمظلوم بناصره ووقوفه إلى جابن عدوه وظالمه، وهذا الأمر الخطير جدا الذي لم يعرف له التاريخ مثيل.

---

(١) سورة آل عمران: ١١٠.

الثانية عشرة: أنه بقتله تحول الحكم الإسلامي لليد الأموية وبشكل مطلق دون أي منازع تهاب السلطة جانبه أو تحسب لقتله حساب.

الثالثة عشرة: أخذ بنات رسول الله صلى الله عليه وآله سبايا يطاف بهن من بلد إلى بلد دون تكبر يذكر وهذه هي المصيبة الكبرى والمنعطف التاريخي الخطير في حركة المجتمع الإسلامي وفي فكره فبدل الحفاظ على حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وبناته تشهر!

الرابعة عشرة: عيش الأمة الإسلامية في واقع متناقض فبينا هي تتشرف بانتمائها إلى دين الإسلام دين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله إذ بها تقتل أبناءه وتسبي نساءه من دون جرم، وبينا هي تقر بما أنزله الله في الإمام الحسين عليه السلام من آية التطهير وآية المودة وآية المباهلة تعدوا وتقتله وهي تدعي الانتماء إلى الإسلام والقرآن.

الخامسة عشرة: ثقة الناس بوعود بني أمية وخوفهم من وعيدهم، وعدم ثقتهم بالله وبوعده وعدم خوفهم منه ومن وعيده.

السادسة عشرة: وهي الأهم أنه في اختباره الموت - على الاستسلام والنزول على حكم بني أمية فيكون سبة على بني هاشم يمنّ بها على الحي والميت إلى آخر الدهر - يكون قد جسّد مبادئه الموت أولى من ركوب العار وخلدها.

السابعة عشرة: رد الأمة على الله عز وجل وعلى سوله ﷺ بردها التكاليف والواجبات الملزمة تجاه العترة الهادية والعمل على خلافها جهارا بإبادة عترة نبيها وأحد الثقلين الذين ألزمت بالتمسك بها.

الثامنة عشرة: تصنيف الأمة في صف من أعلن الكفر صراحا وقبولها حكمة وتأييدها له في منكراته بسكوتها عنه.

التاسعة عشرة: خطورة الأهداف التي يسعى يزيد وحزبه إلى تحقيقها من وراء قتل الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته.

العشرون: اتخاذ بعض المسلمين يوم مقتل ريحانة رسول الله ﷺ يوم عيد وفرح عنادا لله ولرسوله ﷺ ومخالفة له في حزنه عليه وإمعانا في إيذائه.

فبتلك الأمور وغيرها تتضح خطورة وأهمية قضية الإمام الحسين عليه السلام وأثرها في الفكر الإسلامي وعليه بل أهميتها على عامة القضايا الإسلامية ولذلك ارتبطت بالزمان وارتبط به فحمل مصائبها وآلامها وأحزانها فألقت بظلالها على المجتمع الإسلامي شاء أو أبى.

كما يتضح أمر آخر وهو أن قضية الإمام الحسين عليه السلام ليست قضية شيعية أو مذهبية كما يحاول البعض تصويرها أو تحجيمها، بل هي قضية الأمة الإسلامية وقضية رسول الأمة الإسلامية صلى الله عليه وآله[(١)].

قضية الأمة الإسلامية لما كان عليها من الواجبات التي فرضها الله سبحانه وتعالى على الأمة تجاه أهل البيت من وجوب طاعتهم ومودتهم وما بيّن من طهارتهم وإذهاب الرجس عنهم فكانوا بذلك ميزان الحق والباطل في الأمة، فما قبلوه فهو الحق وما ردوه فهو الباطل ومن الواضح أن ذلك يجعل قضايا أهل البيت عليهم السلام قضايا الأمة وعلى الأخص قضية الإمام الحسين عليه السلام فمضافا إلى ذلك كانت لإنقاذ الأمة وإخراجها من الظلمات إلى النور من المنكر إلى المعروف ولا إشكال في كون إنقاذ الأمة من الظلم والجور إلى

---

(١) قال ابن تيمية في كتابه رأس الحسين (وفي المسند وغيره: عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها الحسين عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: (ما من مسلم يصاب بمصيبة فيذكر مصيبته وإن قدمت فيحدث لها استرجاعا إلا أعطاه الله من الأجر مثل أجره يوم أصيب). فهذا الحديث رواه الحسين، وعنه ابنته فاطمة التي شهدت مصرعه. وقد علم الله أن مصيبته تذكر على طول الزمان).

رأس الحسين، ابن تيمية، ص١٧٥، تقديم: الدكتور محمد جميل غازي، طبع: دار المدني للنشر والتوزيع.

العدل والإنصاف وإخراجها من الظلمات إلى النور قضية الأمة بل هي أهم قضايا الأمة الإسلامية.

ثم بعد قتل الإمام عليه السلام كان على الأمة أن تعلن استنكارها لقتله ولا ترضى بما فعل به بل تتبرأ ممن قتله كائنا من كان لا أن تسهم معه في فعلته فتؤيده أو تبرر له فعله.

وكان عليها أن تجعل مصابه مصابها وتتخذ ذلك اليوم حزن وحداد لا أن تجعله يوم فرح وسرور عنادا للنبي محمد صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام فما هو إلا يوم أسود في تاريخ الأمة الإسلامية وفي تاريخ البشرية جمعاء بل هو أسود يوم عرفته البشرية.

وأما أنها قضية رسول الله صلى الله عليه وآله فلأنه قد قتل فيها ولده وأهل بيته وحبيبه وريحانته وانتهك فيها حريمه وسبيت فيها بناته وذريته، ولما أن كان رسول الله محمد صلى الله عليه وآله أعظم البشرية خطرا وأعلاها شرفا وأهمها شأنا وأرفعها مكانا عند الله سبحانه وتعالى وملائكته وعند أنبيائه وأوصياء أنبيائه كانت مصيبته أعظم المصائب وأهمها وأخطرها وبذلك صارت تلك القضية أخطر القضايا ومصيبتها أعظم المصائب وأهم المصائب على الإطلاق وبلا إشكال أو شبهة ولا ريب أنه ينبغي أن تكون مصيبة رسول الله صلى الله عليه وآله مصيبة أمته كما أن أعياده وأفرحه أعياد أمته وأفرحها.

ولو لم يكن إلا لأجل الوفاء لحق رسول الله صلى الله عليه وآله على الأمة وحفظه في أولاده وأهله كان على الأمة أن تجعل يوم قتل أبنائه والتمثيل بهم بعد قتلهم وحمل رؤوسهم وسبي نسائه يوم حزن وحداد ويوم مصيبة وبكاء.

ولنعد لما كنا فيه فمما تقدم اتضح لنا جانب من خطورة قضية الإمام الحسين عليه السلام وعظم مصيبته وأثرها على المجتمع الإسلامي وعلى فكرة وعقيدته، وأنها أعظم قضية عرفتها البشرية فلم يعرف لها التاريخ مثيلا فلذلك كانت قضية الإمام الحسين عليه السلام فريدة التاريخ وواحدته وقضيته.

والمهم هنا أنها ارتبطت بذلك الزمان بل ذلك الزمان ارتبط بها فأصبح ذلك الزمان معروفا بها ومرتبطا بها وأصبحت تتكرر بتكرر الزمان وتعود بعوده.

ومن هنا يتضح لنا أن تجدد قضية الإمام الحسين عليه السلام إنما هو لأمر ذاتي فيها:

خطورتها أهميتها، عظم مصيبتها مكانة المصاب فيها كل ذلك استوجب ارتباط الزمان بها فتجددت بتجدده.

وعليه فالجواب عن ذلك الاستفهام في الجهة الثالثة لماذا تجديد الحزن على الإمام الحسين عليه السلام في كل عام؟

أصبح واضحا وخلاصته أن تجدد قضية الإمام الحسين عليه السلام إنما حصل لأمر ذاتي فيها هو ارتباط الزمان بها وتجددها بتجدده لا أن الشيعة هم الذين أعطوا قضية الإمام الحسين عليه السلام الخطورة والأهمية وربطوها بالزمان، إن المؤثر الحقيقي أهمية القضية وخطرها وأثرها على الإسلام وعلى المجتمع الإسلامي وعظم مصيبتها استوجب ذلك، وهوما فرض نفسه على الشيعة فأذعنوا لها وتأثروا بها وانعكس عليهم أثرها فحزنوا لها وبكوا عليها، هذا أولا.

وثانيا: إن تجدد قضية الإمام الحسين عليه السلام ومصائبها وأحزانها له جهة أخرى وهي أن هناك يدا غيبية تريد لقضية الإمام الحسين عليه السلام البقاء فلذلك تحدت كل الطواغيت والجبابرة الذين أرادوا القضاء عليها رغم تكرر محاولاتهم فكلهم ماتوا ومات ذكرهم وقضية الإمام الحسين عليه السلام حية لم تمت وهذا مصداق كلمة فخر المخدرات زينب بنت أمير المؤمنين عليه السلام عندما تحدت يزيد وقوته بقولها: (فكد كيدك واسع سعيك وناصب جهدك فو الله لا تمحو ذكرنا ولا تميت وحينا ولا تدرك أمدنا).

ثالثا: إن قضية الإمام الحسين عليه السلام قد فرضت نفسها على الفكر الإسلامي منذ حدوثها وكانت مثار جدل لدى جميع الفرق الإسلامية فبين ساخط على يزيد ومتبرئ من فعله وبين راض به

مشارك معه في جرمه وجريمته وبذلك أصبحت جزءا من الثقافة الإسلامية بشكل عام والثقافة الشيعية بشكل خاص فمن الطبيعي جدا أن تتجدد بفكر المؤيد لها والمدافع عنها بل حتى المخالف لها فإنه يساهم أيضا في تجددها بمواجهته لها سواء كان ذلك بمحاربتها أو بإثارته الإشكالات والتشكيكات أو الشبهات حولها مما يدعو إلى الرد تارة وشدة الارتباط بها أخرى.

رابعا: إن في تكرارها حفاظا عليها وعلى مظلومية آل محمد﴿عليهم السلام﴾ من التحريف أو الإخفاء والتبديل إذ دواعي التحريف والتبديل والإخفاء وجودة لدى الكثير ولذلك أصبح امر الحفاظ عليها واستمراراها واجبا اسلاميا يحفظ به تاريخ الاسلام والمسلمين كما ينبغي حملها لأجيال بحقائقها وجميع ملابستها لتعرف الحق واهله فتتبعهم والباطل وأهله فتجتنبهم، واحيائها في كل عام كفيل بتحقيق ذلك.

ولقد تعرضت القضية الحسينية منذ الوهلة الأولى الى محاولات التحريف والتزوير وابتدأ ابن زياد بذلك عندما سأل عن الامام زين العابدين ﴿عليه السلام﴾ فقيل له بأن اسمه علي بن الحسين فقال:

أليس قد قتل الله عليا؟

فأجابه الإمام زن العابدين ﴿عليه السلام﴾:

قد كان لي اخ يسمى علي بن الحسين قتله الناس.

فقال: بلى الله قتله.

فقال الامام علي عليه السلام: ﴿**اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا**﴾(١).

فقال ابن زياد: ولك جرأة على رد جوابي! اذهبوا به فاضربوا عنقه)(٢).

وواضح ان جواب الامام السجاد عليه السلام قد اغضب ابن زياد مع انه ليس فيه ما يوجب ذلك الغضب حتى امر بضرب عنقه، نعم حيث اراد ان يتنصل من قتل الامام الحسين عليه السلام ويدعي ان القاتل هو الله سبحانه كان جواب الامام زين العابدين عليه السلام ردا جريئا على دعواه فأعاد قوله ثانيا تأكيدا على إرادته معنى قتل الله وهذا دليل واضح على أنه قصد من قوله ذلك التنصل من قتل الإمام الحسين عليه السلام ونسبة قتله إلى الله ولكن الإمام السجاد عليه السلام حيث علم قصده أجابه: بأن الناس قتلوه فلما أصر ابن زياد على ذلك أجابه الإمام عليه السلام بالآية الشريفة بأن الله يتوفى الأنفس وأما القتل فهومن الناس لا أن الله قتله. بل حتى يزيد حاول التنصل من ذلك

---

(١) سورة الزمر: ٤٢.

(٢) بحار الأنوار، ج٤٥، ص١١٧.

أيضا واتهم ابن زياد به وقد تقدم البحث عن مجالات تبرئة يزيد ومن شارك معه في قتل الإمام الحسين عليه السلام.

والمهم أن حفظ قضية الإمام الحسين عليه السلام أمر واجب خصوصا مع وجود تلك الدواعي وقد وجدت في التاريخ أمور كثيرة ذات شأن كبير واجتمع الناس على إنكارها كمبايعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على إمرة المؤمنين يوم غدير خم وتنصيبه وليا على المسلمين بأمر الله على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله ومع أن كل من حضر يفترض فيه أنه إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وآله ومع ذلك نكثوا البيعة ونقضوها ونفوا تنصيبه في ذلك اليوم وأنكر بعض حدوثها وادعى النسيان آخر وإلى الآن تسمع من يدعي عدم حدوثها أومن يرد روايتها مع كثرتها وصحتها بل تواترها.

وعلى كل فحيث إن دواعي إخفاء قضية الإمام الحسين عليه السلام كثيرة وأسبابها متوافرة ولو لم يكن إلا محاولة تنصل مرتكبيها منها أو تبرئة شيعتهم ومتبعيهم والراضين بفعلهم منها واتهام شيعة الإمام الحسين عليه السلام بقتله، فلابد من الحفاظ على القضية الحسينية بأية طريقة وبشتى الوسائل ولا سيما في هذه الأيام التي تجد من يحاول تبرئة يزيد من دم الإمام الحسين عليه السلام تارة أو تبرير فعلته أخرى بل تجد ما هو أكثر في قلب الحقائق والتلاعب بها وتمييعها وتفريغها من

مضامينها وأبعادها أو تحجيم خطرها في الإسلامي وفي عقيدته وفكره وتحريفها.

خامسا: ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام من الروايات الكثيرة في شأن ذكر مصيبة سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام وفي جعل يوم عاشوراء يوم مصيبة وحزن وبهذا اتفق الشرع والعقل في ذلك. وسوف نذكر بعض الروايات في ذلك بعد هذا البحث.

سادسا: امتثال أمر الله سبحانه في وجوب مودة القربى علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ومن المسلم أن المودة لا تتحقق إلا بطاعتهم والفرح لفرحهم والحزن لحزنهم فموالاة محمد صلى الله عليه وآله وآل محمد عليهم السلام وحبهم وحب الإمام الحسين عليه السلام فرضا قضيته على محبيه ومواليه فكانت مصيبته مصيبتهم كما تقدم فما أن يأتي شهر المحرم وأيام عاشوراء حتى يخيم الحزن عليهم وتعلو الكآبة وجوههم فتحزن نفوسهم وتبكي عيونهم ويلقون زينتهم ويسودون مجالسهم مواساة وحبا له ولجده وأبيه وأمه وأخيه والتسعة المعصومين بنيه عليهم السلام وقد أصبح هذا الحب والولاء محركا للكثير من شعراء الحسين، حب الحسين عليه السلام دفعه وولائه الصادق دعاه للإنشاد فيه وليس الطمع في الأموال بل ولا الثواب كما قال الشاعر:

تبكيك عيني لا لأجل مثوبة لكنما عيني لأجلك باكية

بل أكثر من ذلك فإن الحزن والكآبة والبكاء يخيمان على المجتمعات الشيعية بصورة قهرية وغير مقصودة وذلك لما قدمناه من شدة ارتباط الزمان بها حتى ترى التأثر لها وكأنها قد حدثت حديثا كما أنك تجد الكثير ممن أحب الإمام الحسين عليه السلام ربما يبكي لمجرد ذكر الإمام الحسين عليه السلام حتى في غير أيام عاشوراء وما ذاك إلا لعظم مصيبته وشدة محبته وولايته عليه السلام.

وبعد هذا أعتقد أنه قد اتضح الجواب عن الاستفهام الذي قدمناه، لماذا البكاء على الإمام الحسين عليه السلام؟

كما أعتقد أنه اتضح أيضا أن تجديد الحزن وإقامة المآتم على الإمام الحسين عليه السلام لها جهاتها المتعددة الراجحة عقلا وشرعا وعرفا بل أصبحت جزءا من ثقافة المجتمع الشيعي بشكل خاص والإسلامي بشكل عام، بل أصبح أمر تجددها والبكاء لها والحزن عليها أمرا قهريا لما قدمناه.

دراسة الشبهات:

ولنرجع الآن إلى ملاحظة تلك الشبهات والاعتراضات التي أثيرت حول قضية البكاء على الإمام الحسين عليه السلام.

الشبهة الأولى:

ما نقل عن بعض قوله: (لا تحيلوا الدم إلى دمع).

وهذه الكلمة وإن كانت بظاهرها نهيا واستنكارا إلا أننا نستطيع أن نقول: إن واقعها رفض البكاء ودرف الدموع على الإمام الحسين عليه السلام دون القيام بالسيف والانتقام له، فإن درف الدموع إضاعة لقضيته وتمويع لثورته، ولا يبعد أن تكون هذه الكلمة نتيجة لبعض النظريات المتقدمة القائلة بأن استشهاد الإمام الحسين عليه السلام غايته إيجاد هزة عنيفة في وجدان العالم الإسلامي ليتحرك ضد الظلم والعدوان فمتى صار التعامل مع قضيته على أساس البكاء فإنها تفقد غايتها وتفرغ من مضمونها، ولعل هذا أفضل ما يمكن أن توجه به تلك المقولة.

وعليه فهذه المقولة مرتبطة بتلك النظرية وتابعة لها في الصحة والفساد، وحيث إنه قد تقدم عدم صحة تلك النظرية فهذا النتيجة تابعة لها.

ولكن لنبحث هذه المقولة بنحو آخر غير مرتبط بتلك النظرية في صورة استفهام لا استنكار وهو:

لماذا البكاء على الإمام الحسين عليه السلام دون غيره؟

ونصيغه بشكل أفضل وأصرح فنقول:

ما هو الموقف الذي يجب على الأمة اتخاذه تجاه مقتل الإمام الحسين عليه السلام؟

وهذا الاستفهام يثير سؤالا آخر أو أنه يثار بصورة أخرى أدق:

ما هو الموقف الذي يجب أن يتخذه أئمة أهل البيت عليهم السلام تجاه مقتل الإمام الحسين عليه السلام وقضيته؟

وما الموقف الذي حددوه لشيعتهم وأتباعهم تجاه القضية الحسينية؟

وهذا هو السؤال الصحيح الذي ينبغي ان يطرح وذلك لأنهم اولياء دم الإمام الحسين عليه السلام وهم ابناؤه وهم ائمة اهل البيت عليهم السلام فهم الذين يحددون الموقف تجاه تلك القضية.

ولو غضضنا النظر عن ظروف قتل الامام عليه السلام لكان الجواب بشكل واضح أنه ينبغي لأهل البيت عليهم السلام وأبناء الإمام عليه السلام وأولياء دمه بل الأمة جمعاء يجب عليها أن تقف إلى جانبهم وتطالب بثأره والانتقام له ممن قتله وظلمه فتقابل الدم بالدم والسيف بالسيف.

وهذا أمر واضح لا غبار عليه ولكن حيث أن لقضية الإمام الحسين عليه السلام ظروفها الخاصة بها وأهمها تخلي الأمة عن واجباتها المهمة والكبرى من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتأييد الحق وأهله، ونبذ الباطل والظلم وأهلهما، وتخاذلها عن واجباتها تجاه قيادة أهل

البيت عليهم السلام وإمامتهم بل أكثر من ذلك فقد غدرت بهم وخذلتهم وأسلمتهم لعدوها وعدوهم.

فهل أن الأمة لديها الآن استعداد صادق للوقف وراء أهل البيت عليهم السلام والانضواء تحت قيادتهم؟

وهل أن ذلك الاستعداد في فرض وجوده سيستمر في كل الأحوال والظروف أم أنه سيكون كسابقه؟

ثم ما هي الضمانات التي يمكن أن يعتمد عليها أهل البيت عليهم السلام في التعويل على ذلك وعدم تكرار ما حدث مع الإمام الحسين عليه السلام؟

وهل لأهل البيت وأئمتهم عليهم السلام - في فرض أبدا المجتمع الإسلامي استعداده للوقوف إلى جانبهم - أن يثقوا به وخصوصا بعد ملاحظة حال المجتمع الكوفي وما أعطاه للإمام الحسين عليه السلام من عهود ووعود وبيعة ثم تخلى عنه؟

وبعد قول الإمام الحسين عليه السلام:

(الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درت معائشهم)[1].

(١) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٨٣.

قد تقدم الجواب عن ذلك وأن أئمة أهل البيت عليهم السلام لو أرادوا الطلب بثأر الإمام الحسين عليه السلام فلن يجدوا سوى ذلك المجتمع الذي كاتب الإمام الحسين عليه السلام سابقا بل لم يبد أي مجتمع من المجتمعات الإسلامية استعدادا ورغبة للأخذ بثأر الإمام الحسين عليه السلام سوى المجتمع الكوفي، ومع ذلك فلا يمكن لهم أن يثقوا به بعد أن غدر بالإمام الحسين عليه السلام وتخلى عنه وحصره وقتله. وقد تقدم أن الإمام زين العابدين عليه السلام رفض عرض أهل الكوفة.

وفشل كل الحركات التي حدثت بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام بمعنى عدم تمكنها من الصمود والاستمرار - وإن كان قد حقق بعضها بعض أهدافها - يؤكد ذلك وأن المجتمع ليس لديه الإيمان القوي والداعي الصادق للوقوف مع الحق والصمود أمام الظلم والجور وإعادة الحق إلى أهله.

فالقيام بالسيف لطلب ثأر الإمام الحسين عليه السلام غير ممكن خصوصا مع ذلك المجتمع بل مع عامة المجتمعات إذ أن طبيعة المجتمعات في انتمائها الديني هو كما ذكر الإمام الحسين عليه السلام (يحوطونه ما درت معائشهم).

ولهذا أرجى أخذ ثأر الإمام الحسين عليه السلام إلى الإمام الحجة صاحب الزمان فهو الطالب بذحول الأنبياء وأولاد الأنبياء والطالب بدم المقتول بكربلاء.

ولأجل كل ذلك لم يطرح أحد من أهل البيت عليهم السلام قضية الطلب بثأر الإمام الحسين عليه السلام بل تعاملوا مع قضيته بأسلوب آخر وهو الدعوة إلى إحياء مظلومية الإمام الحسين عليه السلام وإلى بيان المصائب التي جرت عليه وعلى أهل بيته في أيام عاشوراء وإلى اتخاذ يوم عاشوراء يوم حزن وبكاء يوم مصيبة وعزاء.

وحثوا شيعتهم ومن يستمع لقولهم على البكاء والتباكي لأجل مصيبة الإمام الحسين عليه السلام وبينوا الثواب العظيم على البكاء والتباكي والإبكاء عليه وذكروا حبهم لتلك المجالس التي يحيى فيها أمرهم ومصائبهم عليهم السلام ووجهوا شيعتهم إليها ولهذا النهج الأثر الكبير في حفظ الصورة الواقعية والحقيقية لقضية الإمام الحسين عليه السلام بكل خصوصياتها وتفاصيلها وأنها المظلومية الكبرى لمحمد وآل محمد عليهم السلام التي تنتظر المنتقم لها والمصيبة العظمى التي لا تبرد حرارتها في قلوب المؤمنين والفاجعة التي لم يعرف لها التاريخ مثيلا، وكذلك بقيت وستبقى عبر العصور تلقي بظلالها في كل عام على كل الأجيال المسلمة والمؤمنة تذكرهم بمظلومية آل رسول الله عليهم السلام

لتعرف ماذا جرى على ثقل النبوة وعدل القرآن وعترة نبيها صلى الله عليه وآله ومن أمر الله سبحانه بحبهم ومودتهم وطاعتهم وأصحاب الكساء الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

وبذلك أيضا يتضح الجواب عن السؤال الثاني وهوما هو الموقف الذي ينبغي لأهل البيت عليهم السلام اتخاذه تجاه قضية الإمام الحسين عليه السلام؟

ينبغي لهم الصبر إذ أنه لا يوجد الناصر الموثوق بنصرته.

وكما تقدم تفصيله فإنهم لا يمكن أن يثقوا بالمجتمعات الإسلامية في القيام بالسيف فالكوفة غدرت بالإمام الحسين عليه السلام فلا يمكن الاعتماد عليها وإن حصلت فيها بعض التحركات إلا أن مشهد الغدر تكرر فيها، والمدينة مع ظلم معاوية لها إلا أنها تحركت لاسترجاع نخليها التي أخذها معاوية وابن الزبير قام طمعا في الخلافة.

وحيث إنهم لا يتمكنون من القيام بالسيف فينبغي لهم حفظ قضية الإمام الحسين عليه السلام بكل وقائعها وتفاصيلها وإطلاع الأمة عليها ومن الطبيعي البكاء والحزن لها، ومن هنا كان نهجهم البكاء على الإمام الحسين عليه السلام.

وأعتقد أن هذه الدعوة إرشادية إلى ما ينبغي على المسلم فعله عند سماع مصيبة سيد الشهداء عليه السلام وإلا فكما تقدم فإن دواعي البكاء والحزن متعددة ومتوافرة في قضية الإمام الحسين عليه السلام.

وبهذا تتضح الإجابة عن الاستفهام الأول وهوما الذي ينبغي للأمة أن تتخذه تجاه قضية الإمام الحسين عليه السلام؟

فحيث إنها قاصرة عن الإصلاح والتغيير وإعادة الحق إلى أهله والأمور إلى نصابها فلا بد لها أن تعرف أن الإمام الحسين عليه السلام أبى أن يجعل الدين الذي جاء به جده المصطفى صلى الله عليه وآله وشيد أركانه وأعلى أمره سيف أبيه المرتضى عليه السلام واحتضنه أخوه المجتبى عليه السلام وأبى أن يجعله طليقا للطلقاء وأولاد الطلقاء وأبى أن يجعل لهم على رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام يدا يمنّون بها عليه وعليهم عليهم السلام فلا بد للأمة الإسلامية أن تحفظ هذه القضية من التزوير والتحريف وتحتضن قضية رسول الله صلى الله عليه وآله وقضية أهل بيته عليهم السلام بكل تفاصيلها وتتأثر لها وتبكي وتحزن عند سماعها ولا سيما في يومها يوم عاشوراء، فيجب على الكل البكاء والحزن واتخاذ يوم عاشور يوم مصيبة وحزن وبكاء وعزاء.

وبهذا يتضح جواب الاستفهام المتقدم لماذا البكاء دون غيره؟ ويتضح أيضا الجواب عن تلك المقولة لا تحيلوا الدم إلى دمع.

فإن المجتمعات الإسلامية ليس لديها المؤهلات الكافية والدوافع الذاتية الصادقة تجاه القضايا الإسلامية الكبرى والمصيرية ليثق بها أئمة أهل البيت عليهم السلام ويقودها نحو الإصلاح والتغيير بالسيف والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالقوة والطلب بدم الإمام الحسين عليه السلام ومن البديهي أن وجود أفراد قليلين صادقين في ولائهم لا يكفي للتغيير المطلوب.

ولهذا وجه أهل البيت عليهم السلام المجتمع الإسلامي نحو حفظ قضية الإمام الحسين عليه السلام وإحياء أمرهم وتجديد مصائبهم والبكاء والتباكي والإبكاء عليها.

فالبكاء والإبكاء والتباكي ليس فيها إحالة الدم إلى دمع بل هي وظيفة المجتمع المسلم تجاه قضية الإمام الحسين عليه السلام بعد أن لم يكن أهلا لتحمل مسؤولية التغيير والإصلاح، وهذا النهج في التعامل مع قضية الإمام الحسين عليه السلام هوما حدده أهل البيت عليهم السلام تجاه قضيتهم وهم أولياء دم الإمام الحسين عليه السلام. وسوف يأتي البحث عن أثر البكاء والتباكي لقضية الإمام الحسين عليه السلام.

ولا أعتقد أن أحدا يجرؤ على القول بأن آل محمد عليهم السلام قد حولوا دم الإمام الحسين عليه السلام إلى دمع أو تقاعسوا عن طلب ثأره أو ضيعوا قضيته وغيروا أهدافه ولا سيما بعد وضوح ضعف إيمان

الأمة وخوفها الموت وميولها إلى الدنيا وطمعها في الحرام، كما أن شدة بلاء أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم من قبل خلفاء الجور كان له أثر كبير فلم يترك فرصة يمكن استغلالها في ذلك فقد كان أئمة أهل البيت عليهم السلام في بلاء شديد ولهذا أرجأت مسألة الطلب بدمه عليه السلام وإصلاح ما فسد من الأمة وحملها على جادة الحق وإلزامها به بالقوة والسيف إلى قيام الطالب بذحول الأنبياء وأولاد الأنبياء الطالب بدم المقتول بكربلاء عليه السلام.

الشبهة الثانية:

اتهام كل من يُبكي للإمام الحسين عليه السلام بالتلاعب بعواطف الناس وقلوبهم فقيل: (لقد تم اللعب بعواطف الناس وقلوبهم حتى الآن من خلال قضية البكاء على سيد الشهداء، إذ أنه لم يكن هناكم عقل موجه أو هدف محدد من وراء ذلك البكاء هذا مع العلم أن وجود الهدف لا يكفي بل إن الأمر يتطلب وجود النظام والتنظيم والترتيب).

وفي هذا الكلام ثلاث دعاوي:

الأولى: دعوى اللعب بعواطف الناس من خلال قضية البكاء.

الثانيـة: عـدم وجـود عقـل موجـه أو هـدف محـدد مـن وراء البكاء.

الثالثـة: عـدم كفايـة وجـود الهـدف والحاجـة إلى وجـود نظـام وتنظيم وترتيب.

الدعوى الأولى:

فهي من أغرب مـا تسـمع وتـرى فإنـه يفـترض مـن صـاحب هـذه الكلمات انتماؤه لمذهب أهـل البيـت عليهم السلام وأنـه مـن أهـل العلـم وأنـه يعـي أن قضـية البكـاء عـلى الإمـام الحسـين عليه السلام قضـية ضرورية لكـل مـن ينتمـي لقـول لا الـه إلا الله محمـد رسـول الله صلى الله عليه وآله أداء لحـق الرسـالة، أو ينبغـي أن تكـون لـه، كـذلك فكيـف بمـن ينتمـي إلى مـذهب أهـل البيـت عليهم السلام وإلى تلـك القضـية فهـي قضـيته وهـو المصـاب فيهـا بإمامـه، وحيـث إن دواعـي وموجبـات البكـاء متـوفرة فيهـا كـما تقـدم فيكفـي عـرض تلـك المصـيبة بـل بعـض جوانبهـا ليتـأثر ويحـزن ويبكـي أي مستمع لهـا فضـلا عمـن تربطـه بصـاحبها رابطـة الإمامـة والولايـة ومـن الواضـح أن عـرض المصـيبة لـيس تلاعبـا بعواطـف النـاس فتلـك هـي الحقيقة المـرة التـي حـدثت والجريمـة الكـبرى التـي اقترفـت بـل لم يصـل لنا مـن تفاصـيل تلـك الفاجعـة إلا القليـل وبكـاء النـاس هومـا تقتضـيه

الطبيعة الإنسانية المعتدلة والانتماء الصادق لآل محمد والوفاء لحق محمد وآله عليهم السلام عند تصور تلك المصيبة أو سماعها وعليه فالبكاء والتأثر النفسي بل وتهييج العواطف لقضية سيد الشهداء ليس تلاعبا بعواطف الناس فهي المصيبة التي أقرحت جفون آل محمد عليهم السلام.

نعم يمكن أن يدعى أن تفنن بعض الخطباء في أساليبهم في عرض المصيبة وتركيزهم على بعض الجوانب المهمة لإلفات المستمع إلى الجهات المأساوية في قضية الإمام عليه السلام وإثارة شجونه وإلهاب عواطفه ليبكي بصدق وليذرف الدموع بحرارة ربما يدعي أن هذا هو المراد بالتلاعب بعواطف الناس، ولكنه من الواضح أن عرض المصيبة بأسلوب شجن ومحزن والتركيز فيها على جهاتها المأساوية أمر يرجع إلى الخطيب وقدرته الخطابية فما دام يساعد على البكاء فهو أمر مطلوب في نفسه وليس فيه أي تلاعب فإن المجلس الحسيني والعزاء لم يعقد إلا لذلك، هذا أولا.

ثانيا ك إن مسألة التأثر العاطفي أو تهيج النفوس والبكاء عند ذكر المصائب والفجائع في أكثر حالاته لا يكون أمرا إراديا فإن انكسار النفس وتأثرها أمر قهري فلذلك تجد الكثير لا يملكون أنفسهم من التأثر ولا دموعهم من الانهمار وإن تجلدوا، وعلى ذلك

فلا يوجد أي تلاعب بعواطف الناس إلا أن يدعى بأن نفس عرض مصيبة الإمام الحسين عليه السلام تلاعب.

وثالثا: إن الذي دفع الناس إلى ذكر مصيبة الإمام الحسين عليه السلام بقصد البكاء والإبكاء هم أهل البيت عليهم السلام وبينوا الثواب الكثير على البكاء والإبكاء وأمروا بذلك وحثوا عليه.

وعليه فلا أعلم لمن يمكن أن توجه تلك الكلمات (تم التلاعب)؟

الأئمة أهل البيت عليهم السلام الذين أمروا بذلك وحثوا عليه؟

أم لمن امتثل أمرهم وأجج العواطف تجاه تلك المصيبة فبكى وأبكى؟

أم لمن أبكى وتباكى حزنا وأسفا لمصابهم أو رجاء لما بينوا من الثواب؟

ثم ما عسى أن نقول في بكاء سيد العابدين عليه السلام اربعين سنة على ابيه وبكاء أهل البيت عليهم السلام في المجالس التي عقدوها وارتفاع أصواتهم بالبكاء والنحيب كالمجلس الذي ألقى فيه دعبل الخزاعي تائيته فيه على الامام الرضا عليه السلام وما عسى أن يقول أيضا في بعض ما تضمنته من تصور حال فاطمة الزهراء عليها السلام والتفجع لحالها أو غير

ذلـك ممـا يوجـب البكـاء وتـأجج العواطـف وتهـيج النفـوس حتـى تهاجت النساء بالبكاء وبكى الامام ﵇ وأجزل له العطاء.

الدعوى الثانية:

وهي عدم وجود عقل موجه أو هدف محدد من وراء البكاء.

فهـي لا تسـتند إلى برهـان ودليـل فـما هـي الا مجـرد دعـوى كـما أن تلك الدعوى غير تامة في نفسها وذلك لأمور:

الأول: أن البكـاء وإن قلنـا إنـه أمـر غـير إرادي إلا إنـه قـد يكـون له مقدمات إرادية فيكون لـه عقـل يوجـه فهـو إنـما يحصـل بسـبب قصـد مجـالس العـزاء والتوجـه للمصـيبة وإدراك خطـر تلـك القضـية في الاسـلام وعـلى المسـلمين والاحسـاس بفظاعتهـا وعظـم رزيتهـا في السـماوات والارضـين وعـلى قلـب محمـد والـه الطيبـين الطـاهرين، فوجه العقل لهـا واهـتم بهـا وتمعـن في اسبابها ولاحـظ تفاصـيلها فـأدرك عظـم مصـابها وأوجـب عـلى كـل مسـلم احيائهـا وألـزم التـأثر بهـا وانعكس ذلك عـلى الـنفس فحزنـت لهـا وعـلى العـين فبكـت عليهـا وإذا اتضح هذا اتضح أن للبكاء عقل يوجه.

الثـاني: إن وجـود الهـدف إنـما يكـون في الامـور الارادية وأمـا الامـور اللاإرادية القهرية فـلا معنـى لطلـب غاية أو فـرض وجـود

هدف فيها، فالباكي لتأثره من موقف ما بدون إرادة لا يقال له لابد من وجود هدف للبكاء فالبكاء نتيجة قهرية لنوعية الحدث نعم المقدمات الارادية من قصد المجالس الحسينية والجلوس والاستماع كلها امور اختيارية ومن الواضح وجود هدف وغاية فيها مطلوبة شرعا وعقلا وعرفا.

وثالثا: إن البكاء نتيجة ضرورية للارتباط الوثيق بمحمد وال محمد عليهم السلام وحبهم وولايتهم وهو من أوضح اللوازم لذلك الحب فالمحب يفرح لفرح حبيبه ويحزن لحزن حبيبه بل لا يرى مصائبهم الا مصائبه وأحزانهم الا أحزانه.

وبهذا أيضا تكون قضية البكاء موجهة عقلا لقاعدة السبب والمسبب فهي مسببة عن ذلك الارتباط بل لا يبعد أن يكون الامر أوسع من ذلك فكل إنسان معتدل الطبيعة فإنه بطبعه سوف يتأثر لتلك المصيبة ويبكي فلذلك بكى حتى من لا ينتمي لدين الاسلام عند سماع ما جرى عليهم، ولشدة مصائبهم بكى حتى أعداؤهم الذين عدوا عليهم وقتلوهم بكوا لهم ولحالهم والخلاصة هنا أن هناك عقل موجه.

ورابعا: إن في البكاء إعلان صريح لمظلومية سيد الشهداء عليه السلام وهو في واقعه صرخة استنكار في وجه من ظلمه ومن يحمل فكره

ويقبـل بفعلـه وهـذا في نفـس لازم للبكـاء بـل هـو هـدف للبكـاء أو بالأحرى هو نتيجة ضرورية للبكاء.

وخامسـا: الثـواب الحاصـل للمبكـي والبـاكي والمتبـاكي، وهـذا أيضا هدف.

وسادسـا: مواسـاة ال محمـد عليهم السلام في مصـيبتهم العظمـى ولا سـيما امـام زماننـا صـاحب الزمـان عليه السلام وعجـل الله تعـالى فرجـه، وهـذا أعظـم الاهداف، وهذا الامـر وسـابقيه أهـداف محـددة تتحقـق بالبكـاء نعـم قـد لا يلتفـت البـاكي الى ذلـك حـين بكائـه لتـأثره وتفاعلـه مـع المصـيبة وعـدم الالتفـات الى شيء لا يعنـي عـدم وجـود ه وتحققـه، وأمثلـة ذلـك كثـيرة كوجـود امـور ارتكازيـة محركـة لعمـل مـا دون الالتفـات اليهـا حين العمل.

وسـابعا: إن البـاكي والمتبـاكي قـد جـاء الى مجلـس العـزاء بمحـض إرادتـه ووجهـه اليـه ايمانـه وولايتـه وواضـح أن ذلـك خـلاف فرضـه إذ أنـه أمـر اختيـاري واختيـار السـبب اختيـار للمسـبب ولا يكـون الا في فرض إدراك العقل لغاية الفعل فيوجه نحوه.

ثامنـا: إن مـن أعظـم الاهـداف والغايـات امتثـال أوامـر ال محمـدعليهم السلام بإحيـاء امـورهم ومصـائبهم والبكـاء والتبـاكي علـيهم ومـن الواضح أن الملزم لامتثال الاوامر والموجه لها هو العقل.

وعلى ذلك فدعوى عدم وجود هدف محدد وعقل موجه في قضية البكاء على الامام الحسين عليه السلام لا أسا لها فهي باطلة.

الدعوى الثالثة:

وهي عدم كفاية وجود هدف والحاجة الى وجود نظام وتنظيم وترتيب.

فهذه أيضا دعوى غير تامة، وذلك لوجوه:

الاول: نقول ان وجود تلك الاهداف كاف للدعوى الى البكاء والإبكاء.

الثاني: على فرض عدم وجود النظام والترتيب فان ذلك لا يخرج تلك الاهداف عن المطلوبية ولا يمنع من السعي في تحقيقها.

الثالث: إن الحاجة الى النظام على فرضه لم يمنع من تحقق الهدف المنشود وراء البكاء ومجالس العزاء فتكون تلك الانظمة المفترضة على فرض صحتها ومطلوبيتها أمورا كمالية غير مؤثرة وجودا وعدما في الغاية والقصد، فلا عدمها مانع من تحقق تلك الاهداف ولا وجودها شرط فيما هو مطلوب.

الرابع: النظام والترتيب إن كان ه وجود عارض للمصيبة شاعرا كان أو خطيبا ووجود مستمع فهذا متحقق بل هوما يتحقق

به المجلس الحسيني وان كان مراده امرا اخر فلا دليل عليه ولا حاجة اليه.

ويكفينا دليلا على كفاية ذلك سيرة أهل البيت عليهم السلام مع قضية البكاء على الامام الحسين عليه السلام فكانوا يأمرون بالإنشاد في الحسين عليه السلام فاذا ما جاء الراثي ضربوا ملاءة وستارا للنساء وجلسن خلفه وجلسوا وجلسوهم عند الراثي فينشد ما عنده وكثيرا ما يروي أنها ترتفع الاصوات بالبكاء وتتهايج النساء بالصياح على الامام الحسين عليه السلام لسماع المصيبة واستمروا على ذلك وعلى منوالهم سار شيعتهم.

ولا أعتقد أن احدا ممن يواليهم يرى لنفسه مقاما الى جانب مقام أئمة أهل البيت عليهم السلام ليدعي انه يرتب تلك المجالس خيرا مما رتبها أهلها أو ينظمها أفضل من نظامهم عليهم السلام.

ثم إنه لو تنزلنا فإنه لم يذكر لنا ما يعتقده من أهداف توجيه عقل أو نظام للمجلس الحسيني لنستطيع تقييمها ودراستها بشكل موضوعي لنتعرف على قيمتها العلمية ونقيم خدماتها لقضية الامام الحسين وتأثيرها في مسيرتها مدى تأييدها بروايات أهل البيت عليهم السلام وأقوالهم وما ورد عنهم.

هـذا إن كانـت الاهـداف مبنيـة عـلى اسـس عقليـة أو عقلائيـة أو شرعيـة وأمـا إن كـان الهـدف مـن ذلـك توظيـف المجـالس الحسـنية لأهـداف وأغـراض أخـرى واسـتغلال فرصـة تواجـد النـاس فمـن اواضـح عـدم توقـف وتحقـق غايـة المجلـس الحسـيني عليهـا، هـذا إن كانـت شرعيـة وامـا ان كانـت أغراضـا شخصـية أو حزبيـة أو سياسـية تجهل عزاء الامام الحسين عليه السلام وسيلة للوصول اليها فالأمر أوضح.

والمهم أن المجـالس الحسـينية لـيس كـما يـدعي أنهـا مـن دون نظـام وترتيـب بـل هـي مرتبـة ومترتبـة ومنتظمـة فخطيـب يقـرأ ومسـتمع واع وزيـن جـاء بمـلء إرادتـه، إمـا لان المصـيبة مصـيبته أو لمواسـات آل محمـد عليهم السلام أو امتثـالا لأوامـرهم وتوجيهـاتهم تجـاه قضـية الامـام الحسـين عليه السلام. نعـم هـي بهـذه الصـورة لا تخـدم الاتجاهـات السياسـية والاغـراض الشخصـية وإنـما تخـدم قضـية ال محمـد عليهم السلام والنتيجـة لمـا تقدم كله أن تلك الدعوة لا دليل عليها ولا أساس لها من الصحة.

الشبهة الثالثة:

وهـي مـا يثـار في هـذ الازمنـة مـن أن البكـاء والعـزاء عـلى الامـام الحسـين عليه السلام بصـوره الحاليـة ظـاهرة غـير حضـارية، فهـو ينقـل صـورة

بدائية متخلفة عن المجتمعات الشيعية وعقائدها وخصوصا لدى المجتمعات الغربية المتحضرة.

فهو أسوأ ما سمع من الاعتراضات على قضية البكاء والعزاء الحسيني وذلك لوضوح صدوره من مغرم بالمجتمعات الغربية بل ممن يخجل من المجتمعات الغربية أن تراه يبكي ويعزي، ولا يستحي من ربه إذ يراه قد تبع تلك المجتمعات وسعى في إرضائهم وترك ما يرضي ربه.

والمهم أن ذلك الاعتراض لم يعتمد على دليل وانما صدر من مغرم بتلك الثقافات فأصبحت مبدأه الاعلى في تقييم الثقافة والفكر، وعنوانه للتقدم والتأخر فالحسن ما استحسنه الغرب والقبيح ما استقبحه.

ولكن هل المجتمعات الغربية هي أرقى المجتمعات الانسانية فكرا؟

وهل استطاعت أن تثبت أن انتماءاتها الدينية أو علاقاتها الاجتماعية بل وحتى نظمها الاقتصادية مبنية على أسس فكرية وعقلية صحيحة تمثل أعلى وأرقى الفكر الانساني؟

وهل عادت فلسفتها المادية على مجتمعاتها وعلاقاتها بالرخاء والاستقرار فقوت روابط المجتمع ونمت علاقاته؟ أم أنها أبعدت

مجتمعاتها عن أهم الركائز الاجتماعية بل الانسانية وجعلتها تعيش حياة الغاب فلا روابط اجتماعية أكثر من المنفعة ولا أمن ولا استقرار، فالأب يخاف ابنه والزوجة تخاف زوجها والفقير يخاف الغني والعكس بالعكس والكل يتحين الفرصة في الاخر.

إن الباحث ليجد أن علماء الاجتماع الغربيين أنفسهم وهم الذين قادوا مجتمعاتهم الى الانحلال الاخلاقي والديني ووظفهم السياسيون لذلك يعترفون بانفصام روابط المجتمع وأن قوانينهم الوضعية قادت مجتمعاتهم الى حياة الغاب فلا أمن ولا أمان ولا أخلاق ولا آداب ولا دين ولا قيم، وقيمة المرء عندهم ما يملك واحترامه بمنفعته الى غير ذلك من اثار الركون الى الدنيا ونسيان الاخرة. ثم انه متى كان نظر تلك المجتمعات وتصوراتها هي المبدأ في حسن ظاهرة أو تقيمها، ولاسيما الدينية والاخلاقية منها.

كما ان ذلك الكلام ينجر الى كل الاعمال العبادية التي رفضها الغرب العلمانية المادي، وفسرها علماء الاجتماع عندهم على اساس مادي، وفسرها علماء الاجتماع عندهم اساس مادي من تلبية بعض النوازع النفسية أو الاحساس بالنقص أو غير لك من خرافاتهم وسخافاتهم التي لا واقع لها.

وعليه فلنترك العبادات ايضا لان الغرب لا يرى لها واقعا فهولا يراها سوى خرافات ومظاهر مختلفة ولاسيما مثل الحج والطواف والوقوف بعرفة والصلاة والصيام وغيرها من العبادات بل حتى الايمان بالله والجنة النار ويوم القيامة كل المعتقدات الدينية والاخلاقية لا يراها الا خرافات لابد من التخلص منها ونبذها ولذلك أبعدها عن مجتمعه وأبعد المجتمع عنها.

والمهم ان المسير وراء تلك الاعتراضات لا نتيجة له إلا رفض الدين ورفض الانتماء إليه في كل معتقداته وأحكامه حلاله وحرامه وجعل الدنيا أما وأبا دينا ومذهبا.

إن المقياس للتقدم والتخلف لي رضا الغرب بوجوهه المختلفة نصارى ويهود وملحدين وكافرين أو ماديين وماركسيين وعلمانيين فإن أمرهم معروف عند الزمن الاول للإسلام:

﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾(١).

فالمقياس الحقيقي لأي قضية يراد تقييمها فكريا وأي ظاهرة يراد معرفة قيمتها العقلية واثارها الاجتماعية هو العقل والاسس العقلائية ورضا الله سبحانه وتعالى وموافقتها لكتاب الله وقول

---

(١) سورة البقرة: ١٢٠.

رسوله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام الذين لن يفترقوا عن القران في قول أو عمل حتى يردوا على رسول الله ﷺ وسلم الحوض.

وكل ذلك متحقق في قضية الامام الحسين عليه السلام فالعقل والعقلاء يدعوان لإحيائها وفي إحياء لذكر الله وتعظيم لشعائر الله وقد تقدم تفصيل ذلك، كما أن في إحيائها رضا الله سبحانه إذ أن الامام الحسين عليه السلام استشهد في طاعة الله ورضاه ولخوفه وتقواه وحبه ورجائه فقضيته قضية ذكر الله والرضا بالله وبقضائه وخوفه وتقواه وحبه ورجائه والثقة بوعده والخوف من وعيده وإحياء قضية الامام الحسين عليه السلام أحياء لكل تلك المبادئ إذ قتلت بقتله لتجليه فيها فقد تجلى الامام الحسين عليه السلام في حبه الله وفي كل تلك المبادئ فذكر ربه ونسي نفسه وكل الامة وجراحاته ومصائبه وناجى ربه وحبيبه ولذلك جعله الله سبحانه وتعالى وأخاه سيدي شباب اهل الجنة وهل يدخل الجنة دون رضا سيدي شبابها؟

والخلاصة: أنه يجب على الانسان المؤمن ان يبحث عن رضا الله سبحانه ورضا رسوله ﷺ وأئمته عليهم السلام فيعمل ما يرضيهم ويسير على نهجهم ويستن بسننهم سواء استحسن الغرب ذلك أم استهجنه.

الشبهة الرابعة:

وهـي القـول بـأن الامـام الحسـين عليه السلام لم يقتـل ليبكـي عليـه بـل ليخلـد مبادئـه التـي قتـل لأجلهـا ولتقتـدي الشـعوب بـه ولتتمسـك بمبادئه.

والجـواب عـن ذلـك واضـح فإنـه لم يـدع أحـد أن الامـام الحسـين عليه السلام قتـل ليبكـي عليـه وفقـط، إلا أن ذلـك لا يمنـع مـن البكـاء عليـه ولاسـيما بعـد ضـعف الامـة أمـام مغريـات الـدنيا وزينتهـا وزخرفهـا وخوفهـا المـوت، فـلا بـد م حفـظ قضـية الامـام الحسـين عليه السلام وحيـث إن أوليـاء دم الامـام الحسـين عليه السلام أمـروا شـيعتهم بإحيـاء أمـرهم والبكـاء والتبـاكي لمصـائبهم أصـبح ذلـك واجبـا علـيهم، كـما ان الاقتـداء بالإمـام الحسـين عليه السلام وتخليـد مبادئـه وإحيائهـا والتمسـك بهـا لا يتنـافى مـع البكـاء عليـه بـل يتفـق معـه تمـام الاتفـاق ويتسـق معـه كـل الاتسـاق فبالبكـاء عليـه وتجديـد الأحـزان لـه وذكـر قضـيته وإحيـاء مصـيبته تتجـدد كـل مبـادئ الامـام الحسـين عليه السلام وتحيـى كـل قيمـه فتعيشها الشـعوب واقعـا ملموسـا تؤيـد فيـه مـن يؤيـدها ويحيهـا، وتنبـذ كـل مـن يقتلهـا ويميتهـا أو يميـت ذكرهـا ويمنـع إحيائهـا وبـذلك تتعرف عليها فتقتدي بها.

فـإكرام رسـول الله صلى الله عليه وآله في ولـده وإعـلاء ذكـر الله وحبـه وتقـوى الله وطلـب رضـاه والوقـوف الى جانـب الحـق والوثـوق بوعـد الله والخـوف مـن وعيـده والابتعـاد عـن الغـدر ورفـض الذلـة وبيـع الـدين بالـدنيا وعـدم الركـون إليهـا وغـير ذلـك مـن المبـادئ العاليـة كلهـا خلـدت مـع خلـود قضـية الامـام الحسـين عليه السلام فهـي تتجـدد مـع تجـدد قضـيته وتـذكر مـع ذكرهـا وتعـود معهـا وتحيـا بإحيائهـا بـل إن البـاكي عليه ولا تنافيها أبدا.

وأما تقـدم الشـعوب فمتـى قلنـا إن البكـاء عـلى الامـام الحسـين عليه السلام بكـاء عـلى كـل تلـك المبـادئ التـي قتلـت بقتلـه وإحيـاء قضـية الامـام الحسـين عليه السلام والبكـاء عليـه دعـوة صـادقة لإحيـاء كـل تلـك المبـادئ ومقت كـل مـا يقتلهـا فمـن الواضـح جـدا أن حيـاة تلـك المبـادئ كافيـة لإحياء الشـعوب وكفيلـه بتقـدمها في الـدنيا والاخـرة ففـي الـدنيا بحيـاة العـز والكرامـة وفي الاخـرة برضـا الله والجنـة، نعـم إذا أحيـت الشـعوب قضية الامام الحسـين عليه السلام فقـد أحيـت مبادئـه ومتـى تمسـكت بهـا تقـدمت في الدنيا وفازت برضا الله سبحانه وأوصلتها الى الجنة.

والخلاصـة: إن البكـاء عـلى الامـام الحسـين عليه السلام ظـاهرة مرغـوب فيهـا شرعـا وعقـلا وعرفـا لرضـا الله سـبحانه ولحبـه ولـذكره فتجـد

الامام عليه السلام يغتصب أنفاسه اغتصابا لا ليحيي هو بل ليحيي ذكر الله سبحانه ويعلي ذكره.

كما أن بكاء الرسول وأئمة أهل البيت عليهم السلام بل والانبياء والسماء والأرض كل ذلك يدل دلالة واضحة على مطلوبيته شرعا وحيث إن أسباب البكاء موجودة في قضية الامام الحسسين عليه السلام بكثرة وكلما وجد السبب وجد المسبب فهي مطلوبة عقلا وطبعا بل عدم البكاء هو خلاف ما يحكم به العقل ويقتضيه الطبع الانساني الذي بني على البكاء والحزن لما يحزن.

كما انه كل من يكن لشخصية احتراما كثيرا وحبا وإكبارا وإكراما وولاء صادقا وطاعة ثم أصابها مكروه أو مصيبة في نفسها أو ولدها فبكى لمصابها فإن العقلاء يرون ذلك أمرا طبيعيا بل يرون من لا يحزن له ولا يبكي لذلك لا وفاء له وليس صادقا في دعوى حبه وولائه ولا يحمل بين أضلعه نفسا إنسانية ولا يرونه إلا مخالفا لسيرة العقلاء وبهذا تتضح مطلوبيته عرفا وطبعا وأيضا فإن البكاء على الامام الحسين عليه السلام بكاء لأعلى المبادئ الإنسانية التي قتل من أجلها والقيم التي استشهد ليخلدها فإحياء مصيبته والبكاء عليها يعمق جذورها في النفس الانسانية وبذكر الامام الحسين عليه السلام تذكر تلك المبادئ وتحيى فتحيى بها الشعوب وتتقدم.

فلسفة البكاء على الحسين عليه السلام:

لقد أصبح للبكاء على الحسين عليه السلام فلسفته الخاصة به والتي بها تنبني نفس ونفسية الباكي إذ أن البكاء عليه وله ولكل تلك المظاهر التي تجلى فيها ولكل تلك المبادئ التي قتل لأجلها ليخلق في نفس الباكي حبا لها ونفرة من كل ما يقتلها ويميتها فهذا الانفعال النفسي الناتج من الرحمة والرقة الشديدة والتعجب وتكرره يولد في نفس الباكي حبا لمن يبكي عليه بل يولد واقعا انتمائيا وتصنيفا حقيقيا، انتماء لكل تلك المبادئ وتصنيفا حقيقيا للباكي وغيره، فالباكي محب والمحب مع من أحب ومع كل تلك المبادئ (أنت مع من أحببت ولك ما اكتسبت)[1]. ولو لم يكن إلا في تلك اللحظات التي يبكي فيها بصدق حبا ووفاء فهو مع من بكى، وله ثواب بكائه عليهم وقد تكون تلك اللحظات سببا للسعادة الابدية لصدقه مع الله سبحانه ووفائه لرسوله وأهل بيته عليهم السلام، كما أن البكاء للإمام الحسين عليه السلام وحالاته وما تجل فيها يكون دافعا حقيقيا للتحلي بكل تلك المظاهر إذ أنه يبكي لحب الله الذي قتل بقتل الامام الحسين عليه السلام

---

(١) بحار الأنوار، ج٣٩، ص٢٢٨.

فينغرس في قلبه حب الله سبحانه وذكره والثقة به وبوعده أيضا وكل ذلك بسبب بكائه على الامام الحسين عليه السلام، وبتكرار ذلك يتولد لدى الباكي من حيث لا يشعر حب تلك الأمور ويجد دافعا ذاتيا تجاه تلك المبادئ فيتحرك خارجا ليحقق تلك الأمور في نفسه وأهله وهذا بنفسه ما يسعى له الانبياء عليهم السلام ويريدوه من مجتمعاتهم، تربية الناس على حب الله وذكره والثقة بوعده والخوف من وعيده وإيجاد الدوافع الذاتية لكل الدوافع الذاتية لكل ذلك في نفوسهم.

كما إنه يولد في نفس الباكي النفرة من القاتل وصفاته بل من كل ما يقتل تلك الأمور، فهو يكره الغدر لان به قتل الحسين عليه السلام ويكره كل ما يقتل ذكر الله وحبه وحب رسوله واله عليهم السلام بل كل ما يوجب موت تلك الأمور في نفسه فهو سوف يكرهها لأنها صفات أعداء الامام الحسين عليه السلام وقتلته، والاتصاف بها كان سبب قتل الامام عليه السلام، ويمكن لنا ان نقول: إن البكاء على الامام الحسين بملاحظة ما تقدم جعل من الانسان المؤمن يعش حالة صادقة مع ربه ومع نفسه فهو يبكي بكل صدق على الحسين عليه السلام وعلى كل المبادئ التي قتلت بقتله، ومن البديهي أن ما يريده الانبياء عليه السلام من أممهم هو تلك الحالة الصادقة مع الله سبحانه ومع أنفسهم وبهذا

تكـون قضـية الحسـين عليه السلام اسـتطاعت ان توجـد في نفـس المـؤمن مـا لم توجده الادلة والبراهين والوعد والوعيد.

وبهـذا البيـان أسـتطيع أن أقـول: إن ظـاهرة البكـاء عـلى الامـام الحسـين عليه السلام أصـبحت لهـا فلسـفتها الخاصـة بهـا وبـذلك يتضـح وجـه اخـر مـن أوجـه مطلوبيتهـا فقـد أصـبحت بـذلك مـن الامـور المربيـة للإنسـان المـؤمن عـلى كـل خـير يحبـه الله سـبحانه ولـذلك تجـد عظـماء البشـرية عامـة ونبينـا محمـد صلى الله عليه وآله خاصـة وهـو أعظمهـم خطـرا وأعلاهـم شـأنا عنـد الله كـما يبكـى مـن خـوف الله يبكـي لمصـيبة الحسـين عليه السلام وكـذا الصـفوة التـي أختارهـا الله سـبحانه وتعـالى عـلى العـالمين لتكـون فخـر البشــرية فجعلهــم ال ياســين وال رســول الله صلى الله عليه وآله وعترتــه وأهــل بيتــه والأئمـة عليهم السلام مـن بعـده والـذين لا تلهـيهم تجـارة ولا بيـع عـن ذكـر الله تراهم أيضا يبكـون لمصـيبة سـيد الشـهداء عليه السلام كـما يبكـون مـن خشـية الله وأمـروا شـيعتهم بـذلك وتجـلى ذلـك واضـحا في حيـاتهم، ولاسـيما سـيد السـاجدين وزيـن العابـدين عـلي بـن الحسـين عليه السلام الـذي بكـى عـلى أبيـه الامـام الحسـين عليه السلام ومصـابه ومصـاب أهـل بيتـه ونسـائه أربعـين سـنة ولا يقـدم لـه الطعـام الا ذكـر جـوع الحسـين عليه السلام ولا شرابـا الا ذكـر عطـش الحسـين وال الحسـين عليهم السلام بـل تـراه يمـزج دموعـه مـن خشـية الله

في سجوده وعبادته مع دموعه وبكائه على أبيه الامام الحسين عليه السلام، وهو الذي عرف عبادته وخشوعه وورعه وتقواه وخوفه من ربه المؤالف والمخالف حتى عرفه الجميع بزين العابدين وسيد الساجدين عليه السلام.

وليس ذلك ألا لان البكاء على الحسين عليه السلام هو بكاء لذكر الله وخوفه وحبه ورضاه فهو لا يتنافى مع البكاء من خشية الله سبحانه وتعالى.

ولعله لذلك كان البكاء لأي أمر دنيوي مبطل للصلاة ولكن البكاء فيها لسيد الشهداء عليه السلام ليس مبطلا لامتزاجه بالبكاء لذكر الله سبحانه وتعالى ولكونه من مصاديق البكاء حبا لله وخوفا منه. ولأجل ذلك كله قلنا ايضا بأن إحياء ذكرى شهادة أبي عبد الله عليه السلام من أهم أسباب تعميق تلك المبادئ في نفوس الشعوب فتتقدم بها وتسعد بالعمل بها دنيا واخرة.

هذا ما أردنا ذكره عن ظاهرة البكاء ولنستعرض الان جملة من الروايات التي وردت في البكاء على الامام الحسين عليه السلام.

روايات البكاء:

روى الخاصة والعامة روايات متعددة في البكاء على الامام الحسن عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وامير المؤمنين وعن بكاء السماء والارض والجن والملائكة.

فمما رواه علماء السنة ما رواه ابن حجر في صواعقه في بكاء النبي صلى الله عليه وآله وامير المؤمنين عليه السلام.

قال: (اخرج بن سعد عن شعبي قال: مر علي عليه السلام بكربلاء عند مسيره الى صفين وحاذى نينوى -قرية على الفرات - فوقف وسأل عن اسم هذه الأرض فقيل كربلاء فبكى حتى بل الأرض من دموعه ثم قال:

دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يبكي فقلت: ما يبكيك؟

قال: كان عندي جبرائيل انفا وأخبرني أن ولدي الحسين يقتل بشاطئ الفرات بموضع يقال له كربلاء ثم قبض جبرائيل قبضة من تراب إياه فلم أملك عيني أن فاضتا).

ورواه أحمد مختصرا عن علي قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وآله... الحديث.

وروى الملـه:(أعـلا مـر بقـبر الحسـين فقـال: هاهنـا منـاخ ركـابهم وهاهنـا موضـع رحـالهم وهاهنـا مهـراق دمـائهم فتيـة مـن ال محمـد يقتلون بهذه الأرض تبكي عليهم الماء والأرض)(١).

وأيضـا فيـه ص(٢٩٤) قـال: وذكـر أبـو نعـيم الحـافظ في كتـاب دلائل النبوة عن نصرة الأزدية أنها قالت:

(لما قتـل الحسـين بـن عـلي أمطـرت السـماء دمـا فأصـبحنا وجبابنـا وجرارنـا مملوئـة دمـاً وكـذا روي في أحاديـث غـير هـذه وممـا ظهـر يـوم قتله م الآيـات أيضـا ظـان السـماء اسـودت اسـودادا عظـيما حتـى رأيـت النجوم نهارا ولم يرفع حجر إلا وجد تحته دم عبيط)

وفي ص (٢٩٧) قال: وأخرج الملا:

(عـن أم سـلمه أنهـا سـمعت نـوح الجـن عـلى الحسـين ، وعـن ابن سعد عنها أنها أبكت عليه حتى غشي عليها)

إلى غير ذلـك مـن الروايـات التـي رواهـا ابـن حجـر في صـواعقه، وقـد أخـذنا منهـا مـورد الحاجـة فمـن أراد المزيـد فليراجـع كتابـه الصـواعق المحرقـة م صـفحة (٢٩٢-٢٩٧) فانـه يجـد فيهـا بجـلاء خطـر قضـية الامـام الحسـين وعظمهـا عنـد الله وعنـد رسـوله ويجد غضب الله كذلك وانقلاب تراب كربلاء دما.

---

(١) الصواعق المحرقة، ابن حجر، ص٢٩٣.

والمهم هما ما ذكره من بكاء النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام والسماء والأرض والجن فيعلم بذلك رجحان البكاء عليه قبل مقتله فالبكاء عليه بعد مقتله أولى.

وقد روى المجلسي في بحار الأنوار روايات كثيرة جدا في بكاء الأنبياء وحملهم لمصيبة الامام الحسين عليه السلام وأن مصيبته أشد المصائب، فمنها في بكاء ادم قال:(روى صاحب الدر الثمين في تفسير قوله تعالى ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾.

انه رأى ساق العرش وأسماء النبي والأئمة عليهم السلام فلقنه جبرائيل قل يا حميد بحق محمد ويا عالي بحق علي ويا فاطر بحق فاطمة ويا محسن بحق الحسن والحسين ومنك الإحسان، فلما ذكر الحسين عليه السلام سالت دموعه وانخشع قلبه وقال: يا أخي جبرائيل في ذكر الخامس ينكسر قلبي وتسيل عبرتي؟

قال جبرائيل: ولدك هذا يصاب بمصيبة تصغر عندها المصائب.

فقال: يا أخي جبرائيل وماهي؟

قال: يقتل عطشانا غريبا وحيدا فريدا ليس له ناصر ولامعين ولو تراه يا ادم وهو يقول: واعطشاه وا قلة ناصراه حتى يحول العطش بينه وبين الماء كالدخان فلم يجبه احد إلا السيوف وشرب

الحتوف، فيذبح ذبح الشاة من قفاه، وينهب رحله أعداؤه وتشهر رؤوسهم هو وأنصاره في البلدان ومعهم النسوان كذلك سبق في علم الله في علم الواحد المنان، فبكى ادم وجبرائيل بكاء الثكلى)[1].

وكذلك ايضا ورد عن نوح في رواية بنائه للسفينة:

(عن النبي ﷺ.... الى ان قال: ثم ضرب بيده مسمارا خامسا فزهر وانار واظهر النداوة، فقال جبرائيل: هذا مسمار الحسين عليه السلام فأسمره الى جانب مسمار ابيه، فقال نوح: يا جبرائيل ما هذه النداوة؟

فقال: هذا الدم فذكر قصة الحسين عليه السلام وما تعمل الامه به فلعن الله قاتله وظالمه)[2].

وكذا عن نبي الله ابراهيم على نبينا وآله وعليه السلام:

(لما مر بكربلاء فعثرت رجله.. إلى أن قال فنزل جبرائيل وقال: يا إبراهيم ما حدث منك ذنب ولكن هنا يقتل سبط خاتم الأنبياء).

وروي مثله أيضا عن آدم وموسى ومعه يوشع ابن نون وعيسى.

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٢٣٠.

(٢) نفس المصدر.

وفي رواية طويلة نأخذ منها محل الشاهد عن ابن عباس قال:

(كنت مع أمير المؤمنين عليه السلام في خرجته إلى صفين فلما نزل بنينوى وهو بشط الفرات قال بأعلى صوته: يا ابن عباس أتعرف هذا الموضع؟

قلت له: ما أعرفه يا أمير المؤمنين.

فقال عليه السلام: لو عرفته كمعرفتي لم تكن تجوزه حتى تبكي كبكائي.

قال: فبكى طويلا حتى اخضلت لحيته وسالت دموعه على صدره وبكينا معا وهو يقول أوه، أوه مالي ولآل أبي سفيان؟

مالي ولآل حرب حزب الشيطان أولياء الكفر؟

صبرا يا أبا عبد الله فلقد لقي أبوك مثل الذي تلقى منهم.

إلى أن قال: يا بن عباس اطلب في حولها بعر الظباء فوالله ما كذبت ولا كذبت، وهي مصفرة، لونها لون الزعفران، إلى أن قال: ثم قام يهرول إليها فحملها وشمها وقال: هي، هي بعينها أتعلم يا ابن عباس ما هذه الأبعار؟ هذه قد شمها عيسى بن مريم وذلك أنه مر بها ومعه الحواريون فرأى هاهنا ظباء مجتمعه وهي تبكي فجلس عيسى وجلس معه الحواريون فبكى وبكى معه الحواريون وهم لا يدركون لم جلس ولم بكى.

فقالوا: يا روح الله وكلمته ما يبكيك؟

قال: أتعلمون أي أرض هذه؟

قالوا: لا

قال: هذه أرض يقتل فيها فرخ الرسول أحمد ﷺ وفرخ الحرة الطاهرة البتول شبيهة أمي ويلحد فيها طينة أطيب من المسك لأنها طينة الفرخ المستشهد وهكذا يكون طينة الأنبياء وأولاد الأنبياء فهذه الظباء تكلمني وتقول: إنها ترعى في هذه الأرض شوقا إلى تربة الفرخ المبارك وزعمت أنها آمنة في هذه الأرض، إلى أن قال: ثم بكى (يعني أمير المؤمنين) بكاء طويلا وبكينا معه حتى سقط لوجهه وغشي عليه طويلا ثم أفاق فأخذ البعر فصره في ردائه وأمرني أن أصرها كذلك ثم قال يا ابن عباس إذا رأيتها تنفجر دما عبيطا ويسيل منها دم عبيط فاعلم أن أبا عبد الله قد قتل بها ودفن . إلى آخر الخبر)[1].

وأيضا روي بكاء زكريا بل وندبته فقد روي:

(أن زكريا لما أنبأه الله عز وجل عن قصة الحسين عليه السلام لم يفارق مسجده ثلاثة أيام ومنع فيها لأناس من الدخول عليه وأقبل على البكاء والنحيب وكانت ندبته:

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٢٥٢.

إلهي أتفجع خير جميع خلقك بولده.

إلهي أتنزل بلوى هذه الرزية بفنائه.

إلهي أتلبس عليا وفاطمة ثياب هذه المصيبة.

إلهي أتحل كربة هذه الفجيعة بساحتهيها إلخ)[1].

وأما بكاء النبي صلى الله عليه وآله لمصيبة أبي عبد الله عليه السلام فقد تواترت بها الأخبار لدى الشيعة والسنة وكذا بكاء أهل البيت عليهم السلام.

كما أن الروايات المتضمنة الأمر بالبكاء والإبكاء والثواب الجزيل عليهما كثيرة جدا بل هي متواترة نذكر منها هذه الرواية تبركا عن الريان بن شبيب قال:

(دخلت على الرضا عليه السلام في أول يوم من محرم فقال لي: يا بن شبيب أصائم أنت فقلت: لا فقال: إن هذا اليوم هو اليوم الذي دعا فيه زكريا ربه عز وجل فقال: ﴿**رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ**﴾ فاستجاب له وأمر الملائكة فنادت زكريا وهو قائم يصلي في المحراب ﴿**أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى**﴾ فمن صام هذا اليوم ثم دعا الله عز وجل استجاب الله له كما استجاب لزكريا عليه السلام).

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ص٤٦١؛ بحار الأنوار، ج٤٤، ص١٧٨.

ثم قال: يا ابن شبيب إن المحرم هو الشهر الذي كان أهل الجاهلية فيما مضى يحرمون فيه الظلم والقتال لحرمته فما عرفت هذه الأمة حرمة شهرها ولا حرمة نبيها لقد قتلوا في هذا الشهر ذريته وسبوا نساءه وانتهبوا ثقله فلا غفر الله لهم ذلك أبدا.

يا ابن شبيب إذا كنت باكيا لشيء فابك للحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام فإنه ذبح كما يذبح الكبش وقتل ومعه أهل بيته ثمانية عشر رجلا ما لهم في الأرض شبيهون، ولقد بكت السماوات السبع والأرضون لقتله ولقد نزل إلى الأرض من الملائكة أربعة آلاف لنصره فوجدوه قد قتل فهم عند قبره شعث غبر إلى أن يقوم القائم، فيكونون من أنصاره وشعارهم (يا لثارات الحسين).

يا ابن شبيب لقد حدثني أبي عن أبيه عن جده: أنه لما قتل جدي الحسين عليه السلام أمطرت السماء دما وترابا أحمرا.

يا ابن شبيب: إن بكيت على الحسين حتى تصير دموعك على خديك غفر الله لك كل ذنب أذنبته صغيرا كان أو كبيرا قليلا كان أو كثيرا.

يا بن شبيب: إن سرك أن تلقى الله عز وجل ولا ذنب عليك فزر الحسين عليه السلام.

يا ابن شبيب: إن سرك أن تسكن الغرف المبنية في الجنة مع النبي صلى الله عليه وآله فالعن قتلة الحسين عليه السلام.

يا ابن شبيب إن سرك أن يكون لك من الثواب مثل ما لمن استشهد مع الحسين فقل متى ما ذكرته:

﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(١).

يا ابن شبيب: إن سرك أن تكون معنا في الدرجات العلى من الجنان فاحزن لحزننا وافرح لفرحنا، وعليك بولايتنا فلو أن رجلا تولى حجرا لحشره الله يوم القيامة)(٢).

من هذه الروايات يتضح كل ما قدمناه من حمل الأنبياء عليهم السلام لقضية الإمام الحسين عليه السلام وبكاؤهم عليه وبكاء نبينا صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام فبالبكاء عليه بعد قتله اقتداء بهم أولى، كما ظهر أيضا اتفاق روايات الشيعة والسنة على بكاء السماء والأرض دما حزنا على قتل الإمام الحسين عليه السلام كما يتضح أيضا أنها قضية الإمام الحجة عليه السلام، فشعاره يا لثارات الحسين عليه السلام.

كما أن المحب لهم هو من يعتقد بولايتهم فيحزن لحزنهم ويفرح لفرحهم، إلى غير ذلك مما تضمنته الرواية.

---

(١) سورة النساء: ٧٣.

(٢) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٢٨٦.

المجلس الحسيني ومنبره:

هدفه وتطوره:

المجلس الحسيني هو المجلس الذي يعقد لذكر مصاب الإمام الحسين عليه السلام وغايته البكاء والإبكاء على الإمام الحسين عليه السلام وقد مر المجلس الحسيني بمراحل تطور عديدة نتج عنها منهجا خاصا واسلوبا فريد في عقده وأخذ طابعا متميزا له عن سائر مجالس التعزية والظاهر أن المجلس الحسيني قد بدأ بالظهور والتبلور بصورة مجلس حسيني في أيام الإمام الصادق عليه السلام.

وأما ما قيل من أن أول مجلس هوما عقدته فخر المخدرات زينب عليها السلام في الشام أوفي كربلاء أو ان أول مجلس كان من زين العابدين عليه السلام في الشام عندما خطب في أهلها أوفي المدينة عند رجوعه إليها فمن الواضح أنها لم تكن بصورة المجالس الحسينية بل هي من التعازي المتعارفة في ذلك الوقت التي تعقب المصاب وما كان منه في الشام فهو ندبة للإمام عليه السلام وتعريف لأمرهم.

وعلى كل فتلك ليست هي المجالس الحسينية المختصة بصورته الفريدة وطابعه المتميز وإن كانت عقدت لأجل الحسين عليه السلام أو لنقل بصورة أدق: إن المجلس الحسيني لم يوجد بعدُ ولم تتضح

معالمه ولم يتبلور شكله ولم تتضح صورته بعدُ أو يستقل بأسلوبه الفريد ونهجه الخاص.

وبالطبع لا يعني ذلك أنه لا يوجد من يبكي الإمام الحسين ﷺ وينعاه ويرثيه ويندبه فهناك الكثير ممن نعاه ورثاه ولكن ليس بأسلوب المجلس الحسيني وعلى كل فلقد بدأ المجلس الحسيني تتبلور معالمه وتظهر صورته في عهد الإمام الصادق ﷺ، فكان يجتمع الشيعة ويتذاكرون أمر أهل البيت ﷺ وما جرى عليهم ويبكون لذلك.

وقد أشاد أهل البيت ﷺ بتلك المجالس وحثوا عليها فتجد في حديث لأبي عبد الله الصادق ﷺ مع الفضيل بن يسار قال:

(قال: يا فضيل تجلسون وتتحدثون؟

قال: نعم جعلت فداك.

قال: إن تلك المجالس أحبها فأحيوا أمرنا يا فضيل: رحم الله من أحيى أمرنا يا فضيل: من ذكرنا أو ذُكرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح الذباب غفر الله له ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر)[1].

---

(١) وسائل الشيعة، ج١٢، ص٢٢.

فتجد تصريح الإمام عليه السلام بحبه لتلك المجالس وأمره بإحيائها ودعائه لمن أقام تلك المجالس وأحيى أمرهم بها.

ومن قوله: (من ذكرنا أو ذُكرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح الذباب غفر الله له) نعلم أنه أراد ذكر مصائبهم وما جرى عليهم فهو الموجب للبكاء ولا سيما مصيبة أبي عبد الله الحسين عليه السلام التي أقرحت جفون آل محمد صلى الله عليه وآله وأسلبت دموعهم وأذلت عزيزهم وأورثتهم الكرب والبلاء إلى يوم الانقضاء.

والمهم إن مثل هذه الدعوة من صادق الأئمة عليهم السلام مثلت النواة الأولى للمجلس الحسيني كما أن هناك دعوة أخرى أيضا أعطت للمجلس الحسيني طابعا خاصا به وغيرت منهجا معروفا وطريقة مشهورة في إلقاء الشعر الرثائي وهي أمر الإمام الصادق عليه السلام بعض المنشدين في الإمام الحسين عليه السلام أن ينشد بالرقة فعن أبي هارون المكفوف قال:

(دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال: لي أنشدني فأنشدته فقال: لا، كما تنشدون (وفي رواية أخرى يعني بالرقة) وكما ترثيه عند قبره فأنشدته:

امرر على جسد الحسين   فقل لأعظمه الزكية

قال: فلما بكى أمسكت أنا فقال مر فمررت، قال: ثم قال زدني قال فأنشدته:

يا مريم قومي واندبي مولاك وعلى الحسين فأسعدني ببكاك

قال: فبكى وتهيج النساء، قال: فلما سكتن قال: لي يا أبا هارون من أنشد في الحسين عليه السلام فأبكى عشرة فله الجنة، ثم جعل ينتقص واحدا واحدا حتى بلغ الواحد، فقال: من أنشد في الحسين عليه السلام فأبكى واحدا فله الجنة، ثم قال من ذكره فبكى فله الجنة)[1].

وهذه الرواية تضمنت خمسة أمور:

الأمر الأول: الإنشاد في الحسين عليه السلام للإبكاء والبكاء.

الأمر الثاني: الدعوة إلى الإنشاد (بالرقة) أو كما يرثيه عند قبره.

الأمر الثالث: وجود النساء.

الأمر الرابع: بكاء الإمام وتهيج النساء بالبكاء.

الأمر الخامس: الثواب الكبير لمن أنشد في الحسين عليه السلام.

أما الأمر الأول: وهو كون الإنشاد في الإمام الحسين عليه السلام بهدف البكاء والإبكاء وهذا أمر تميزت به قضية الإمام الحسين عليه السلام

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٢٨٧.

فعـادة مـا يرثـى المستشـهدين للتنويـه بمـواقفهم أو بشخصـيتهم أو غـير ذلك وإن لزم من ذلـك البكـاء، ولكـن الإنشـاد فيـه لـيس بقصـد البكـاء والإبكــاء عليــه، أمــا دعــوة الإمــام عليه السلام هنــا إلى الإنشــاد في الإمــام الحسـينعليه السلام فهـو يوجههـا للإبكـاء والبكـاء وهـذه الـدعوة تـدل عـلى مـا ذكرناه سابقا مما ينبغـي فعلـه تجاه القضـية الحسـينية هـذا مـن جهـة ومـن جهـة أخـرى يـدل أيضـا عـلى أن المجلـس الحسـيني ينعقـد بمنشـد في الإمـام الحسـين عليه السلام ومسـتمع وإن لم يتضـمن أي أمـر آخـر بـل لا يتوقـف صـدق المجلـس الحسـيني عـلى أي أمـر آخـر وإن كـان تضـمنه لبيـان بعض الأمـور الشـرعية لا ينافيـه إذا كـان مشـتملا عـلى مـا هـو المهـم في المجلس البكـاء والإبكـاء فـما ذكـر سـابقا مـن الحاجـة إلى عقـل يوجـه أو هدف أو تنظيم لا أساس لها.

أمــا الأمــر الثــاني: وهــو دعــوة الإمــام الصــادق عليه السلام إلى الإنشــاد بالرقـة وهـذه الـدعوة بحسـب ظـاهر الروايـة وإن لم تكـن سـبب وجـود أصـل الإنشـاد بتلـك الطريقـة إذ مـن الواضـح فيهـا أن أبـا هـارون كـان ينشــد عنــد قــبر الإمــام الحســين عليه السلام بــذلك الأســلوب إلا أنــه لم يكــن متعارفـا في المجـالس والمحافـل فتكـون دعـوة الإمـام الصـادق عليه السلام هـي النــواة الأولى للإنشــاد بــذلك الأســلوب الحــزين المبكــي في المجــالس

وبها بـدأت تتبلـور للمجلـس الحسـيني صـورته الخاصـة بـه وشـكله المتميز.

وبهـذا نفسـر وجـود الطـابع الخـاص والطريقـة الفريـدة المتعارفـة في المجـالس الحسـينية في كـل مكـان مـن الإنشـاد بالرقـة والأسـلوب المشـجي والمحـزن ومـن الواضـح جـدا أن الإنشـاد بالرقـة يـؤثر في النفس مما تساعد عـلى البكـاء والإبكـاء، ولا يكـاد يـرى ذلـك الطـابع أو تسمع تلك الطريقة في غير مجالس أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

أمـا الأمـر الثالـث: اسـتماع النسـاء وبكـاؤهن بـل الى حـد تهـايجن بالبكـاء والنحيـب وهـذا يـدل أولا: عـلى عـدم اختصـاص المجلـس الحسيني بالرجـال فحتـى النسـاء ينبغـي لهـن اسـتماع تلـك المجـالس بـل والحرص عـلى اسـتماعهن ولكـن مـع مراعـاة جانـب السـتر، وبالأولويـة يكون لهن إقامة تلك المجالس.

وثانيـا: إن التـأثير عـلى عاطفـة المسـتمع والتفـنن في اثارتهـا الى درجـة التهـايج بالبكـاء والنحيـب وارتفـاع الأصـوات بالندبـة هـو أمـر مطلوب ومحبـوب لـدى ال محمـد عليهم السلام وهـذا الأمـر يـرد دعـوى التلاعـب بعواطف الناس من خلال القضية الحسينية.

أمـا الأمـر الرابـع: وهـو بكـاء الامـام عليه السلام وكـذلك النسـاء، فقـد تقـدم الكـلام عـلى البكـاء وأنـه أمـر طبيعـي بـل ضروري لكـل مسـلم

ومؤمن فضلا عن مثل الامام الصادق عليه السلام فهو المصاب في جده وهو ممن ينبغي الاقتداء به.

واما الأمر الخامس: وهو الثواب العظيم الذي جعل لمن أنشد وأبكى، وحيث إن الشعر كان م أهم الركائز في الثقافة الإسلامية والعربية كما كان في تلك الأزمنة أهم الوسائل الإعلامية فانتشاره سهل وحفظه أسهل فكان من الطبيعي أن يعنى بالقضية الحسينية إذ أصبحت تمثل ركنا من أركان الثقافة الإسلامية كما انها أصبحت تمثل ركنا من أركان الثقافة الاسلامية فكان من الضروري اسهام الشعر في حفظها وبلورة رزاياها بأنماطه المختلفة ولأجل أن لا تكون كبقية القضايا التراثية الصرفة التي يراد حفظها ومعرفتها فقط بل من القضايا الحية المؤثرة والفاعلة في كيان المجتمع الإسلامي والإبكاء وعلى كل فأننا نجد في هذا الأمر جوانب مهمة:

الأول: الدعوة إلى الإنشاد في الإمام الحسين عليه السلام.

الثاني: جعل الهدف من الإنشاد هو البكاء والإبكاء، فهو المراد وهو الذي جعل عليه الثواب.

الثالث: أوجد هذا الوعد بالثواب مضمارا جديدا لا خسارة فيه لأحد وإن كان قصب السبق فيه للأفضل والأصدق والأكثر لوعة وحزنا وإبكاء، فتسابق الشعراء فيه حتى ظهر الكثير ممن

تخصص في الإنشاد في الإمام عليه السلام وعرفوا بشعراء الحسين وشعراء منبر الحسين عليه السلام فأصحبت قصائدهم ترتبل على المنابر في كل مكان ليلا ونهارا لا يزيدها التكرار إلا حلاوة وطراوة.

الرابع: صنفت تلك الدعوة الشعر إلى حسيني وغيره بل حتى الشعر في الإمام الحسين عليه السلام صنف بذلك إلى شعر منبري قيل لينعى به الإمام الحسين عليه السلام وليبكى به عليه وإلى غيره.

الخامس: إن ذلك الثواب كان من أهم أسباب وفرة الشعر الحسيني.

السادس: إن الإنشاد تارة يراد منه إنشاء الشعر وأخرى يراد منه إلقاؤه والظاهر أن كلا الأمرين مراد لإطلاق الإنشاد، وإن كان الأظهر الثاني سواء كان الشعر للمنشد نفسه أو لغيره وذلك لقوله: (من أنشد في الحسين عليه السلام فأبكى عشرة فله الجنة ثم جعل ينتقص واحدا واحدا حتى بلغ الواحد، فقال: من أنشد في الحسين عليه السلام فأبكى واحدا فله الجنة) فظاهر هذه الرواية هو الإلقاء عليهم بدليل قوله فأبكى، وي لا تنفي ثبوت الثواب للمنشئ إذ نظر الرواية إلى إقامة المجلس الحسيني وثوابه.

السابع: إن في هذا الأمر بخصوصه دعوة إلى إقامة المجلس الحسيني.

الثامن: إن المجلس الحسيني ينعقد ولو بمنشد ومستمع واحد وإن الثواب عليه الجنة بل إن الثواب يترتب حتى بذكر الإمام الحسين عليه السلام والبكاء عليه.

التاسع: إن ذلك الثواب ليس مخصصا بوقت دون وقت وعلى ذلك فإقامة المجلس الحسيني كذلك.

العاشر: إن الإنشاد بالرقة مؤثر في النفس ومعين على البكاء والابكاء ويمكن أن يستفاد منه أن ما يعين على البكاء والإبكاء من الأساليب المشروعة مطلوب شرعا ومرغوب فيه ومنه عرض المصيبة بأسلوب التوجع، والتفجع مما يؤثر في النفس فيُعينها على البكاء والإبكاء.

الحادي عشر: إن جعل الثواب على الإنشاد للبكاء والإبكاء دعوة إلى حمل قضية الإمام الحسين عليه السلام بصورتها المأساوية المفجعة وعرضها كذلك وأيضا الحفاظ عليها وتوريثها الأجيال بأمانة كما ورثناها لتكون منبعا فكريا لهم كما كانت لنا ولا يجوز لنا بأي حال من الأحوال التصرف في نصوصها بتغيير أو تعديل، فإن قضية الإمام الحسين عليه السلام ليست قضية شخصية أو نظرية عرضها خطيب أو فرضها مفكر فيتصرف فيها كيف يشاء ويفرض ما ثبت عنده ويحذف ما لم يثبت. إن اختلاف النظريات الفكرية المعالجة

للنصوص متعددة إلا أنه لا يجوز لأي مفكر مهما بلغت قدرته العلمية أن يفرض رأيه على أي نص فيحذف منه ما لم يتسق مع نظريته ويبقي ما وافقها واتفق معها. نعم لا مانع من عرض نظريته ونتائجها العلمية ولوازمها ومعالجته للنصوص المخالفة لنظريته ولكن مع الحفاظ على تلك النصوص الواردة بصورتها دون تصرف بها فلعل هناك ما خفي عليه وكما قيل: كم ترك المتقدمون للمتأخرين، وكم ناقل علم إلى من هو أعلم منه. إن هذا المنهج العلمي في البحث وحفظ النصوص على علاتها المفترضة لهي الأمانة العلمية الحقيقية التي امتازت بها مدرسة أهل البيت عليهم السلام في منهجها الفكري وأسلوبها العلمي.

كما أن القضية الحسينية قضية دينية وعقدية وليست شخصية حتى يتصرف فيها بل هي قضية دين الإسلام وأمة الإسلام وقضية نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام فهي قضية المسلمين وتراث للمسلمين عامة والشيعة خاصة بل هي تراث للإنسانية جمعاء فلا يجوز التصرف فيها بحذف أو تغيير، كما أنها ليست قضية علمانية أو نفعية أو ثورية لأجل الثورة، وإن استفاد منها الثوريون والعلمانيون والنفعيون في تحقيق مآربهم ورغباتهم، بل هي قضية دينية تعتمد اعتمادا كاملا على الشريعة الإسلامية في فكرها وأحكامها في جميع

مراحلها وتطوراتها فلا يصح تفريغها من مبادئها الشرعية هذا من جهة كما لا يجوز أيضا تغيير صورها المأساوية أو تجاهلها أو محاربة لوازمها الإنسانية والشرعية من البكاء والإبكاء وتوظيفها لتحقيق أهداف تلك المذاهب والاتجاهات.

ومن هذه الأمور تتضح جوانب مهمة في قضية الإمام الحسين عليه السلام وأهمها ما ذكرناه سابقا من لزوم الرجوع إلى أهل البيت عليهم السلام في تحديد الموقف الذي ينبغي أن يتخذ تجاه قضية الإمام الحسين عليه السلام وظلامته وكيفية التعامل معها وخصوصا بعد أن أصبحت معرضا لتجاذب الأهواء والأحزاب، وإذا أضفنا إلى ذلك ما تعرضت له القضية الحسينية من المحاولات المتكررة من بني أمية وبني العباس وغيرهم قديما وحديثا للقضاء عليها من خلال محاولة إعفاء قبر الإمام الحسين عليه السلام بنبشه وحرثه وأجراء الماء عليه ومنع زائريه وذاكريه وغيرها من المصائب التي عصفت بالقضية الحسينية وتحدث وجودها وفرضت نفسها على القضية الحسينية وعلى أهل البيت عليهم السلام فلا بد من التعامل معها وحيث إن أئمة أهل البيت عليهم السلام هم أولياء دم الإمام الحسين عليه السلام فهم المعنيون بقضيته وتحديد الموقف تجاهها لشيعتهم بعد أن لم يمكن لهم الركون إلى وعود المجتمعات الإسلامية والوثوق بعهودهم والقيام بهم وطلب ثارات الإمام

الحسين عليه السلام تعين عليهم الحفاظ على قضية الإمام الحسين عليه السلام وظلامته ومصيبته بل أصبح الحفاظ عليها وظيفة كل مسلم يحب الوفاء لله ولرسوله صلى الله عليه وآله ويريد أن يؤدي أجر الرسالة استجابة لنداء آية المودة:

﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[1].

وعلى كل لما كان الشعر كما ذكرنا وسيلة إعلامية مهمة وله الدور الخطير. في حفظ الكثير من الأحداث المهمة في تاريخ العرب والمسلمين وتصنيفها والتأثير فيها وعليها أضف إلى ذلك قيمته الثقافية ومزيته الأدبية التي دعت الكثير إلى إنشائه وحفظه وأيضا مكانته المرموقة في المناسبات ومقتضياتها أفراحا كانت أو أتراحا من مدح وثناء أو فخر ورثاء أو ذم وهجاء كما أن له سحره الخاص به في التأثير على النفوس ولا سيما في الاختلافات من تأجيج نار الحرب أو تهييج أحزان القلب فتأثيره أكثر من النثر والخطب ولا سيما إذا كان صادقا ونابعا عن عقيدة وإيمان فإن ذلك يجعله أقوى سبكا وأكثر تأثيرا وأسهل حفظا وأوسع انتشارا وأسرع اشتهارا مضافا إلى ذلك كله أن الشعر كأداة إعلامية لا يمكن احتوائها واحتكارها أو إخضاعها لتوجيهات أو رقابة إعلامية خاصة.

---

(١) سورة الشورى: ٢٣.

فكل تلك الأمور تجعل للشعر قيمته في حمل القضية الحسينية وانتشارها والحفاظ عليها وحيث إن الخلفاء الأمويين والعباسيين ملكوا كثيرا من الشعراء بأموالهم ولا سيما المعروفين منهم ورغب الباقون في عطاياهم وعد أهل البيت عليهم السلام في المقابل المنشد في الإمام الحسين عليه السلام للبكاء والإبكاء بالثواب الجزيل.

وفتحوا بذلك جانبا من قضية الإمام الحسين عليه السلام أمام الشعراء الثقة بالله ووعده أو الركون إلى الدنيا وعطاء أهلها والثقة بهم، الرغبة في ثواب الله سبحانه أم الطمع في خسيس العيش.

وبذلك عاد مبدأ الصراع الذي حكم قضية الإمام الحسين عليه السلام بل كل قضايا أهل البيت عليهم السلام الثقة بالله أو الثقة بأعداء الله، وحيث إن الشعر ينتشر عادة وينتشر معه اسم قائله فكان الخوف من السلطان وسطوته وفي مقابله الخوف من الله ووعيده من ترك قضية أهل البيت عليهم السلام.

ومن الواضح جدا أن الثواب ليس على الشعر بما هو شعر بل بلحاظ توجيهه تجاه ما يريده الله سبحانه وأئمة آل محمد عليهم السلام وتوظيفه في قضايا أهل البيت عليهم السلام ولا سيما القضية الحسينية وقضية الثقة بالله ووعده والخوف منه ومن وعيده.

والخلاصة أن للشعر دوره المهم، وبنى أهل البيت عليهم السلام دوره في قضية الإمام الحسين عليه السلام على أساس الثقة بالله ووعده والخوف منه ومن وعيده، وهذه هي القضية التي قتل لأجلها الإمام الحسين عليه السلام وهي قضية الإسلام ونبيه صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام بل حتى البكاء والإبكاء أيضا بني على هذه القضية.

كما أن تلك الأمور تفسر لنا وفرة الشعر الحسيني والمنبري على وجه الخصوص فإن الرغبة في الثواب والجنة دفعت بالكثير من الشعراء إلى الإنشاد في الإمام الحسين عليه السلام ولم يكن الثواب والرغبة فيه هو السبب الوحيد فهناك أسباب أخرى.

ثانيها: حب الإمام الحسين عليه السلام.

الثالث: تجدد قضية الإمام الحسين عليه السلام لارتباط الزمان بها في كل عام.

الرابع: دور المنبر الحسيني في تأجيج عاطفة الشعراء، حيث جعلهم يعيشون قضية الإمام الحسين عليه السلام بجميع أحداثها، وبعبارة أخرى أن المجلس الحسيني بعرضه لمصيبة أبي عبد الله عليه السلام بأسلوبه الخاص يؤثر في نفس الشاعر فيحرك ملكته الشعرية، وبعبارة ثالثة إن المجلس الحسيني قد وفرّ أرضا خصبة ومناخا مناسبا للشعراء بل لبناء الملكة الشعرية في نفس المستمع.

الخامس: الانتماء إلى الإمام الحسين عليه السلام والارتباط به ارتباطا عقديا، وكما تقدم فهو يفوق الروابط النسبية والسببية.

السادس: عظمة موقف الإمام الحسين عليه السلام وإباؤه بيع دينه بدنياه أو بدنيا غيره وإكبار ذلك الموقف وذلك يفسر لنا شعر بعض غير المنتمين إليه في الاعتقاد بإمامته.

السابع: شدة مظلومية الإمام الحسين عليه السلام وكثرة المصائب وعظم الفجائع وتتابعها عليه بصورة لم يعرف لها التاريخ مثيلا.

الثامن: الرغبة في العطاء وهذا النوع من الشعراء والشعر قليل.

فهذه جملة من أهم الأسباب لوفرة الشعر الحسيني والمنبري على وجه الخصوص ذكرناها على سبيل الأجمال.

والنتيجة مما تقدم أن تلك الدعوة مثلت دعوة للمجلس الحسيني فمنشد للبكاء والإبكاء ومستمع لذلك أيضا وتسابق الشعراء في ذلك المضمار وتسابق الناس للبكاء وفاء لحق النبي محمد صلى الله عليه وآله في أهل بيته ورغبته في الثواب وحبا لآل محمد عليهم السلام وبذلك تحقق المجلس الحسيني وظهر وتبلور في صورته الخاصة به.

كما أن الدعوة إلى إقامة المأتم والمجلس الحسيني للبكاء والإبكاء تتفق اتفاقا تماما وتنسجم كل الانسجام مع الطابع

المأساوي للقضية الحسينية فشدة مظلومية الإمام الحسين عليه السلام وتعدد المصائب فيها وكثرة الفجائع مثل مادة خصبة للمجلس الحسيني سواء في ذلك للمنشد أو المستمع وبذلك يحقق المجلس الحسيني ثلاث جهات أساسية في القضية الحسينية:

الأولى: الحفاظ على القضية الحسينية بجميع حوادثها وأدق تفاصيلها وملابساتها في صياغة قوية ذات أثر كبير في الثقافة الإسلامية.

الثانية: عدم تخصيص أمر الحفاظ عليها وإحيائها بأهل البيت عليهم السلام بل هو وظيفة إسلامية لأنها قضية الإسلام ووظيفة كل من يريد أداء أجر الرسالة مودة قربى نبينا محمد صلى الله عليه وآله والفرح لفرحهم والحزن لحزنهم.

الثالثة: التأكيد على مظلومية الإمام الحسين عليه السلام وطبيعة قضيته المأساوية والمحزنة بشكل مؤثر في البكاء والإبكاء وهو يتفق مع توجيه أهل البيت عليهم السلام نحوهما وبذلك يتضح عدم وجود أي تلاعب بالعواطف كما ادعي بل حب أهل البيت عليهم السلام وعظم مقامهم وإمامتهم وشدة المصائب والمآسي وتوالي الفجائع عليهم هي أسباب تهيج النفوس والعواطف تجاه القضية الحسينية وهذا النهج

يمثل توجه أئمة الهدى عليهم السلام وتوجيههم تجاه القضية الحسينية إلى ظهور الحجة بن الحسن عليه السلام.

كما أن إقامة المأتم للبكاء والإبكاء يظهر ويوضح بل يجسد مظلومية الإمام الحسين عليه السلام التي لم يعرف لها التاريخ مثيلا والتي يذكرها الإمام الرضا عليه السلام بقوله:

(إن يوم الحسين أقرح جفوننا وأسبل دموعنا وأذل عزيزنا بارض كرب وبلاء أورثتنا الكرب والبلاء إلى يوم الانقضاء)[1].

فهذه المصيبة الكبرى والفاجعة العظمى التي أقرحت جفون آل محمد عليهم السلام وأسبلت دموعهم وأذلت عزيزهم وأورثتهم الكرب والبلاء تحتاج إلى تعريف وتحتاج إلى كشف وإظهار حتى يرى العالم شدة مصائبهم وظلامتهم ويعرف المسلمون نتيجة التقاعس عن أمر الله ونصر أوليائه وأثر معصية الله وطاعة أعدائه، وأيضا بتعري شخصيتهم ومقامهم عن الله ومكانتهم من رسول الله صلى الله عليه وآله تتجلى عظمة شأنهم ويعرف بذلك عظيم ما اقترف في حقهم وخطر ما استبيح من حرمتهم وحريمهم وتتضح شدة مصائبهم واستخفاف الناس بأمر الله فيهم واجتماعهم على ظلمهم.

(١) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٢٨٤.

تلك هي وظيفة المجلس الحسيني التركيز والاهتمام على قضية أهل البيت عليهم السلام وخصوصا قضية أبي عبد الله الحسين عليه السلام وعرض مصائبهم العظمى التي أبكت رسول الله صلى الله عليه وآله وأسبلت دموعه وجلت وعظمت في السماوات على أهل السماوات.

ومن هنا نقول وبشكل صريح إن المهمة الأولى والكبرى للمجلس الحسيني هو إظهار المصائب وعرض المآسي التي جرت على الإمام الحسين وآل الحسين عليهم السلام وهدفه وغايته البكاء والإبكاء عليه.

ويمكن لنا بهذا تحديد وظيفة الخطيب الحسيني وذلك بملاحظة الروايات الكثيرة التي دفعت بشيعة آل محمد إلى إقامة تلك المجالس نستطيع أن نقول إن وظيفة الأساسية هي البكاء والإبكاء على الإمام الحسين عليه السلام، ولتحديد هذه الوظيفة أهمية كبرى في الحديث عن تطوير المنبر الحسيني.

إذ أن أي تطوير للمجلس الحسيني فلابد أن يكون محققا للهدف من وجود المنبر الحسيني ولا بد أن يؤدي الخطيب معه وظيفته الحسينية والمنبرية وهي البكاء والإبكاء بل لا يبعد القول بلزوم غلبة طابع مصيبة الإمام الحسين عليه السلام على المجلس الحسيني

وإلا فهو ليس بمجلس حسيني خصوصا إذا كان ذكر الإمام الحسين عليه السلام ومصيبته بالعرض لا هدفا وغاية.

والخلاصة المهمة أنه لا بد من تحقق أمرين اساسيين في أي مجلس يعقد بعنوان أنه مجلس حسيني الأول: أن يكون المجلس للبكاء والإبكاء على الإمام الحسين عليه السلام.

الثاني: أن يكون غالبا عليه طابع مصيبة الإمام الحسين عليه السلام.

بهذين الأمرين يعطى أي مجلس يقام صفة المجلس الحسيني ويترتب عليه آثار ذلك وإلا فلا، وليبحث له عليه السلام صفة أخرى كمحاضرة أو درس علمي أو فقهي إن حمل شيئا من ذلك.

تطور المجلس الحسيني:

تطور المجلس الحسيني بشكل كبير حيث أصبح له خطباؤه المختصون به في الإنشاد والبكاء والإبكاء وكذلك بذلت لإقامته الأموال الطائلة وأوقفت له الكثير من الموقوفات ليصرف ربعها عليه.

وتطور أكثر فأصبحت له أماكنه الخاصة به والتي عرفت بالحسينيات وكذلك تطور أسلوب المجلس الحسيني فأخذ يضاف إلى الإنشاد قراءة المقتل أو عرض بعض المصائب التي جرت على الإمام الحسين عليه السلام بل تطور الأمر أكثر في أيام عاشوراء إلى تمثيل

بعض جوانب القضية الحسينية وحكايتها والذي يعرف بالتصوير وهدفه الأساسي هو الإبكاء والبكاء.

وسمينا ذلك تطورا لأنه أضاف أسلوبا جديدا في طريقة عرض مصيبة الإمام عليه السلام فكان له دور مهم في إبراز الجوانب المأساوية في القضية الحسينية وتأثير كبير في النفوس جعلها أكثر تفاعلا وإحساسا وتألما وبكاء للإمام الحسين وآل الحسين عليهم السلام فحافظ بذلك على الجانب الأهم في المجلس الحسيني البكاء والإبكاء بل ساعد ذلك الأسلوب عليهما أكثر ومن الواضح غلبة طابع مصيبة الإمام الحسين عليه السلام فلذلك كان ذلك تطويرا للمجلس الحسيني وتطورا له.

بل حتى الإحساس لدى المستمع لمصيبة الإمام الحسين عليه السلام وقضيته أيضا تطور بشكل كبير إلى درجة أنه يحاول أن يعيش بعض حالات التألم التي عاشها الإمام الحسين عليه السلام فربما ضرب رأسه عند سماعه إصابة رأس الإمام الحسين عليه السلام أو يضرب صدره عند سماعه إصابة قلب الإمام الحسين عليه السلام أو رض صدره.

وتطور الأمر إلى أن أصبح كل من يحب الإمام الحسين عليه السلام يحب أن يعيش حالات الإمام الحسين عليه السلام وما أصابه ويحب أن يتألم لتألم الإمام الحسين عليه السلام فأصبحت تلك الحالات ظاهرة عامة عند

محبـي الإمـام الحسـين ﷺ إلى أن تطـور الأمـر وأصبحت ظـاهرة خاصـة إلى جانــب مجلــس الإمــام الحســين ﷺ وعرفــت فــيما بعــد بــالعزاء أو اللطـم بـل تطـور الأمـر إلى أن أصـبح للعـزاء خصوصـياته فلـه طريقتـه الخاصة به ولو خطباؤه المتخصصون والمعروفون بالروادية.

وحيـث إن أسـاس العـزاء هـو معايشـة حـالات الإمـام الحسـينﷺ اختلفـت أسـاليب تلـك المعايشـة لتلـك الحـالات بدرجـة حـب الإمـام الحسـين ﷺ وإحسـاس البـاكي بتـألم الإمـام الحسـين ﷺ، إحساسـه بتألمـه وسـبب تألمـه فـإذا كـان سـيف لطـم بالسـيف وإذا كـان الحديـد لطـم بالحديد والسلاسل.

وهــذا الأمــر يفســر لنــا اخــتلاف طــرق ومظــاهر العــزاء لــدى الشيعة فبعض يلطمون باليد وآخر بالسيف وآخر بالسلاسل.

فالســر في ذلــك هــو حــب الإمــام الحســين ﷺ وحــب معايشــة حالاته وتألمه وعطشه وجوعه ﷺ.

وحيــث إن البكــاء للإمــام الحســين ﷺ مشــروع والعطــش لعطشــه والتــألم لتألمــه كــل ذلــك مشــروع فكــذلك تلــك الأســاليب المعبرة عن ذلك.

ولـذلك لم يعـرف أحـد مـن مراجـع الطائفـة الشيعية أن شـكك في مشــروعية تلـك الظـواهر بـل هنـاك مـن الروايـات التـي تحبـذ ذلـك أن

يعيش المؤمن حالات الإمام عليه السلام كالإمساك يوم عاشوراء عن الماء والطعام الى بعد الزوال، إذ يعيش محب الامام الحسين عليه السلام ووليه حالة من حالاته وهي عطشه جوعه حبا له.

ويؤيد ذلك ما نقل أن الرباب آلت على نفسها أن لا يظلها سقف بيت عن الشمس وقد نظرت الإمام الحسين عليه السلام تصهره حرارة الشمس حتى ماتت كمدا على الإمام الحسين عليه السلام(١)، أضف الى ذلك ما تواتره عن حال زين الامام العابدين عليه السلام من انه ما قدم له الطعام أو الشراب إلا ومزجه بدموعه وتذكر عطش ابيه الامام الحسين عليه السلام وكذلك ائمة اهل البيت عليهم السلام ويدل على مطلوبية ذلك ما رواه عبد الله بن سنان قال:

(دخلت على ابي عبد الله عليه السلام يوم عاشوراء ودموعه تنحدر على عينيه كاللؤلؤ المتساقط فقلت: مم بكائك؟

فقال: أفي غفلة انت؟

أما علمت أن الحسين عليه السلام الصيب في مثل هذا اليوم؟

فقلت: ما قولك في صومه؟

فقال: صمه من غير تبييت، وافطره من تشميت، ولا تجعله صوم يوم كملا، وليكن افارك بعد صلاة العصر بساعة على شربة

---

(١) لواعج الأشجان، ص٢٢٣.

ماء، فانه في مثل ذلك الوقت من ذلك اليوم تجلت الهيجاء عن ال رسول الله ﷺ)[(١)] .

فأمر الامام الصادق عليه السلام بصوم ذلك اليوم الى وقت صلاة العصر من غير تبييت نية الصوم وانما يمسك المؤمن عن الاكل والشرب فيجوع ويعطش في ذلك الوقت الذي جاع وعطش فيه ال رسول الله ﷺ فيعيش بذلك حالة من حالات آل رسول الله عليهم السلام في يوم عاشوراء.

وأما الاشكال بلزوم استهان المخالفين والغرب بالشيعة، فإن من أراد أن يحيى حياة آل محمد عليهم السلام ويموت مماتهم ويتخلق بأخلاقهم ويفرح بفرحهم ويحزن بحزنهم، فإنه إنما يفعل ذلك طلبا لرضا الله سبحانه وأداءا لحق رسول الله ﷺ لا طلبا لرضا الناس فضلا عن المخالفين أو المعاندين أو المتخذين غير الإسلام لهم دين فنعتقد أن ذلك أمر له أهداف أخرى غير معلنة وإلا فكما تقدم متى رضي المخالفون لأهل البيت عن شيعتهم في اعتقاداتهم بإمامة أهل البيت عليهم السلام وعصمتهم بل في عامة اعتقاداتهم كزيارة قبورهم وغير

(١) وسائل الشيعة (آل البيت)، ج١٠ ٤٥٩.

ذلك ولوضوح عدم الإشكال في العزاء الحسيني أفتى الفقهاء والمراجع بجواز ذلك وعدم الإشكال فيه بل رجحانه.

والمهم هنا أننا نعتقد أن ذلك تطور في الإحساس بالولاء للإمام الحسين عليه السلام ولمظلوميته وقضيته وحيث إنه يغلب عليه طابع الحزن ويحقق هدف المجلس الحسيني فلذلك سميناه تطورا.

وأيضا تطور المجلس الحسيني فاشتمل على ذكر بعض المواعظ والإرشاد الديني والمسائل العقدية والفقهية وحيث إنه حوفظ فيه على طابع المصاب والبكاء والإبكاء فهو مجلس حسيني.

إلا أن تسمية ذلك تطورا للمجلس الحسيني أمر غير واضح وذلك أن ذكر المسائل العقدية أو الفقهية أو الوعظية والإرشادية إنما هو استفادة من وجود المنبر الحسيني لا تطور فيه وذلك لعدم تأثيرها بشكل مباشر على مسألة البكاء أو الإبكاء، نعم يمكن إدخالها في التطور باعتبار ما لها من الأثر في تقوية علاقة المؤمن بإمامه ومن الواضح انعكاس ذلك على البكاء. وبالطبع هذا إذا كانت تلك المسائل أو البحوث من ذلك الباب وأما إذا كانت لأهداف أخرى غير شرعية فهي محل إشكال فضلا عن دعوى التطور أو التطوير.

والمهم فتلك الأمور كانت أبرز مظاهر التطور في المجلس الحسيني.

ومع ذلك فلا زالت هناك أصوات ترتفع بين حين وآخر تطالب بتطوير المنبر والمجلس الحسيني.

فيجب تطوير خطيب المنبر وكذا مستمع المنبر الحسيني بدعوى لزوم تلائم وضعهما مع متطلبات الواقع الاجتماعي المعاش والتقدم الحضاري بجميع مجالاته، وكانت أهم تلك الدعوات التي أطلقت بعنوان التطوير عدم اقتصار الخطيب على المسائل الشرعية والفقهية والوعظ والإرشاد وعدم التركيز على البكاء والإبكاء فلابد للخطيب وأن ينفتح على العالم عبر الوسائل الحديثة المتاحة ويثير ما تثيره تلك الوسائل من مشاكل عصرية جديدة اجتماعية كانت أو غيرها.

وهذه الدعوة أصبحت محل نظر وشك لدى الكثير من المفكرين والملاحظين والمتابعين لحركة المنبر الحسيني ومسيرته وأهدافه فشككوا في أمرها وأمر أصحابها وأهدافهم، كما شكك في صدق التطوير عليها هذا إذا لم نقل إنه يصدق عليها عناوين أخرى كمحاربة المنبر أو تخريبه.

أما الشك في أمرها وأصحابها وأهدافها فهو أمر واضح وذلك لأنها دعوة على خلاف دعوة أهل البيت عليهم السلام، وإن كان أصحابها متقتنعين باسم شيعتهم، كما أنه يلزم منها إنهاء قضية الإمام الحسين عليه السلام والبكاء والإبكاء عليه وقد تقدم أن ذلك محاربة للإمام الحسين عليه السلام وقضيته ولأهل البيت ومذهبهم وتوجيهاتهم عليهم السلام.

وأما عدم صدق التطوير فلأن مبدأ التطوير في كل شيء بصورة مختصرة: (هوما يحقق الهدف والغاية بصورة أفضل).

فما لا يكون مؤثر في الهدف وتحقيق الغاية بشكل أفضل لهو ليس بتطوير وإن كان هو حق في نفسه ولذلك قد تقدم التشكيك منا في أن إضافة المسائل العقدية والفقهية وغيرها مما ترجع لأمور الدين شككنا في تسمية ذلك تطويرا للمجلس الحسيني إذ لم يطور بها في المجلس الحسيني أي شيء نعم استفيد من وجود المجلس للوعظ والإرشاد فذاك الشيء آخر ولكنه لا يسمى تطويرا للمجلس الحسيني، والمهم أن هذا لم يسم تطويرا مع أنه يرجع إلى إحياء أمرهم وأحكامهم مع الحفاظ على الجانب المهم في المجلس الحسيني وهو طابع المصاب والبكاء والإبكاء فما بالك بالمجلس الذي لا يذكر فيه أمر آل محمد عليهم السلام وعقائدهم وأحكامهم وآراؤهم، أو أنه لم يعقد للبكاء والإبكاء فهو بالأولوية القطعية ليس بمجلس

حسيني ولا يصح إطلا ذلك الاسم عليه، فضلا عن تسميته تطويرا فحيث إنه لا يحقق الهدف والغاية للمجلس الحسيني بشكل أفضل بل لا يحقق الهدف ولا الغاية مطلقا وذلك لأنه لم يكن يغلب عليه طابع مصاب الإمام الحسين عليه السلام ولم يعقد للبكاء والإبكاء ففقد ركائز المجلس الحسيني فهو ليس بتطوير بل هو تغيير ولكن إلى الأسوأ بل هو تخريب وهدم للمجلس الحسيني ومحاربة لقضية الإمام الحسين ولأولياء دم الحسين عليه السلام.

وكل ما لا يحقق الغاية فهو عبث فبالأولى عدم صدق التطوير عليه.

نعم الصورة السابقة للمجلس الحسيني يصح إطلاق التطوير والتطور عليها، لأنها طورت أساليب للوصول إلى الهدف بشكل أفضل وأسرع وأحسن.

وأما دعوى تحديث مصادر الثقافة المنبرية بعرض ما تناوله الوسائل الإعلامية الحديثة وإثارة ما تثيره تلك الوسائل من مشاكل اجتماعية وفكرية وحلولها الغربية أو غيرها فبعد ثبوت فشل المذاهب الوضعية في إيجاد أنظمة مستقلة عن الدين أو بديلة عنه تنظم مسيرة الإنسان في حياته بمختلف جهاتها وبعد قيام الأدلة العقلية والنقلية على صحة الدين الإسلامي وقدرته على توفير حياة

أفضل للمجتمعات الإنسانية في الدنيا والآخرة وحل جميع مشاكل الإنسان في مختلف جوانب حياته الاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية خصوصا في إطار مذهب أهل البيت عليهم السلام القائم على أساس النص على الإمامة وعلى أفضلية الإمام وأعلميته تكون تلك الدعوى دعوى لترك الحق واستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير واتباع الذي لا يهدي إلى الحق إلا أن يهدى وترك من يهدي إليه، وهو خلاف حكم العقل بلزوم اتباع الحق وتقديم الأفضل، وعليه فهذه الدعوى في الواقع مخادعة لمرتادي المنبر الحسيني ومستمعيه يراد منها فرض الثقافة الغربية أو ما يبتني عليها من حلول على المجتمعات الإسلامية عامة والشيعية خاصة، وما هي إلا حرب ليست موجهة ضد المنبر الحسيني وحسب بل هي موجهة ضد الفكر الإسلامي، وهي عبارة أخرى عما ينادي به المتغربون من ترك الدين الإسلامي وفكره وأحكامه والرجوع إلى مفكري العالم الغربي ومذاهبهم الوضعية بدعوى أن الفكر الإسلامي وأحكامه ظهرا في زمن ومجتمع معينين وهو متوافق مع إنسان ذلك المجتمع وذلك الزمن، أما المجتمع الحديث فلابد له من مواكبة ثقافته الحديثة التي هي فروض وضعية تبناها بعض من أطلقوا على أنفسهم اسم علماء الاجتماع والنفس، وقد غفلوا أو تغافلوا عن أن الإسلام وإن ظهر

في زمن متقدم إلا أنه دين ناظر إلى الإنسان وعقله وطبيعته الإنسانية بمختلف جوانبها واحتياجاتها التي لا تختلف باختلاف الزمان والمكان وإن اختلفت وسائل تلبيتها.

وبعبارة أخرى: إن تلك الدعوة ليست إلا عبارة أخرى عن الدعوة إلى التخلي عن الثقافة الإسلامية ومصادرها وعن الدين الإسلامي ومذهب أهل البيت عليهم السلام وهي تنسى أو تتناسى أن الثقافة الغربية الحديثة بكل تخصصاتها عجزت عن إيجاد حلول لمشاكل مجتمعاتها الفكرية والنفسية الحديثة بكل تخصصاتها عجزت عن إيجاد حلول لمشاكل مجتمعاتها الفكرية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية ففرض الفلسفات المادية الوضعية على تلك المجتمعات وإقصاء المبادئ الدينية أوجد منطقة فراغ فكري انعكست سلبيتها على حياة تلك المجتمعات النفسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ومثلت لها مشكلات في كل جوانب حياتها ولم تستطع تلك الفلسفات الوضعية بكل أشكالها حلها حتى عادت تتعالى الدعوات من منصفي مفكريهم بالرجوع إلى الدين في حل تلك المشاكل وذلك بعد إدراكهم شمولية الدين لكل جوانب الحياة بصور تكاملية يعجز الإنسان عن الاستغناء عنها أو فرض بديل لها

وخصوصا الدين الإسلامي الذي شمل بعقيدته وأفكاره وأحكامه جميع ميادين الحياة على تنوع أنماطها واختلاف متطلباتها وقد أبهرت شموليته ودقة أحكامه حتى مفكري الغرب كما أنه قد ثبت حاجة الإنسان لهذا الدين في جميع مراحل تطورات حياته بعد ثبوت اعتماد الدين الإسلامي في فكره على العقل والمنطق الصحيح الذي لا تختلف أحكامه مهما اختلف واقع الإنسان الخارجي زمانا ومكانا، ولهذا لم يختلف إدراك العقل لحاجة الإنسان إلى الدين بل ضرورته له في فكره وأحكامه من وقت لآخر كما لم تتغير حاجة الإنسان إلى الدين الإسلامي ونظامه الشامل مع تغيير وسائل معيشته وإنتاجه وتطورها وذلك لاعتماده في وجوده على مبادئ عقلية لا تختلف باختلاف وسائل الإنتاج والمعيشة لديه ولهذا كان فكره وأحكامه ونظامه أمر ثابتة غير متغير وإن تغيرت وسائل حياة الإنسان، لأنه يلبي للإنسان حاجته في تنظيم حياته وعلاقاته سواء في ذلك علاقته بربه أو علاقته مع مجتمعه، فالإنسان الاجتماعي بطبعه ينتمي إلى المجتمع فيحتاج إلى نظام يحكم تلك العلاقات ويقننها وينميها ويحفظها من الانفصام ومن البديهي أن تلك الحاجة لا تتغير ولا تتبدل مهما تغير حال الإنسان ومن هنا نقول إن الدين الإسلامي

وإن ظهر قبل ألف وأربعمائة سنة إلا أنه لما كان العقل وحاجة الإنسان إلى النظام في كافة مجالاته لا تتغيران بتغيير أطوار الحياة وأساليب العيش وكان الدين الإسلامي يعتمد على العقل ويلبي تلك الحاجة كان وجود الدين الإسلامي في حياة الإنسان ضروريا وإن كان في أوج حضارته المادية وبذلك يتضح أن ظهوره في الأزمنة المتقدمة لا يمنع من حاجة الإنسان إليه بعد أن كان العقل يدعو لاعتناقه والدليل يثبت معتقداته وكانت قوانينه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ملبية لكل متطلبات الإنسان الدينية والدنيوية في صورة أحكامه شاملة لجميع جوانب الحياة الإنسانية وكانت تلك الأحكام باقية فحلال محمد حلال أبدا إلى يوم القيامة وحرامه حرام أبدا إلى يوم القيامة)[1].

وعليه ففي الفكر الإسلامي غنا بأحكامه وأفكاره وثقافته وقيمه عن الثقافة الغربية وأفكارها الزائفة الجوفاء وسياستها الفاشلة المبنية على الخداع والدجل، فلا وجه لأن يعتني بها خطباء المنبر وإن كانت قد بهر رونقها الهمج الرعاع إلا أن يكون للرد عليها وبيان زيفها وكشف الخداع والدجل الذي فيها وفشلها.

---

(١) الكافي، ج١، ص٥٨.

ثم إن تلك المشاكل المثارة إن كانت مما ترتبط بالمجتمعات الإسلامية فعلى الخطيب أن يرجع إلى الفكر الإسلامي وأحكامه ليعرف كيف يواجهها الإسلام ومذهب أهل البيت عليهم السلام وما هي طرقهم لحلها والتغلب عليها.

وإن كانت من مشاكل المجتمعات غير الإسلامية فلا حاجة لطرحها وإهدار الأوقات في عرضها إلا أن تكون دعوة إلى الإسلام وبيان أفضليته.

والمهم أن الاستعاضة عن الثقافة الإسلامية بالثقافات المستحدثة التي لا تستمد قيمتها العلمية من العقل أو الدين ليست إلا دعوى لترك الإسلام وإن قنعت بعناوين أخرى.

وعلى كل الاستفادة من وجود المنبر الحسيني مع الحفاظ على طابعه وهدفه وإن قلنا إنها ليست بتطوير للمنبر الحسيني إلا أنه لا مانع منها ولكن أيضا في حدود معينة وهي ما يرجع إلى إحياء أمر آل محمد عليهم السلام فهذا لا مانع منه لصدق المجلس الحسيني معها والعلم بمطلوبيتها.

وأما دعوى التطوير بترك البكاء والإبكاء، فهذا في الواقع رد على آل محمد عليهم السلام بل هو تحد لمذهب آل محمد عليهم السلام الداعي إلى ذلك

ومحاربة سافرة لقضية الإمام الحسين عليه السلام ومحاولة للقضاء عليها بل إسهام في إخفائها أو تحريفها.

كما أن ذلك يسلب عن تلك المجالس صفة المجلس الحسيني وليبحث له عن عنوان آخر كدرس أو محاضرة أو غير ذلك.

ويمكن أن نجد في عمل أئمة أهل البيت عليهم السلام دليلا واضحا على ذلك فإنهم عليهم السلام – ومع وفرة علمهم وحبهم لتعليم شيعتهم – إذا جاءهم من ينشد في الإمام الحسين عليه السلام طلبوا منه الإنشاد في الإمام الحسين عليه السلام وفرغوا أنفسهم وشيعتهم وأهلهم للاستماع إليه والتفاعل معه والبكاء لإنشاده، ففي رواية عن زيد الشحام قال:

(كنا عند أبي عبد الله عليه السلام ونحن جماعة من الكوفيين فدخل جعفر بن عفان على أبي عبد الله عليه السلام فقربه وأدناه، ثم قال: يا جعفر، قال: لبيك جعلني الله فداك، قال: بلغني أنك تقول الشعر في الحسين عليه السلام وتجيد، فقال: نعم جعلني الله فداك، قال: قل. فأنشده عليه السلام فبكى ومن حوله حتى صارت الدموع على وجهه ولحيته، ثم قال:

يا جعفر والله لقد شهدت ملائكة الله المقربون ههنا يسمعون قولك في الحسين عليه السلام ولقد بكوا كما بكينا وأكثر، ولقد أوجب الله تعالى لك يا جعفر في ساعته (ساعتك) الجنة بأسرها وغفر الله لك.

فقال: يا جعفر ألا أزيدك قال: نعم يا سيدي قال: ما من أحد قال في الحسين شعرا فبكى وأبكى به إلا أوجب الله له الجنة وغفر له)(١).

وهذه الرواية تنقل لنا صورة واضحة عن مجلس حسيني عقد بأمر الإمام الصادق عليه السلام، وتنقل لنا بكاءه، وبكاء أصحابه وبكاء الملائكة، وما للمنشد من الثواب العظيم مع اقتصاره على الإنشاد.

والمهم هنا أن صادق الأئمة عليهم السلام استمع للمنشد وبكى للإنشاد وبهذا يكون الإمام عليه السلام قد صنف المجالس إلى مجلس عزاء وبكاء المتكلم فيه هو المنشد في الإمام الحسين عليه السلام وإلى مجلس علم وتربية المتكلم فيه هو عليه السلام ولهذا لم يستغل فرصة وجود أصحابه للتوجيه والتعليم بل أصغى الجميع للمنشد وبكى الجميع على الإمام الحسين عليه السلام ويمكن لنا القول بأنه علمهم في هذا المجلس بصورة عملية كيف يعقدون مجلسا حسينيا وآدابه وغايته ونتيجته وبين لهم ما يرجونه منه.

فإذا كان ما ينادي به أولئك بحجة استعاضة البحث العلمي على فرضه عن البكاء صحيح فلماذا لم يفعل الصادق عليه السلام ذلك!؟

ولماذا أصغى للمنشد وبكى؟

---

(١) وسائل الشيعة، ج١٤، ص٥٩٣؛ بحار الأنوار، ج٤٤، ص٢٨٢.

ولماذا لم يوجه أهل البيت عليهم السلام شيعتهم إلى ذلك الاتجاه؟

والنتيجة المهمة هنا أن ذلك الثواب العظيم إنما جعل لمنن أقام المجلس الحسيني ومن أنشد ومن بكى ومن أبكى وهكذا غيرها من الروايات تضمنت هذا المضمون.

كما أنه من الملاحظ أن للأئمة عليهم السلام مجالس علمية يعلمون فيها ويربون فيها العلماء ويبينون فيها أهم وأدق المسائل العلمية الفقهية والعقدية وغيرها إلا أن تلك المجالس ليست بمجالس حسينية بل هي مجالس علمية وقس على ذلك مجالس العلماء وأبحاثهم فمع أنها تبني العلماء إلا أنها ليست مجالس حسينية وذلك لخلوها من صفة المجلس الحسيني وهي ذكر مصيبة الإمام الحسين عليه السلام والبكاء والإبكاء عليه.

والمهم أنه لما كانت المجالس الحسينية نشأت بتوجيه الأئمة عليهم السلام فلا بد من الرجوع لهم وملاحظة رواياتهم وتوجيهاتهم والوقوف عند ذلك وعدم تخطيه وتجاوزه ولهذا رتب العلماء على ذلك امورا كثيرا فمع صدق المجلس الحسيني وعقده للبكاء والإبكاء صححوا الصرف عليه من الموقوفات الحسينية والتبرعات للمجالس الحسينية، وأما مع عدم عقد المجالس لذكر مصاب الإمام الحسين عليه السلام وللبكاء والإبكاء كأن كان التعرض للمصاب أمرا

بالعرض وشيئا يسيرا لا يصدق معه المجلس الحسيني فإنهم لم يجيزوا الصرف عليه من الموقوفات الحسينية أومن التبرعات المخصصة للمجالس الحسينية بل حتى أجره الخطيب لا تحل له.

والخلاصة أن تلك الدعوة رد على أئمة أهل البيت عليهم السلام بل هي في الواقع محاربة للحسين عليه السلام وقضيته.

وبعد وضوح ذلك فإنه لا بد لنا من التأكيد على لزوم توجيه المجالس الحسينية إلى ما أراده لها أولياء دم الحسين عليه السلام وأصحاب قضيته وهم أئمة أهل البيت عليهم السلام، إلى البكاء والإبكاء على الحسين عليه السلام والاستغناء بهم وبتوجيهاتهم عمن سواهم.

تصنيف الخطباء لا شروط فيهم:

إن الاستفادة من وجود المجلس الحسيني لعرض بعض المسائل عقدية كانت أو فقهية جائز شريطة الحفاظ على هويته بوجود طابعه وتحقيق هدفه إلا أنه لا موجب لأخذ أمر الاستفادة من المجلس الحسيني هدفا وغاية له حتى تفترض لها شروطا في الخطيب أو الخطابة إلى جانب غلبة طابع الحزن والبكاء والإبكاء فإن هذين هما ما يدور صدق اسم المجلس الحسيني عليه دون غيرهما فكل مجلس يوجدان فيه فهو حسيني والعكس بالعكس،

نعم وجود بحوث عقدية أو فقهية أمور كمالية في المجلس الحسيني لا أنها أساسية فيه، ومنه يتضح خطأ أخذها شرطا للمجلس الحسيني فضلا عن وضع شروط لها على مرتادي المنبر الحسيني ويظهر ما ذكرناه واضحا جليا بملاحظة ما تقدم من الروايات وخلوها من أي شرط واكتفائها في الخطيب الحسيني بالإنشاد في الإمام الحسين عليه السلام للبكاء والإبكاء.

ويمكن لنا أن نقترح فكرة تصنيف الخطباء فنقول الأفضل تصنيف الخطباء بحسب قدراتهم وتخصصاتهم علمية كانت أو أدبية أو تاريخية أو غير ذلك إلا أننا نعتقد أنه ليس لأحد الأهلية لفرض شروطا على خطيب المنبر الحسيني أو الخطابة بحجة تطوير المنبر الحسيني ليواكب مسيرة الحياة وتطوراتها كما يدعي وذلك أن الذي يملك حق فرض الشروط في المنبر هو صاحب المنبر هو من فرضه منهجا للشيعة يتعاملوا به مع قضية الإمام الحسين عليه السلام وهو من جعل المنبر الطريقة المثلى لحمل قضيته والحفاظ عليها فأصبح الأسلوب المثالي لتأدية حق الإمام الحسين عليه السلام وحيث إن المعصومين من أبناء الإمام الحسين عليه السلام لم يفرضوا أي شرط للمجلس الحسيني سوى عقده لذكر مصيبة جدهم الحسين عليه السلام وللبكاء والإبكاء فلا قيمة لأي شرط يشترط ولذلك نرى أعلام الطائفة ومراجعها مع ما لهم

من الشأن لم يشترطوا شيئا بل يكتفون بما دعى إليه أئمة أهل البيت عليهم السلام من ذكر مصيبة الحسين عليه السلام والإنشاد فيه.

وبذلك يتضح خطأ من وضع شروطا لمرتادي المنبر الحسيني ترتبط بالمستوى التعليمي والعلمي والثقافي للخطيب فاشترط حصوله على مواد معينة أدبية واجتماعية وتاريخية وغيرها[1].

وحيث إننا نرى ضرورة تصنيف الخطباء فلا نرى أهمية لذكر تلك الشروط والرد عليها وخصوصا بعد أن كانت لا تستند إلى دليل من عقل أو نقل بل كان الدليل على خلافها قائم، والروايات في كفاية الإنشاد للبكاء والإبكاء متضافرة بل متواترة بل تكاد تكون من ضروريات المذهب، مضافا إلى سيرة المتشرعة، بل فقهاء الشريعة فلم يشترطوا شيئا من ذلك في الخطيب فيكتفون منه بالإنشاد للبكاء والإبكاء في مجالسهم وكذلك كانت سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام أيضا.

وبالجملة فتلك الدعوة نابعة من خيال وتصور أصحابها ولا دليل عليها من آية أو رواية تصوراتهم بل الوارد على خلافها.

ولا بد لنا وقد وصل بنا المقام إلى هنا أن نصنف خطباء المنبر الحسيني، وهذا التصنيف له أثره المهم فهو يتيح لكل منشد في

---

(١) الحسين في ركاب الخالدين، ص٢٦٠.

الإمـام الحسـين عليه السلام ليبكـي أو يُبكـي وأن يعـتلي أعـواد المنـبر بخـلاف تلك الشروط التي تمنع بعض الخطباء من ارتياد المنبر.

كما أن للتصـنيف أثـره الكبـير في الرضـا بـما يـأتي بـه خطيـب المنـبر الحسيني، فالخطباء أصناف:

فمـن الخطبـاء: المنشـد فقـط، وهـو المعـروف بالنـاعي وهـو من يقتصـر عـلى إنشـاد الأبيـات الشـعرية في الإمـام الحسـين عليه السلام للبكـاء والإبكاء.

ومنهم مـن يضـيف ذكـر بعـض مـا جـرى عـلى الإمـام الحسـين عليه السلام من المصائب إلى الإنشاد.

ومـنهم مـن يلتـزم بتضـمين قراءتـه بعـض المـواعظ وربـما سـمي بواعظ.

ومنهم يلتزم بذكر معاجز آل محمد عليهم السلام وفضائلهم فقط.

وبعضهم ربما تعلم بعض المسائل وذكر بعضها.

وبعضـهم معـروف بعرضـه التـاريخي، وآخـر بنهجـه الأدبي، وثالـث بأسـلوبه التحلـيلي، ورابـع بفكـره المقـارن، وإلى جانـب هـؤلاء العالم والفاضل والفقيه وهناك الخطيب الجامع لفنون متعددة.

وكـل هـؤلاء خطبـاء للمنـبر الحسـيني إذا كـانوا يرتـادون المنـبر للبكـاء والإبكـاء وذكـر مصـيبة أبي عبـد الله عليه السلام فهـم خطبـاء حسـينيون

ولا يجوز نفي صفة الخطيب الحسيني عن أحد منهم بحجة أنه لم يدرس التاريخ أو الأدب أو غيرها من العلوم الإسلامي أو أنه لم تتوفر فيه تلك الشروط ولا يحق لأحد منع أي خطيب من الإنشاد في الحسين عليه السلام ليلزم الجميع بمستوى خطابي واحد أو بمنهج واحد بحسب تصوره.

بل من الخطأ الفادح أن يقصر المنبر الحسيني على العلماء أو الفضلاء أو على طبقة خاصة من أصحاب مستوى ثقافي معين.

فكل من يرغب في الجنة والثواب بالإنشاد في الإمام الحسين عليه السلام بل والتخصص بالإنشاد في الحسين عليه السلام فلا يجوز لأحد منعه وإن لم يكن قادرا على عرض بحث علمي أو دراسة وغير ذلك.

فمن ينشد ليبكي ويُبكي فهو خطيب للمنبر الحسيني ومن يحفظ مسألة أو معجزة أو غير ذلك مع الإنشاد كذلك أيضا خطيب ومن يبحث في العقائد أو التفسير أو غير ذلك وينشد في الإمام الحسين عليه السلام للبكاء والإبكاء فهو خطيب.

ثم إن التنوع الحاصل لدى الخطباء أثرى المادة المنبرية واستوعب بذلك كافة المستويات الفكرية في المجتمعات وفتح باب الخيار أمام المستمع في اختيار الخطيب الذي يبكيه ويجد عنده ما يشبع نهمه الفكري وفضوله.

ثم إننا نعتقد أنه من الخطأ الفادح والكبير - وقد وقع فيه الكثير من أصحاب المجالس - الطلب من الخطباء التعرض للبحوث العلمية والفكرية فقهية كانت أو عقدية حتى من الذين ليسوا من أهل الاختصاص وليسوا من أهل العلم، وهذا في الواقع تكليف بما لا يطاق ولا ينبغي طلب ذلك إلا من أهله ولابد من مراعاة حالة الخطيب وقدرته الفكرية والعلمية كما ينبغي للخطيب نفسه مراعاة ذلك وان لا يقحم نفسه فيما ليس هو من أهله وشأنه، ومن الواضح أن إقحام بعض الخطباء أنفسهم في بعض البحوث العلمية وعدم تمكنهم من عرضها بشكل صحيح لا يوجب وضع شروطا على عامة الخطباء ولا يصحح منع من لا تتوفر فيه تلك الشروط من الخطابة.

ولعلنا لو اعتبرنا إنشاد العالم والفاضل والفقيه في الإمام الحسين عليه السلام التحاقا منه بركب خطباء المنبر الحسيني كان ذلك كافيا لرد الشروط.

ثم إنه لا بد لنا من التأكيد على أن تكون المادة المنبرية الحسينية صحيحة قد أخذت من المصادر المعروفة والمشهورة وهذا لا يحتاج إلى مزيد بحث، وعناء إذ ذلك متوفر وكتب المقاتل مشهورة وأما الاختلاف بينها في بعض القضايا الجزئية فما لم يلزم منه إشكال عقدي أو مخالفة لما هو متسالم عليه في معتقدات الشيعة أو إثبات

حكم أو نفيه فلا إشكال في نقله وعرضه، نعم ما يحتاج في نفيه وإثباته إلى مستوى علمي فلا بد من الرجوع فيه إلى أهل المعرفة من العلماء ولا يعني ذلك أنه يجوز حذف ما لم يثبت عند هذا العالم أو ذاك فإن الأمانة العلمية والتاريخية تقتضيان حفظه خصوصا إذا كان لعرضه على المنبر وجه شرعي ولو عند غير من لم يثبت عنده كأن يؤتى به رجاء الثواب المجعول على ذكر مصيبة الحسين عليه السلام.

ثم إنه ربما تصور البعض أن أسلوب العرض المنبري لمصيبة الإمام الحسين عليه السلام فيه شيء من المبالغة وأن هناك الكثير من الكلمات لم تذكر على لسان الإمام الحسين عليه السلام أو أحد من أهل بيته فلماذا يأتي بها الخطيب؟

إلا أن هذا النقد ليس ففي محله وذلك أن نفس المصيبة وعظمها أكبر مما يصورها الخطباء فلا مبالغة في عرض نفس المصيبة.

ثم إن الخطيب تارة ينقل نصا ما، وأخرى ينقل معنى ذلك النص، وثالثة يحكي لسان حال، والأول لو زاد فيه فهو محرم ولا يجوز لأنه تحريف، أما الثاني وهو نقل المعنى والإمعان في تقريبه بالأسلوب المنبري فلا أشكال فيه ومثله القسم الثالث.

وعليه فما يذكر من الكلمات عن لسان الإمام الحسين عليه السلام أو أخته زينب أو غيرهما لا يخلو الأمر إما أنها تذكر كنصوص ووقائع

ومع ذلك لا وجود لها فهذا لا يجوز ولا يصح ولا أعتقد أن أحدا من الخطباء يعتمد ذلك إلا الشاذ.

وإما أن يكون هناك نص بها ولكن نقل معناه أو أنه يتكلم بلسان الحال فهذا لا إشكال فيه فإنه وإن لم تنطق زينب عليها السلام بذلك الكلام مثلا إلا أن الخطيب يصور لسان حال المثكول وشكواه فيصيغه بأسلوبه المنبري أوفي شعر ينشده وهذا الأمر لا إشكال فيه بل هو مرغوب فيه إذ قد يكون له أثر كبير في إبراز وإيضاح جوانب مصيبة الإمام الحسين عليه السلام كما أن له أثر بالغ على النفوس وفي البكاء والإبكاء كما هو الحال في الإنشاد بلسان حال بعض الأيتام أو تصور حال وفرضه وقد أنشد بمثل ذلك أمام أئمة أهل البيت عليهم السلام كالذي أنشأه وأنشده دعبل الخزاعي في قصيدته التائية[1] في تصوير حال الزهراء عند قبر الإمام الحسين عليه السلام وكان ذلك أمام الإمام الرضا عليه السلام وقد بكى لذلك وشكر دعبلا ولم ينكر عليه شيء في قوله:

أفاطم لو خلت الحسين مجدلا   وقد مات عطشانا بشط فرات
إذا للطمت الخد فاطم عنده   وأجريت دمع العين في الوجنات
أفاطم قومي يا ابنة الخير واندبي   نجوم سماوات بشط فرات

---

(١) ديوان دعبل الخزاعي، جمع وتحقيق: عبد الصاحب الدجيلي، ص١٣٥.

وأمثال هذه القصيدة كثير مما حكي فيها عن لسان حال فيه توجع أو عتاب أو مخاطبة النبي وأئمة أهل البيت عليهم السلام فلا إشكال فيه خصوصا عند الالتفات لأبعاد هذه الآية المباركة ولوازمها:

﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[1].

وعلى كل فلا نرى أي إشكال في ذلك الأسلوب وتلك الصياغات المنبرية بل ذلك نحو من التفنن في أسلوب العرض.

وعودا على بدء نقول إن تصنيف الخطباء له الأثر الكبير في استمرار مسيرة المنبر الحسيني بأسلوبه البسيط السهل الذي يغري كل مؤمن أن ينتمي إليه فلا حاجة إلى وضع شروط تمنع الكثير من الالتحاق بقافلة الخطباء بل وتبعد بعض الخطباء المرتبطين فعلا بالمنبر الحسيني عن تلك القافلة.

ولأجل أن لا نضايق أصحاب تلك التصورات نقول:

إن من يريد أن يبحث من خطباء المنبر الحسيني شيئا من البحوث العلمية الفقهية أو العقدية أو الفكرية الأخرى التي تخدم مسيرة مذهب آل محمد عليهم السلام فلابد له من الدراسة والتعلم والإلمام بجميع جهات ما يريد أن يبحثه ولا يقتصر على المطالعة والتصفح

---

(١) سورة التوبة: ١٠٥.

بل لا بد من الدراسة والتعلم وخصوصا بالنسبة للبحوث العقدية منها والعلمية.

إلا أننا لا نجعله شرطا لكل من يريد أن يعتلي أعواد المنبر بل هو لخصوص من يريد أن يبحث بل وحتى من يريد أن يعرض مسألة فعلية تعلمها وهكذا.

وفي الختام نقول:

إن دور المنبر الحسيني مهم وكبير وخطير وحساس ويتمثل كل ذلك في حفاظه على قضية الإمام الحسين عليه السلام وواقعها وعلى مظلوميته وشدتها ومصيبته وعظمها وعلى استقلالها وعدم ربطها بأهداف شخصية أو غيرها لجهات مختلفة، كما أن دور الخطيب الأكبر هو نقل المستمع إلى يوم عاشوراء زمانا وإلى كربلاء مكانا ليعايش الإمام الحسين عليه السلام في كل حالاته، ويتفاعل معه فيها، فيتأثر لما أثر في الإمام الحسين عليه السلام وتأثر به، ويتألم لما آلم الإمام الحسين عليه السلام وتألم له، ويبكي لكل ما أبكى الإمام الحسين عليه السلام ولكل ما جرى على الإمام الحسين عليه السلام وعلى أهل بيته عليهم السلام وأصحابه رضوان الله تعالى عليهم.

وهذا نحو من تطور الخطيب ودوره فكان سابقا يقتصر على الإنشاد أما الآن فهو يتفنن في تصوير كل ما مجرى على الإمام

الحسين عليه السلام حتى أنه يجعل المستمع يرى كل الأحداث أماه وما ذاك في الواقع إلا أنه ببراعته ينقل المستمع بروحه وفكره وإحساسه إلى كربلاء ويوم عاشوراء.

وعلى ذلك نقول: إن كل خطيب يتمكن من نقل المستمع بروحه وفكره وإحساسه إلى ذلك اليوم وذلك المكان ليعايش كربلاء ويوم عاشوراء وكل ما جرى فيه من ظلم وجور وقتل ومثله وسبي وبلاء وكرب على الإمام الحسين وعلى آل الحسين ثقل النبوة آل محمد وعلي وفاطمة عليهم السلام فهو أفضل خطيب حسيني، بل هو الخطيب الحسيني حقا بل ورائد المنبر الحسيني بحق ﴿**وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ**﴾(١).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين.

كتبه أقل العباد: عبد العزيز بن الحاج سعيد المصلي.

* * *

---

(١) سورة المطففين: ٢٦.

الفهرس

الفصل الرابع ٧

الانقلاب: ٩

مسلم والغدر بابن زياد: ١٠

الإذن بالانصراف: ١٨

الموقف بعد مقتل مسلم: ٢١

خبر قتل مسلم يؤيد مواصلة المسير: ٣٦

عدم وقوف حبيب الأسدي وغيره مع مسلم: ٣٨

اللقاء المصيري: ٥٠

طلب الرجوع: ٦٢

معقولية طلب الرجوع: ٦٣

التحفظ على طلب الرجوع:.............................. ٧٠

إلى الكوفة لا إلى كربلاء:............................... ٧٦

الإمام الحسين في كربلاء:.............................. ٨٢

حصر الأمر بين الاستسلام أو القتل:.......................... ٨٦

الاختبار الصعب:..................................... ٩١

يوم عاشوراء:... ٩٤

خطبة الإمام الحسين عليه السلام الثانية:........................... ١١٤

الإمام الحسين عليه السلام والصلح:............................ ١٣٤

حياة القلوب:...................................... ١٣٨

ترى ما الذي حدث؟ ١٣٩

الفصل الخامس ١٤٥

مواقف الإمام الحسين عليه السلام وتجلياته:......................... ١٤٧

تجليات الإمام الحسين عليه السلام:................................ ١٥٤

محاولات تبرئة قتلة الإمام الحسين عليه السلام: ١٨٣

المحاولة الأولى: ١٨٣

المحاولة الثانية:... ١٨٥

المحاولة الثالثة:... ١٨٩

المحاولة الرابعة:... ١٩٠

قربان آل محمد: ٢٠٢

الولاية والفداء:... ٢١٢

هدف الإمام الحسين عليه السلام:... ٢٢٣

مصارع الكرام لا هزيمة:... ٢٣٣

حمل الإمام النساء والأطفال:... ٢٤٠

نظرنا في حمل النساء والأطفال:... ٢٥٣

أهداف بني أمية: ٢٦٣

الفصل السادس ٢٧١

المنهج بعد الحسين عليه السلام: ٢٧٣

حركة زيد ومنهج أهل البيت عليهم السلام: ٢٨٨

البكاء على الإمام الحسين عليه السلام: ٢٩٩

شبهات واعتراضات: ٣٠٢

موجبات البكاء: ٣٠٥

الشيعة والبكاء على الامام الحسين عليه السلام: ٣٠٧

تجديد الحزن ودواعيه: ٣١٢

دراسة الشبهات: ٣٣٠

الشبهة الأولى: ٣٣١

الشبهة الثانية: ٣٣٩

الدعوى الأولى: ٣٤٠

الدعوى الثانية:.. ٣٤٣

الدعوى الثالثة:.. ٣٤٦

الشبهة الثالثة:.. ٣٤٨

الشبهة الرابعة:.. ٣٥٣

فلسفة البكاء على الحسين عليه السلام: ٣٥٦

روايات البكاء: ٣٦٠

المجلس الحسيني ومنبره:.. ٣٦٩

هدفه وتطوره:.. ٣٦٩

تطور المجلس الحسيني:.. ٣٨٧

تصنيف الخطباء لا شروط فيهم: ٤٠٤

الفهرس ٤١٥

من أجل التواصل بين المركز والقارئ

عزيزي القارئ الكريم..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نشكر لك اقتناءك كتابنا: (تمهيد الحسن وقيام الحسين عليهما السلام (الجزء الثاني) للشيخ عبد العزيز بن الحاج سعيد المصلى) ورغبة منا في تواصلٍ بنّاء بين المركز والقارئ، وباعتبار أن رأيك مهمٌ بالنسبة لنا، فيسعدنا أن تُرسل إلينا دائماً بملاحظاتك، لكي ندفع بمسيرتنا سويّاً إلى الأمام.

الاسم الثلاثي واللقب: .... الوظيفة (اختياري): ....

المؤهل الدراسي: .... السن (اختياري): ....

العنوان (اختياري):

الدولة: .... المدينة: .... الحي: .... الشارع: .... رقم الدار: .... ص ب: ....

الهاتف (اختياري): ....

البريد الألكتروني: ....

❖ من أين عرفت هذا الكتاب؟

○ أثناء زيارة مكتبة ○ ترشيح من صديق ○ إعلان ○ معرض ○ غيرها

❖ من أين اشتريت الكتاب؟

اسم المكتبة أو المعرض: .... المدينة: .... العنوان: ....

❖ ما رأيك في الكتاب؟

○ ممتاز ○ جيد ○ عادي (لطفاً وضح لِمَ) ....

❖ ما رأيك في إخراج الكتاب؟

○ عادي ○ جيد ○ متميّز (لطفاً وضح لِمَ) ....

❖ ما رأيك في سعر الكتاب؟

○ مناسب ○ معقول ○ مرتفع (لطفاً أذكر سعر الشراء) .... العملة: ....

عزيزي القارئ انطلاقاً من أن ملاحظاتك واقتراحاتك سبيلنا للتطوير وباعتبارك من قرائنا فنحن نرحب بملاحظاتك النافعة... فلا تتوانَ ودَوّن ما يجول في خاطرك:

....

....

....

....

عنوان المراسلة:

العراق- النجف الأشرف- شارع المثنى- مركز الإمام الحسن عليه السلام للدراسات التخصصية

الموقع الرسمي: www.imamhassan.org | البريد الألكتروني: info@imamhassan.org

هاتف: ٠٠٩٦٤٧٨٠٣٣٥٨٠٢٠ | /AlimamAlhasan47